كتاب

رفع الخفاء شرح ذات الشفاء

تأليف

الشيخ العلامة محمد ابن الحاج حسن الآلاني الكردي

تحقيق

حمدي عبد المجيد السلفي — صابر محمد سعد الله الزيباري

عالم الكتب — مكتبة النهضة العربية

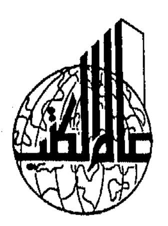







كتاب
رفع الخفا شرح ذات الشفا





بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠

كتاب

رفع الخفا شرح ذات الشفا

تأليف

الشيخ العلامة محمد ابن الحاج حسن الآلاني الكردي
المتوفى سنة ١١٨٩ هـ

تحقيق

حمدي عبد المجيد السلفي
صابر محمد سعيد الله الزيباري

الجزء الأول

عالم الكتب
مكتبة النهضة العربية

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد فإن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين المهديين سراج وهاج للبشرية أجمع فإن معرفتها والعمل بها والسير على ضوئها يخرج البشرية التائهة في متاهات المدنية المزيفة إلى حياة السعادة والهناء والأمن والأمان.

وقد كتب كثير من العلماء تلك السيرة بين مختصر ومطول ومسهب وقد طبع الكثير والكثير منها.

وقد نظم تلك السيرة محمد بن محمد بن محمد الجزري رحمه الله في منظومته ذات الشفا وقد قام بشرحها كثير من العلماء منهم:

١ ـ الجلال السيوطي حيث شرحها في جزءين على ما ذكر لنا الأخ الأستاذ محمود أحمد محمد أمين مكتبة الأوقاف المركزية في مدينة السليمانية وقال: إنه موجود عند أحد علماء السليمانية وإنه رآه بعينه، ولم أره.

٢ ـ محمد بن الحاج حسن في كتابه رفع الخفا وسيأتي الكلام عليه .

٣ ـ محمد أمين خير الله العمري المتوفى سنة ١٢٠٣ في كتابه منهل الصفا ومسرح الوفا في كشف الخفا عن ذات الشفا . ويوجد منه الجزء الأول في مكتبة الآثار في بغداد تحت رقم (٢٢٣١٦). وتوجد نسخة أخرى من الجزء الأول مع بعض الجزء الثاني فيها تحت رقم (٧٩٧) .

٤ ـ محمد بن آدم بن عبدالله الكردي البالكي الروستي .انظر ترجمته فيفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في مدينة السليمانية (٣/ ١٠٠ ـ ١٠٢) وهو شرح باللغة الفارسية رأيت الجزء الأول منه عند القاضي محمد الخضري في مدينة أشنو في كردستان ايران ، وهو شرح مطول جداً فهذا المجلد وحده مقداره كمقدار هذا الشرح رفع الخفا بعشر مرات .

٥ ـ شرح قطعة من المنظومة يقع في (٤٠) ورقة لا يعرف مؤلفه توجد منه نسخة في مكتبة الأوقاف المركزية في مدينة السليمانية تحت رقم (١٠٥٨) .

٦ ـ قطعة أخرى تقع في (٣٢) صفحة تأليف محمد يوسف السليماني الشهير بالمحجر توجد منها نسخة في مكتبة الآثار في بغداد تحت رقم (٢٠٧٥٧) . وهذا يدل دلالة واضحة على مدى اهتمام العلماء بهذه المنظومة .

وقد اخترنا من بين شروحها شرح رفع الخفا لكثرة نسخها وكونها كاملة ، توجد منها نسخ كثيرة في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد والموصل والسليمانية وفي مكتبة الآثار في بغداد . كما توجد منها نسخ كثيرة في المكتبات الخاصة .

وقد اخترنا ثلاث نسخ للتحقيق :

١ ـ نسخة كتبت في سنة ١١٨٩ أي السنة التي مات فيها المؤلف كتبها عبدالله بن ملا يوسف المشهور ايرحي وقوبلت على النسخة التي قوبلت من نسخة الشارح وهي موجودة في مكتبة الآثار في بغداد ذكر الأستاذ أسامة النقشبندي

في فهرس مخطوطات التاريخ والتراجم والسير (ص ٢١٣) وجعلناها الأصل.

٢ ـ نسخة قاضي بيران المدعو عبدالله كتبها سنة ١١٩٠ وهي موجودة عند بعض أفراد عائلة القاضي المذكور وقد أعارنا نسخته جزاه الله خيراً.

٣ ـ نسختي الخاصة في خزانتي كتبها محمد بن محمود في قرية بيرام سنة ١٢٣٤.

أما المؤلف فهو محمد بن الحاج حسن الآلاني الكردي ولد في قرية (سَنجوي) التي تقع في ناحية آلان التابعة حالياً لقضاء سه ده شت من كردستان الإيرانية. ولم نطلع على تاريخ لحياته في عهد الطفولة وطلبه العلم وعلى من درس. ولكنه تلألأ نجمه حينما سكن قرية هرار مبرد ودرس فيها. وهناك ألّف ما ألّف من كتب وسائل، ومما يدل على تفوقه العلمي بالإضافة إلى مؤلفاته كون الملا عبدالله البيتوشي الكردي والشيخ معروف النودهي من تلامذته.

وبعد هجوم الفرس على منطقته قبل وفاته بقليل هاجر إلى قرية زنته التي تقع قرب مدينة عقرة وتوفي فيها سنة ١١٨٩ هجرية.

وترك كثيراً من المؤلفات منها:

١ ـ زفع الخفا وهو هذا الشرح.

٢ ـ حاشية مدونة على النهجة المرضية في شرح الألفية للسيوطي في النحو، ولها نسخ متعددة في المكتبات الخاصة والعامة، ولدي نسخة منها كما وتوجد نسخة في مكتبة الجامع الكبير في الرمادي.

٣ ـ إيقاد الضرام على من لم يوقع طلاق العوام يقع في ثلاث ورقات توجد من نسخة في مكتبة السليمانية المركزية للأوقاف تحت رقم [مجاميع ٥٣٤ ـ ٥٣٧] وأخرى في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد. انظر فهرس المخطوطات المذكورة (١/ ٣٨٧) ونسب فيه إلى غير مؤلفه.

٤ ـ منظومة المحاسن الغرر حققتها ونشرت في مجلة الكاروان وستطبع مستقبلاً إن شاء الله تعالى .

٥ ـ شرح منظومة المحاسن والغرر ، لا نعرف عنه شيئاً .

٦ ـ رسالة في بيان المحاسن والغرر ، قال الشيخ محمد الخال : نظم منها الباب الأول ، ثم عاقه عائق فأكمل الكتاب نثراً ، ولا نعرف عنه شيئاً .

٧ ـ منظومة في المحذوفات .

توجد منها نسخة في مكتبة الأوقاف المركزية في مدينة السليمانية رقمها [١١٣٢] وأخرى تحت رقم [مجاميع ١١٢١ ـ ١١٢٢] .

ولدي نسخة مصورة من إحداهما .

وأعلمني الأخ محمد أحمد مصطفى الكزني أنه حققها وسيطبعها .

٨ ـ رسالة في تحقيق معنى الإكراه الشرعي ، ذكرها الشيخ محمد الخال وقال الأستاذ عبدالكريم المدرس أن له رسالتين في هذا الموضوع صغرى وكبرى .

٩ ـ رسالة في نكاح المتعة ذكرها الأستاذان الخال وعبدالكريم المدرس .

١٠ ـ مهدي نامة نظمها باللغة الكردية حققها الأستاذ محمد علي قره داغي وطبعها المجمع العلمي الكردي سنة ١٩٧٥ .

١١ ـ تحفة الخلان لإشحاذ الأذهان في الألغاز النحوية ذكره المؤلف فيما يأتي في شرح قول الناظم « وها أنا أشرع في المقصود » .

١٢ ـ حواشي شرح الهمزية ذكر ذلك الشارح عند الكلام على بحيرا الراهب فيما يأتي .

١٣ ـ حاشية على فتح المبين ذكرها الشارح كما سيأتي أيضاً .

وقد قام الشراح بزيارة للشام والحجاز واجتمع في مدينة جدة بالمحدث محمد العقاد.

عملنا في الكتاب:

١ ـ استنسخ الأخ صابر محمد سعد الله الأصل ثم قابله به وبعد ذلك قابل بالنسختين الأخريين، وما وجد من اختلاف أشير اليه وبما زيد بين معكوفين هكذا [ ].

٢ ـ قمت بتخريج الأحاديث قدر الطاقة وذكر أماكن كتب السير التي ورد فيها ما ذكره الشارح.

٣ ـ أورده الشارح في كتابه روايات كثيرة فيها الغث والسمين، وربما لم نعرج على كثير مما أورده مما لا أصل له أو هو ضعيف حتى لا تكثر التعليقات اعتماداً منا على ذكاء القارىء الذي سيعرف ذلك حتماً.

والله من وراء القصد

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أبو مصطفى

حمدي بن عبدالمجيد بن اسماعيل السلفي

سرسنك في ١٤/ شوال ١٤٠٥ هـ

الصفحة الأولى من نسختي

الصفحة الأولى من نسخة القاضي:

الورقة الأخيرة من نسخة القاضي

قد وقع الفراغ من تحرير
هذا الكتاب في سنة
الف ومائة وتسعين و
خمس من هجرة النبوية
المصطفوية عليه
افضل الصلوة
والسلام

الصفحة الأولى من الأصل

الصفحة الأخيرة من الأصل



بسم الله الرحمن الرحيم
وبه العون [١]

الحمد لله الذي منَّ علينا بخليفته الأكبر، نبيه المبعوث إلى عامة الأسود والأحمر [٢]، ليهديهم في مَهامِهِ [٣] الْحَيْرَةِ وَالغِيرَةِ [٤] إلى أحسن الْهَدْي [٥] وأكمل السير، والصلاة والسلام على نبيه (*) المبعوث ليتمم مكارم الأخلاق [٦]،

---

(١) في نسختي وبالله التوفيق والاستعانة.

(٢) قال الشارح: اقتباس من قوله ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود» أي إلى العرب والعجم، إذ الغالب على لون العرب السواد.
وقيل: الأحمر الإنس والأسود الجن.
وقيل: البيض والسود من الأمم.
قلت: والحديث رواه مسلم (٥٢١) وغيره من حديث جابر ولفظه عند مسلم «وبعثتُ إلى كل أحمر وأسود» وروي من حديث جماعة من الصحابة، وسيأتي في التعليق (٤١).

(٣) قال الشارح: جمع مَهْمَه وهي المفازة انتهى وزاد الجوهري بعيدة الأطراف.

(٤) قال الشارح: وغير الدهر كعنب أحداثه المغيرة كما في القاموس انتهى انظر تاج العروس (١٣/ ٢٨٧).

(٥) قال الشارح: بفتح الهاء وسكون الدال السمت والسيرة، وفي الحديث: «خير الهدي هدي محمد».
قلت: هو عند مسلم (٨٦٧) بهذا اللفظ.

(*) في نسختي ونسخة القاضي على حبيبه.

(٦) إشارة إلى الحديث الصحيح «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وهو عند أحمد (٢/ ٣٩٨) والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) وابن سعد في الطبقات (١/ ١٩٢) والحاكم في المستدرك (٢/٦١٣) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/٢٦٧/١) وقاسم بن أصبغ والبيهقي في الشعب والخرائطي في مكارم الأخلاق والقضاعي في مسند الشهاب (١١٦٥) بألفاظ مختلفة.

ويميط به قناع الشبه والانغلاق، وعلى آله وأصحابه الذين قد شقوا عصا الشقاق، ومدوا لِرِبْقَة وفاقهِ ليت[٧] الأعناق، ما تقلب في العيون الأحداق، ولاح في الدجى البرق الخفّاق.

أما بعد فهذا ما تشتهيه أنفس الطالبين، وتلذ به أعين الراغبين من شرح طالما كنت أحدث به نفسي، أن أخدم به المنظومة الموسومة بذات الشفا، ذخراً ليوم عَيْلَتي[٨] وبَخْسي، فتوقفت لتحري شرح سابق يحصل به في بعض المواضع أنسي، فطفقت في أسفار طلبه حتى هجرت مسقط رأسي[٩]، وأناسي وعرسي، وأنضيت فيها فرسي وعنسي، فلما آيست من الوجدان[١٠]، وتضاعف اقتراح الإخوان، حتى في أقاصي البلدان، لشرحها المتكفل بغاية البيان، بلا إيجاز مُخل، ولا إطناب مملّ، بادرت إلى نجاحهم بما اقترحوا، وإسعافهم بما ألحّوا، فدونك[١١] أيها الطالب شرحاً برز في زي العرائس واستبطن زبدة ما في بطون الكتب الفاخرة باحتوائها على النفائس، مما هذبه مشاهير أهل السير المعتبرين، ثم انتخله[١٢] الأئمة من الحفاظ المتأخرين، ولقد بذلت في تنقيحه كل شؤوني، وأتعبت في تصحيحه فكري وعيوني، وطالعت في هذا الفن كتباً جمة[١٣]

(٧) قال الشارح: بكسر اللام صفحة العنق انتهى. قلت: انظر تاج العروس (٥/ ٨٤).

(٨) قال الشارح: العيلة الفقر، أي ليوم يظهر فيه ذلك، وهو يوم القيامة.

(٩) قال الشارح: أراد بمسقط الرأس الوطن. وبأناسه أحباءه، وبعرسه أهله، وذلك كان في سفر الشام والحجاز.

(١٠) قال الشارح: لم أجد له شرحاً مع شدة التفحص.

(١١) قال الشارح: اسم فعل بمعنى خذ وشرحاً منصوب به.

(١٢) يقال: أنخله وانتخله أي صفّاه ونقحه كهذبه، فيكون ما ذكرته منخولاً مصفّىً مرتين فهو في غاية النقاوة. قاله الشارح.

(١٣) قال الشارح: كعيون الأثر ومختصره لابن سيد الناس، ومختصر العز بن جماعة ومختصر الحلبي ومختصر الحافظ نجم الدين الغيطي والمواهب اللدنية للمحدث العارف القسطلاني وكتاب الشفاء للقاضي عياض بشروحه وسيرة الخلفاء للسيوطي وأسنى المطالب للشهاب ابن حجر وسائر مؤلفاته من شرح الهمزية وغيره والتحفة السنية في الأسئلة المرضية وشمائل ـ

وسبرت أخبار الحفاظ من جهابذة[١٤] الأمة، وحدّثت بذلك نصحاً لا فرحاً، وشكراً لا بطراً ومرحاً، فشدّ به يديك ولا يفلتنه[١٥] منك داء الحسد[١٦]. أو طعن من آنس من نفسه القصور فَعَنَد، ثم مع مدحي له بذلك ما أبرّيه[١٧]، ولا أنادي هذا مبيع لا عيب فيه، بل أعترف بالقصور، وأبسط يد الافتقار إلى العفو الغفور، فالكمال محال لغير ذي الجلال، فرحم الله امرءاً قهر هواه، وأنصف من نفسه وعذر أخاه، فيما صدر عنه من الخلل، أو طغى به قلمه من التحريف والخطل، ناوياً أن أسميه بعد أن أختمه: (رفع الخفا على ذات الشفا) والله المستعان وعليه التكلان.

= الترمذي بشروحه وكتاب أخبار الدول الماضية وغير ذلك من كتاب الخميس وعيون التواريخ وتاريخ ابن خلكان وغيرها فلله الحمد.

(١٤) قال الشارح: جمع جهبذ بكسرتين بينهما سكون وهو الماهر الحاذق.

(١٥) قال الشارح: من الإفلات وهو الإرسال، أي لا يفوت ذلك الشرح منك.

(١٦) قال الشارح: وحجاب المعاصرة أيضاً.

(١٧) أصله ما أبرئه بالهمزة فخفف بقلبه ياء أي ما أزكيه وأنزهه من العيوب، قاله الشارح.



بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ مُحَمَّدٌ هُوَ ابنُ الْجَزَرِي   الْحَمْدُ لِلْمُهَيْمِنِ الْمُقْتَدِرِ

قال الناظم رحمة الله تعالى عليه: (بسم الله) أفتتح نظمي في السيرة الآتية، وجعل الباء للمصاحبة أولى، لتفيد مصاحبة الاسم الشريف لجميع النظم (الرحمن) أي المنعم المتفضل بإرادة الإحسان لجميع الخلق فهو مختص به تعالى، ولم يطلق على غيره (الرحيم) بالمؤمنين، أو المنعم بدقائق النعم، وهو أقل مبالغة من الرحمن، ومن ثمة لم يختص به تعالى، وذكر كالتتمة والرديف للرحمن، وافتتح كسائر المؤلفين بالبسملة اتباعاً للقرآن والحديث المشهور، ولم يلتفت إلى ما قيل إن الشعر لا يبدأ فيه بالبسملة، لأن محله فيما اشتمل على هجو أو غلو مدح، لا مثل هذا النظم الحاوي لنفائس العلوم التي هي أحق بالابتداء بالبسملة من غيرها.

(قال) متعد إلى مفعول جملةٍ أو مفردٍ يؤدي معناها، كقلت قصيدةً أو شعراً[18]، فإن ضُمّن معنى الظن جاز أن ينصب مفعولين بشروطه المقررة في النحو، مثل أتقول زيداً كريماً أي أتظنه، وعبر عن المستقبل بالماضي، لتنزيل المرجو منزلة الواقع، وهو مجاز مشهور، بل قيل: حقيقة عرفية.

(محمد هو) أبو الخير شمس الدين (ابن) محمد بن محمد بن علي بن يوسف (الجَزَري) بحذف إحدى اليائين للوزن، نسبة إلى جزيرة ابن عمر رضي الله تعالى

(١٨) في نسخة القاضي وشعراً.

عنهمـــا[١٩] بـبــلاد ديار بكر بالقرب من الموصل[٢٠] كما قاله تلميذه العقيلي، وإطلاق الأب على الجد شائع، كقوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾ ولذا قال: هو ابن الجزريّ صفة جده لا أبيه.

ذكر شيء من أحوال الناظم تبركاً به رحمه الله تعالى[٢١]

هو الإمام العلامة العامل الحافظ الشافعي الدمشقي، ولد بها سنة إحدى وخمسين وسبعمائة سمع الحديث مـن مشـايـخ كثيرة، واشتغـل بعلـوم القـراءة والحديث، حتى برع فيها أهل عصره، وتفقه على الشيخ عماد الدين بن كثير، وأذن له في الفتوى والتدريس، وولّي مشيخة الصلاحية ببيت المقدس مدةً، وقدم القاهرة بمصر مراراً، وسمع من المسندين بها، وبنى بدمشق داراً للقراءة، وعين لقضاء الشافعية بدمشق، فلم يتم له، وقيل: مكث قاضياً يومين، ثم ارتحل إلى بلاد الروم سنة أربع وتسعين وسبعمائة، فانتقل إلى بلاد فارس، وتولّى بها قضاء شيراز وغيرها، وانتفع به أهل تلك الناحية في الحديث والقرآن، ثم حج حجتين، ثم قدم القاهرة، ثم سافر إلى شيراز، وكان رحمه الله تعالى من أوعية العلم والدين والصلاح، أوقاته مستغرقة بالخير، وبورك له فيـه مع كثرة أشغاله وازدحام الناس عليه، وكان لا ينام عن قيام الليل في سفر وحضر إلاّ نادراً،

---

(١٩) قال الشارح: وذكر الترضي له يدل على أنه عبدالله بن عمر الصحابي، وذلك تابع لذكره أيضاً في نسخ شرح المقدمة للقاضي خلكان نقلاً عن بعض الأئمة: لا أدري من المراد بابن عمر صاحب الجزيرة انتهى.
قلت يراجع منهل الأولياء (١/ ٥٢) لمحمد أمين العمري حول ذلك.

(٢٠) قال الشارح: وبالقرب من الجودي، وهو جبل بالجزيرة استوت عليه السفينة في القاموس. والجزيرة جبال بين دجلة والفرات، وبها مدن كبار ولها تاريخ.

(٢١) له ترجمة حسنة في إنباء الغمر بأبناء العمر للحافظ ابن حجر (٣/ ٤٦٦ ـ ٤٦٨) والضوء اللامع (٩/ ٢٥٧) وما بعده للحافظ السخاوي.

ولا يترك صوم الإثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر، وله مصنفات بديعة منها النشر والتقريب والطيبة في القراءات العشر والدرة في القراءات الثلاث والتحبير على التيسير، وزاد عليه في القراءات الثلاث، وميزه بالحمرة فيه بقلت وفي آخره بوالله أعلم، والوقف والابتداء والتمهيد في علم التجويد، وكتاب مخارج الحروف وكتاب في أسماء رجال القراءة وكتاب في علم الرسم وكتاب في طبقات القرّاء وكتاب الحصن الحصين[٢٢] والمقدمة في التجويـد، وأسنـى المطـالـب في مناقب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكتاب الكاشف في أسماء رجال الكتب الستة والمختار في الفقه وثلاث مواليد ما بين نظم ونثر ألّفها بمكة المشرفة وكتاب في الطب على حروف المعجم، وله في غالب العلوم مؤلفات مثل: التصوف وغيره وله قصائد ومقدمة منظومة في النحو وقصيدة في مدحه ﷺ أولها:

لطيبـة بـت طـول الليـل أسري لعـل بها يكـون فكـاك أسري
إلٓهـي سَـوَّدَ الوجـة الخطـايـا وبيضـت السنـون سـواد شعـري

ولما قدم مصر امتدحه شعراؤها، وكذا في كثير من البلاد التي حل بها، وتوفي رحمه الله بشيراز في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة كما قال تلميذه أبو القاسم العقيلي في شرح الطيبة.

(الحمد) أي ماهيته وحقيقته وهو الوصف بالجميل على الجميل الصادر بالاختيار حقيقةً أو حكماً على جهة التعظيم، أو كل فرد من أفراده مملوك (للمهيمن) ومختص به فلا فرد منه لغيره تعالى سواء جعلت «أل» هنا للجنس كما عليه الزمخشري، أو للاستغراق كما عليه الجمهور لأن اختصاص جنس الحمد به تعالى كما أفاده اللام، والجملة تستلزم اختصاص كل فرد، إلاّ أن الجنس هو الأصل في لام التعريف وفي المصدر أيضاً لأن المصدر المؤكد لا يكون إلاّ للجنس، والاستغراف هو الأبلغ الأليق بالمقام فحمد غيره تعالى

(٢٢) في نسختي الحصن والحصين وهو خطأ.

كالعارية، إذا لكل منه وإليه، لأنه مبدء كل جميل، والمهيمن هو الرقيب الحافظ لكل شيء وقيل: القائم بأمور الخلق، وقيل: الشاهد، وقيل: هو مُفَيْعِلٌ من الأمن قلبت همزته هاء، وقيل: هو بمعنى المؤمن من آمن غيره وأصله مؤءمن بهمزتين قلبت الثانية ياءً ثم الأولى هاءً (المقتدر) مفتعل من اقتدر، وهو لكثرة حروفه أبلغ من القادر والقدير، صفة للمهيمن، وجملة الحمد المراد بها الثناء على الله تعالى بأنه مالك لجميع الحمد من الخلق مقول قال محمد، ولا ينافي ذكره إرداف الحمد بالتسمية المأمور به في الحديث والمعمول به في القرآن لأنه تمهيد للحمد، ولا يعد فاصلاً عرفاً، واختار من أسمائه تعالى ما ذكره للإيماء إلى أن حمده على غاية من الحضور والشهود، وإلى أنه لا يستحق الحمد إلاّ من كان حياً قادراً مُريداً عالماً وهو الله تعالى.

وَالشُّكْرُ للهِ عَلَى مَا قَدْ هَدَىٰ   مِنْ نَظْمِ سِيرَةِ النَّبِيِّ أَحْمَدَا

(والشكر) لغةً فعل ينبيء عن تعظيم المنعم لكونه منعماً على الشاكر أو غيره، واصطلاحاً صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من نحو السمع والبصر إلى ما خلق له من الطاعة، ولعزة هذه المقام قال الله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ أي العامل بطاعتي شكراً [٢٣] لنعمتي كما قاله المفسرون (لله) أي مختص به على قياس ما مرّ في الحمد (على ما قد هدى) أي هدانا [٢٤] أي دلنا عليه أو أوصلنا إليه، فحذف مفعولاه للعلم بهما. وبين تلك النعمة العظيمة التي هداه الله تعالى إليها بقوله: (من نظم) هو لغة جمع اللؤلؤ في السلك ثم استعير لذكر الألفاظ متناسقةً في الدلالة على المعاني، والمراد به هنا النظم الخاص بطريق الشعر (سيرة النبي) ﷺ أي طريقته وسنته المأمور كل أحد باتباعها (أحمدا) بيان للنبي والألف للإطلاق.

---

(٢٣) في نسخة القاضي شاكراً.

(٢٤) في نسخة القاضي هداناه.

صَلّـــى عَلَيْـــهِ ربُّنَـــا وَسَلَّما   وآلِـهِ وَصَحْبِـــهِ وكَـــرَّمَـــا

(صلى عليه ربنا) أي رحمه الله تعالى رحمةً مقرونةً بالتعظيم. ومن ثم خص الأنبياء بلفظها استقلالاً تمييزاً لمراتبهم العلية ، وألحق بهم الملائكة في ذلك لمشاركتهم لهم في العصمة . والجملة خبرية أريد بها الدعاء أي اللهم صل عليه ، وهكذا ما بعده، وكلمة على مجردة عن معنى المفسرة هنا ، بخلاف ما إذا استعملت مع الدعاء ، والمطلوب بالدعاء له ﷺ أمر زائد على ما حصل له في كل وقت ، فإن نعم الله تعالى لا نهاية لها ، لا طلب أصل الصلاة لحصولها بصلاة الله تعالى وملائكته عليه وقيل المراد تعظيم المصلّى عليه ومحبة الخير له ، واستحسنه الإمام الغزالي ، والأصح جواز الصلاة عليه بالضمير كما في النظم ، وأنه لا يشترط في الخروج عن عهدة الصلاة عليه ﷺ الكيفية الواردة في التشهد لتواطـؤ المؤلفين من المحدثين وغيرهم على الصلاة عليه في كتبهم بلفظ ﷺ . وعليه الصلاة والسلام ، وقد بسطت الكلام على ذلك في حاشية النهجة المرضية في شرح الألفية [٢٥] (وسلّما) أي وسلمه من كل آفة منافية لغاية الكمال.

---

(٢٥) قال الشارح في حاشية النهجة المرضية (ص ٤ - ٥ من نسختنا الخطية):
فائدة: أغرب القاضي أبو بكر بن العربي في العارضة فقال: الذي اعتقده أن قوله ﷺ « من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً » ليس لمن قال: كان رسول الله ﷺ ، وإنما هو لمن صلى عليه كما علم من النص.
ونحا تقي الدين السبكي نحوه فقال: إن أحسن ما يصلى به عليه ﷺ هي الكيفية الوافية في التشهد ، فمن أتى بها فقد صلى عليه بيقين، وكان له الجزاء الوارد في أحاديث الصلاة عليه ، ومن أتى بغير لفظها فهو في شك مما ذكر ، لأنهم قالوا : كيف نصلي عليك ؟ قال: « قولوا » إلى آخره.
وقد استحب النووي وغيره أن يلتزم في الدعوات والأذكار ما ورد عنه ﷺ وكذا الصلاة عليه ، ولكن وسع غيرهم في ذلك لاختلاف الروايات في الكيفية المأمور بها وتنويعها واختلاف طرقها بالزيادة والنقص في ذكر النبوة والأمية والرسالة وفي ذكر من يصلى عليه من الآل والذرية والأولاد ، ولمخالفته ما ورد عن الصحابة والسلف الصالح من ألفاظ الصلاة للكيفيات الواردة عنه ﷺ ، ولتواطؤ المؤلفين من المحدثين والفقهاء على الصلاة =

وفي الإرشاد وغيره يكره السلام على غائب غير نبي وملك في غير المراسلة إلاّ تبعاً وألحق بهم في ذلك مثل الخضر ولقمان وذي القرنين للخلاف في نبوتهم، أما السلام على المخاطب المؤمن فسنة (وآله) أي أقاربه المؤمنين من بني هاشم والمطلب، او أتقياء أمته، والثاني مختار المحققين في مقام الدعاء لحديث ضعيف يعمل به في مثل ذلك « آلي في مقام الدعاء كل تقي »(٢٦).

قال العلامة الدواني في حاشية شرحه لهياكل النور: آل الشخص من يؤول

= عليه في كتبهم بلفظ ﷺ ولفظ عليه الصلاة والسلام.

(٢٦) رواه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ١١٥) والأوسط (٤٩٣ مجمع البحرين) من رواية نعيم ابن حماد عن نوح بن أبي مريم عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن أنس مرفوعاً قال: سئل النبي من آل محمد؟ فقال: « كل تقي ».

وقال لم يروه عن يحيى بن سعيد إلا نوح بن أبي مريم، تفرد به نعيم.

قلت: نوح بن أبي مريم أبو عصمة المروزي كذبوه في الحديث وقال ابن المبارك: كان يضع. وفي نعيم بن حماد كلام..

ورواه العقيلي في الضعفاء ( ) من طريق نافع بن هر عن أنس قال: سئل النبي ﷺ من آل محمد قال: « كل مؤمن تقي ».

ومن طريقه أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٦٥) ثم قال: هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، ونافع يغلب على حديثه الوهم. قال يحيى بن معين: لا يكتب حديثه، وضعفه هو وأحمد بن حنبل وقال يحيى مرة: كذاب. وقال الدارقطني: متروك.

ورواه البيهقي في السنن (٢/ ١٥٢) من طريق نافع به وعنده بلفظ « كل تقي ».

وقال البيهقي: وهذا لا يحل الاحتجاج بمثله، نافع السلمي أبو هرمز بصري كذبه يحيى بن معين، وضعفه أحمد بن حنبل وغيرهما من الحفاظ.

ونقل المناوي في الفيض (١/ ٥٦) عن ابن حجر قال: رواه الطبراني عن أنس وسنده واه جداً.

وليس عند واحد منهم اللفظ الذي ذكره الشارح.

ومما تقدم علمت أن هذا الحديث لا يصلح أن يعمل به في فضائل الأعمال حتى عند الذين يقولون بذلك، لأن أحد شروطهم أن لا يكون الضعف شديداً. وضعف هذا الحديث شديد جداً.

إليه ، وآل المصطفى ﷺ مَن يؤول إليه بحسب النسب أو بحسب النسبة ، أمّا الأول فهم الذين حرّمت عليهم الصدقة ، وهم مؤمنو بني هاشم والمطلب . وأما الثاني فهم العلماء إن كانت النسبة بحسب الكمال الصوري أعني علم التشريع والأحكام ، والأولياء والحكماء العارفون إذا كانت [٢٧] النسبة بحسب الكمال الحقيقي أعني علم الحقيقة أي التي هي لب الشريعة من الأخذ بعزائم الأحكام ، والاهتمام التام بصفات القلب [٢٨] ، وكما حرّم على الأول الصدقة الصورية حرّم على الثاني الصدقة المعنوية أعني تقليد الغير في العلوم والمعارف الإلهية ، فآله ﷺ من يؤول إليه بحسب نسبته لحياته الجسمانية كأولاده النسبية ومَن يحذو حذوهم من أقاربه الصورية ، أو بحسب نسبته لحياته العقلية كأولاده الروحانية من العلماء [الراسخين والأولياء] الكاملين والحكماء العارفين المقتبسين من مشكاة النبوة سواء سبقوه زماناً أو لحقوه ، ولا شك أن الثانية [٢٩] آكد من الأولى [٣٠] والثانية من الثانية أكد من الأولى منها ، وإذا اجتمع النسبتان بل النسب الثلاث كان نوراً على نور ، كما في الأئمة المشهورين من العترة الطاهرة انتهى [٣١] .

---

(٢٧) في نسخة القاضي إن كانت .

(٢٨) قال الشارح : فالحقيقة الركن الأعظم في الشريعة ، فمن وجد فيه صفة العدالة واشتغل بحفظ الأحكام وحماية الشرع الشريف عن تطرق أهل البدع ولم يتطرق إلى كثرة الاهتمام بدقائق أحوال القلب وتطهيره من نحو الرياء والكبر والعجب ونحوها يعد من العلماء ، ومن عمل بعزائم أحكام الشريعة وكان له فرط اهتمام بأحوال القلب وتطهيره من الخواطر الرديئة يعد من الأولياء ، ومن وجد فيه كلا الأمرين فهو من العلماء والأولياء الجامعين بين الشريعة والحقيقة كالأئمة المجتهدين فاحفظه .

(٢٩) أي نسبته لحياته آكد من العقلية الجسمانية . قاله الشارح .

(٣٠) يعني أن نسبته لحياته العقلية تنقسم به إلى الأول الروحانية من العلماء بحسب الكمال الصوري وإلى الأولاد الروحانية من الأولياء الكاملين بحسب الكمال الحقيقي ، والثانية منها آكد ، وقيل كل منها أفضل من جهة ، وقد أوضحت ذلك في حاشية فتح المبين ، قاله الشارح .

(٣١) لا حاجة إلى هذه السفسطة الصوفية لأصحاب وجدة الوجود . فإن آل النبي ﷺ هم أهل بيته من أزواجه وأقاربه من بني هاشم وبني المطلب . =

ولنفاسة ذلك سقت جميعه، ونقله المناوي في شرح للجامع الصغير مع التزامه غاية الاختصار في ذلك الشرح (وصحبه) اسم جمع لصاحب أو جمع له بمعنى الصحابي وهو من اجتمع به ﷺ مؤمناً ومات على الإسلام (وكرماً) أي وعظمة برفعة قدره ونزهه من العيب الحسي والمعنوي. وما أحسن ما يعزى لحسان في مدحه ﷺ:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ(٣٢)

ولله در الناظم حيث بدأ في نظمه بالبسملة، ثم ثناه بالحمدلة، ثم ثلّثه بالشكر على نعمه تعالى التي من جملتها الإقدار على هذا النظم الجامع الموجز المحرر، ثم أشار إلى براعة الاستهلال بذكر سيرة النبي ﷺ، ثم بالصلاة عملاً بقوله ﷺ «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله والصلاة عليّ فهو أبتر ممحوق من كل بركة» وسنده وإن كان ضعيفاً يعمل به في الفضائل (٣٣).

وفي حديث «من صلى على رسول الله ﷺ في كتاب صلّت عليه الملائكة غدوةً ورواحاً ما دام اسم رسول الله ﷺ في ذلك الكتاب» (٣٤) ونازع في رفعه

= ثم إن مؤلف هياكل النور هو يحيى السهروردي الزنديق الذي قتله صلاح الدين الأيوبي بفتوى من علماء المسلمين.
وأما الدواني فهو صاحب كتاب إيمان فرعون وهو من أصحاب وحدة الوجود كما يظهر من كتابه ذلك وكيف يدافع بحرارة عن إيمان فرعون وقد رد عليه ملا علي القاري رداً جيداً وطبع الكتابان سنة ١٣٨٣ هجرية ١٩٦٤ ميلادية.
فلا اعتداد بقولها.

(٣٢) البيتان في ديوان حسان (ص ١٤).

(٣٣) رواه السبكي في طبقات الشافعية (١/ ١٥) بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة وفي إسناده اسماعيل بن أبي زياد الشامي قال الدارقطني في كتاب الضعفاء والمتروكين (ص ٥٩) يضع الحديث كذاب متروك. فهو حديث موضوع بهذا الإسناد.

(٣٤) رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص ٣٦) والطبراني في الأوسط (٢٤ مجمع =

ابن القيم وقال: الأشبه أنه من كلام معفر بن محمد لا مرفوعاً.

وَبَعدُ إنّ خَيْرَ شَيْءٍ آنتَظَمْ ... سيرَةُ خَيرِ مُرسَلٍ إلَى الأمَمْ

(وبعد) مع أمّا، كلمة يؤتى بها للفصل بين ذكر الله تعالى وبين الغرض المسوق له الكلام اقتداء به ﷺ، فإنه كان يأتي بها في خطبه ونحوها كما صح عنه ﷺ [٣٥]، وفي أوّل من نطق بها أقوال.

روى الديلمي في مسند الفردوس عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ [٣٦]: «أول من قال أما بعد: داود، وهذا فصل الخطاب» [٣٧] أي الذي آتاه الله تعالى. وقيل: كعب بن لؤي، وقيل: قس بن ساعدة، وقيل: غير ذلك. والذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان كما قال ابن الأثير: إن فصل الخطاب هو: أما بعد، وقد اعتاد كثيرمن المؤلفين حذف أمّا وذكر الواو

= البحرين) وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٢٨) وانظر اللآلي المصنوعة (١/ ٣٠٤ - ٣٠٥) للسيوطي والقول البديع (ص ٢٥٠ - ٢٥١) للسخاوي. واللفظ الذي ذكره المصنف بقرب منه ما رواه السيوطي عن جعفر.

(٣٥) أنظر فتح الباري (٢/ ٤٠٢ - ٤٠٦).

(٣٦) في نسخة القاضي على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

(٣٧) رواه الطبراني في الأوائل (٤٠) وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠) والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي موسى، وفي إسناده عبدالعزيز بن ثابت وهو متروك.
قال الحافظ في الفتح (٢/ ٤٠٤) وفي إسناده ضعف، وروى عبد بن حميد والطبراني عن الشعبي موقوفاً أنها فصل الخطاب الذي أعطيها داود، وأخرجه سعيد بن منصور من طريق الشعبي فزاد فيه عن زياد بن سمية. وقيل: أول من قالها يعقوب رواه الدارقطني بسند واه في غرائب مالك، وقيل أول من قالها يعرب بن قحطان، وقيل كعب بن لؤي أخرجه القاضي أبو أحمد الغساني من طريق أبي بكر بن عبدالرحمن بسند ضعيف، وقيل سحبان بن وائل، وقيل قس بن ساعدة.
والأول أشبه، ويجمع بينه وبين غيره بأنه بالنسبة إلى الأولية المحضة، والبقية بالنسبة للعرب خاصة، ثم يجمع بينها بالنسبة إلى القبائل.

مكانها، إما بطريق التعويض عنها أو للعلم بحذفها رعايةً للاختصار، وفي حصول ثواب العمل بالسنة بذلك تردد.

ثم تضمن أما معنى الشروط وذكر الفاء في جوابها غالباً وفي لغات دال (بعد) وانقطاعه عن الإضافة وبنائه. كلام ليس هذا محل بسطه، أي وبعدما تقدم من الثناء على الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله ﷺ فأقول (إن) حذف الفاء في جواب أمّا واجب عند الجمهور إذا حذف معه القول كما في قوله تعالى ﴿وأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم﴾ أي فيقال لهم: أكفرتم ولذا قدرت أقول في النظم، على أن الحذف جاء في الشعر بكثرة، وأن ابن مالك صرح بجوازه في النثر أيضاً بقلة تمسكاً بما ورد في الأحاديث الصحيحة (٣٨). ومبالغة أبي حيان ومن تبعه في الرد عليه وهم منهم. وقد شددت الإنكار عليه في حاشية النهجة المرضية (٣٩). وأنه يحتمل الفرق بين أما بعد وقولهم: وبعد في التزام

---

(٣٨) قال الشارح: كقوله ﷺ: «أما بعد ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله تعالى» الحديث «أما كأني أنظر إليه» الحديث وقوله «فأما من أهل بالحج والعمرة لم يحلوا» الحديث، وكلها في صحيح البخاري.
قال الكرماني نقلاً عن المالكي: من خص الحذف بما إذا حذف القول معه فهو مقصر في فتواه عاجز عن نصرة دعواه.
قلت: الأحاديث المذكورة في صحيح البخاري الأول (٢١٦٨) والثاني (١٥٥٥) والثالث (١٥٦٢).

(٣٩) قال الشارح في حاشية النهجة المرضية (١٩٥ - ١٩٦ من مخطوطتي) قال ابن القاسم: لم ينبه على ذلك في الكافية ولا في التسهيل، فهو من زيادات الألفية.
قلت: وينبغي التوقف في قبوله إذ لم يذكره أحد من النحاة غيره، وإنما أخذه من حديث «أما بعد ما بال رجال» وقد أكثر من أخذ أحكام نحوية لم يسبق إليها من الأحاديث.
وبالغ أبو حيان وغيره من المتأخرين في الرد عليه بسبب ذلك وقالوا: الأحاديث ليست مقطوعة بأنها رويت بلفظ النبي ﷺ، بل هي مروية بالمعنى رواه الأعاجم والمولدون واللحانون فلحنوا فيها، فلهذا لم يستدل أحد من المتقدمين على إثبات قاعدة نحوية بما ورد في الأحاديث انتهى.

الفاء في جواب الأول دون الثاني ويؤيده قول بعضهم: الفاء في نحو وبعد فهذا للتزيين، وبعض آخر أنه لدفع توهم الإضافة (خير) كلِّ (شيء انتظم) أي صار منظوماً من العلوم والمدائح (سيرة) أي علم يبحث فيه عن سيرة (خير) كل (مرسل إلى الأمم) هو على التوزيع أي كل منهم مرسل إلى أمته إذ لم يكن لغير نبينا ﷺ عموم بعثة إلى جميع الأمم.

ففي الصحيحين «وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[٤٠] وفيها ايضاً «بعثت الى الأحمر والأسود»[٤١] أي العجم والعرب على أحسن الأقوال فيه. وفي صحيح مسلم «وأرسلت الى الخلق كافةً»[٤٢].

= قلت: وفي هذا الكلام من السخافة ما لا يخفى، وإن لم أر من نبه عليه، لأن جواز رواية الحديث بالمعنى مشروط بأن يكون من عالم بالألفاظ والتراكيب العربية إجماعاً كما قال ابن الصلاح وغيره، فلا يغير الحديث إلى ما لا يجيزونه.

على أن الأحاديث دونت في زمن الصحابة والتابعين وهم أهل اللسان، ثم رواها وتداولها من بعدهم من غير تبديل ما دونوه.

والأحاديث المتعددة الطرق تعدداً يفيد التواتر لا يتطرق إليها الاحتمال المذكور.

والعجب يستدل بما يسمعه مثل الكسائي وسيبويه من العرب وهم في زمان اللحن، ولا يستدل بما يسمعه مثل الإمام مالك من أحاديث أهل اللسان ثم دونه في الموطأ مثلاً ولم يتغير بعد.

وإنما لم يكثر المتقدمون من الاستدلال بالأحاديث لعدم اشتغالهم بها انتهى.

ثم علق على قوله وإن لم أر من نبه عليه بقوله: ثم رأيت القاضي زكريا بعد ذلك في حاشية شرح ابن الناظم في مبحث لولا صرح بمضمون ما ذكرته، فشكرت الله تعالى على ذلك فقال: ما قاله هؤلاء مردود بأنه يؤدي إلى رفع الوثوق عن جميع الأحاديث أو غالبها، على أنه إنما يتم لو لم يكن رواة الحديث عرباً، أما إذا كانوا عرباً وهو الظاهر فلا، لقيام الحجة بلسانهم.

(٤٠) عند البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١) والنسائي (١/ ٢٠٩ - ٢١٠) وفي نسختي كل نبي.

(٤١) لم يروه البخاري بهذا اللفظ وإنما رواه مسلم فقط في حديث جابر المتقدم.
ورواه أحمد (٥/ ١٤٥ و ١٤٨) والدارمي (٢٤٧٠) بهذا اللفظ من حديث أبي ذر.
وعند أحمد (١/ ٢٥٠) من حديث ابن عباس.

(٤٢) رواه مسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة.

وأجمعوا على شمول الناس والخلق في الأحاديث كالناس في آية ﴿وما أرسلناك إلا كافةً للناس﴾ والعالمين في ﴿ليكـون للعـالمين نـذيـراً﴾ للجـن كالإنس، فكفّروا منكر رسالته ﷺ إليهم، وفي الشمول للملائكة خلاف، ورجح السبكي أنه مرسل اليهم أيضاً، واختار بعضهم أنه مرسل إلى الجمادات أيضاً حتى أقرت بعد تركيب الفهم فيها برسالته ﷺ تعظيماً له.

ولا يرد على حصر عموم البعثة فيه ﷺ رسالة نوح إلى جميع من بقي معه بعد الطوفان من المؤمنين، لأن ذلك العموم لم يكن من أصل بعثته بل وقع اتفاقياً، لانحصار الخلق في الموجودين معه بعد هلاك الناس، وأما قبل الطوفان فلم يعلم ذلك العموم. وإنما دعا على جميع من في الأرض. لأنه لما دعا قومه إلى التوحيد وطال مدته بلغ دعوته بقية الناس فتمادوا على الشرك فاستحقوا العذاب، وإليه مال ابن عطية وله أجوبة أخرى يطول ذكرها.

ثم خيريته ﷺ من جميع المرسلين بل من جميع العالمين معلومة من القرآن بقوله ﴿كنتم خير أمّة أخرجت للناس﴾ [لأن شرف الأمة][٤٣] بشرف نبيها وبقوله تعالى: ﴿ورفع بعضهم درجات﴾[٤٤] قال المفسرون يعني محمداً ﷺ. وقال الزمخشري في هذا الإبهام من تفخيم [فضله وإعلاء] قدره ﷺ ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمميز [المتميـز] الذي لا يلتبس[٤٥]، وغير ذلك من الآيات المشتملة على رفعة قدره على الخلق تصريحاً أو تلويحاً كما يظهر لمن تأمل فيها.

---

(٤٣) ما بين المعكوفين من نسخة القاضي.

(٤٤) قال الشارح: ومن تلك الدرجات أن آياته ومعجزاته أكثر وأبهر، وزاد عليهم بخصائص ومعجزات لم يقع نظيرها لأحد.

(٤٥) كذا في الكشاف (١/ ٢٩٧) وما بين المعكوفين من الكشاف.

ومن الأحاديث بقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم»(٤٦) وفي رواية «أنا أكرمهم على ربي»(٤٧) وفي حديث البخاري وغيره «أنا سيد الناس يوم القيامة»(٤٨) وفي حديث الحاكم وصححه: «أنا سيد العالمين» وفي حديث الترمذي وحسنه البلقيني «وأنا أكرم الأولين والآخرين»(٥٠) «وصح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وله حكم الحديث المرفوع إذ مثله لا يقال من قبل الرأي والقياس [لولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن](٥١) وفي روايات أخرى «لولاه ما خلقت السماء ولا الأرض ولا الطول ولا العرض ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنةً ولا ناراً ولا شمساً ولا قمراً»(٥٢).

وصح عن بحيرا وهو من علماء أهل الكتاب الذين لا يقولون شيئاً إلاّ عنه:

---

(٤٦) رواه أبو يعلي في مسنده ( ) وعنه ابن حبان (٢١٢٧) ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٧٩٣) والطبراني في الكبير (ص ٨٣) من قطعة عندي من حديث عبدالله بن سلام وإسناده صحيح. وورد من حديث غيره وانظر سلسلة الصحيحة (٤/ ٩٩ - ١٠١).
ورواه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة.

(٤٧) رواه الترمذي (٣٦٨٩) والدارمي (٤٩) من حديث أنس بلفظ «أنا أكرم ولد آدم على ربي» وسنده ضعيف لأن فيه ليث بن أبي سليم وكذلك رواه أبو نعيم في الدلائل (١٠١) والبغوي في شرح السنة (٣٦٢٤).

(٤٨) هو عند البخاري (٤١٧٢) ومسلم (١٩٤) وغيرهما.

(٥٠) رواه الترمذي (٣٦٩٥) والدارمي (٤٨) وأبو نعيم في الدلائل (١٠٩) وهو حديث ضعيف لأن في إسناده زمعة بن صالح وهو ضعيف، وهو من حديث ابن عباس عندهم.

(٥١) رواه الحاكم (٢/٦١٤ - ٦١٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، فتعقبه الذهبي بقوله: أظنه موضوعاً على سعيد.

(٥٢) لم يذكر المصنف من روى هذا ولا شك في وضعه لأنه مخالف للقرآن الكريم.

هذا سيد العالمين[٥٣] وصح أيضاً عن عبدالله بن سلام الصحابي الجليل إمام أهل الكتاب بشهادته ﷺ أنه ذكر بالمسجد يوم الجمعة أموراً منها : وأنا أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم[٥٤] ﷺ فقيل له : فأين الملائكة ؟ فضحك وقال للسائل : يا ابن أخي هل تدري ما الملائكة ؟ إنما الملائكة خلق كخلق السموات والأرض والرياح والسحاب والجبال وسائر الخلق التي لا تعصي الله عز وجل شيئاً ، وإن أكرم الخلق على الله تعالى أبو القاسم ﷺ .

وبيّن السراج البلقيني أن هذا في حكم المرفوع ، وهو كذلك لما مرّ ، ثم قال : واعتقاد تفضيله ﷺ وكذا سائر الأنبياء على جميع الملائكة من مسائل أصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلّف ، ووجب سوق الأدلة على كل من تأهّل لذلك ، وأطال في الحط والردّ على من زعم أن هذا ليس مما كُلّفنا بمعرفته .

وجزم البدر الزركشي وغيره بأن مَن وافق المعتزلة منا في تفضيل الملائكة ، فكلامه في غير نبينا ﷺ .

وروى البيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن الله فضّل محمداً ﷺ على أهل السماء و[على أهل] الأرض .

وصح في الحديث المشهور : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان

---

(٥٣) هو حديث صحيح رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٤٧٩ و ١٤/ ٢٨٦) والترمذي (٣٦٩٩) وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٢١٧ - ٢١٨) والحاكم (٢/ ٦١٥ - ٦١٦) والبيهقي في الدلائل (١/ ٣٧٠ - ٣٧١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١٨٧ - ١٨٨) والخرائطي في الهواتف من حديث أبي موسى الأشعري. وقد رددت على من طعن في الحديث في (ص ٦٧ - ٧١) من العدد الثالث السنة العاشرة من مجلة الجامعة التي تصدرها جامعة الموصل. وأسهبت في الرد وبينت من صحيح الحديث ومن رواه.
ولكن ليس في روايات الحديث أن الراهب هو بحيري بل ذكر باسم الراهب فقط.

(٥٤) هو عند الطبراني مختصراً (ص ٨٣) من مخطوطتي. ورواه أبو نعيم في الدلائل (٨٩).

الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » الحديث (٥٥).

فتأمل في عموم ما سواهما للملائكة وغيرهم، والأحاديث في ذلك كثيرة.

ومن الإجماع فقد حكى الإمام الرازي في تفسيره الإجماع على تفضيله ﷺ على جميع العالمين من الأنبياء والرسل والملائكة وغيرهم بالأولى، واستثنوه ﷺ من الخلاف في التفضيل بين الملك والبشر، نقله السيوطي في شرح الكوكب. وأما نهيه ﷺ في بعض الأحاديث عن تفضيله على الأنبياء فمحمول على التواضع، أو على تفضيل يؤدي إلى تنقيص، أو إلى حط من مقام أحدهم، أو هو قبل الوحي إليه بأنه أفضلهم.

وَخُلَفَائِهِ الذِينَ بَعْدَهُ الرَّاشِدِينَ التَابِعِينَ قَصْدَهُ

(وخلفائه) عطف على خير أي وسيرة خلفائه الخمسة الآتي ذكرهم في آخر الكتاب (الذين بعده) أبي بكر فعمر فعثمان فعلي فالحسن رضي الله تعالى عنهم، ووصفهم بالبعدية، احتراز عن خلفائه على المدينة المنورة حين خروجه منها إلى غزو أو غيره أو هو صفة موضحة بناء على اشتهار هذا اللفظ فيمن بعده ﷺ (الراشدين) المهديين كما جاء وصفهم بذلك في قوله ﷺ في الحديث الحسن أو الصحيح « إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضّوا عليها بالنواجذ »(٥٦) والأدلة على اتصاف أولئك الخلفاء

---

(٥٥) رواه أحمد (٣/ ١٠٣ و ١٧٢ و ١٧٤ و ٢٠٧ و ٢٣٠ و ٢٤٨ و ٢٧٥ و ٢٨٨) والبخاري (١٦ و ٢١ و ٦٠٤١ و ٦٩٤١) ومسلم (٤٣) والترمذي (٢٧٥٩) والنسائي (٨/ ٩٤ - ٩٥ و ٩٦ و ٩٧) والبغوي في شرح السنة (٢١) وعبد بن حميد في المنتخب من المسند (١٣٢٣).

(٥٦) رواه أحمد (٤/ ١٢٦) ومن طريقه أبو داود (٤٥٨٣) وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٢٢٤) والترمذي (٢٨١٥) وابن ماجه (٤٤) وابن حبان (٥) والبيهقي في مناقب الشافعي (١/ ١٠ - ١١) والاعتقاد (١١٢ - ١١٣) وغيرهم وقد فصلت القول في تخريجنا وتعليقنا على أحاديث المعتبر (ص ٧٦ - ٧٨) للزركشي وهو من حديث العرباض ابن سارية.

بالرشاد، وهو ضد الضلال كثيرة مشهورة، وسيأتي جمل منها إن شاء الله تعالى (التابعين قصده) [و] القصد استقامة الطريق أي طريقه المستقيم.

نَظَمْتُهـا في غـايـة اختِصـارِ   مُـرتَجلاً لَعَـلَّ في نهـار

(نظمتها) أي سيرة من ذكر تسهيلاً لضبطها وحفظها لأن حفظ النظم أسهل كما هو مشاهد، ولذا أكثر المتأخرون من نظم العلوم حتى لم يبق علم إلاّ وقد نظم، لما رأوا من قصور الهمم وميلهم إلى الاختصار والمنظم حال كونها (في) أي مع كما في قوله تعالى (ادخلوا في أمم) أي معهم (غاية اختصار) وإيجاز ترغيباً في حفظها وقد قال الأوائل: يبسط الكلام ليفهم ويوجز ليحفظ، ففيها سبب الحفظ النظم والاختصار حال كوني (مرتجلاً) أي منشئاً نظمها من غير تهيئة وتأمل كثير قبله، كما هو عادة غيري وذلك يدلّ على مهارته وشدة إتقانه له في العلوم لا سيّما الحديث والقراءة، ومن ثمة قال فيه الأئمة: إنه تاج القرّاء والمحدثين (لعلّ) ذلك النظم إذا جمع أوقاته المتفرقة(*) كان (في) مقدار (نهار) فهو كرامة له، لأن مجرد كتابته يعجز عنه غالب الكتّاب في مقدار يوم فكيف مع تأليفه ونظمه وتحريره، وذكر ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى وليعلم الناس مقدار علمه ليأخذوا عنه.

بِرَسمِ سُلْطـانِ الوَرىٰ مُحَمَّـدِ   صاحِبِ شيراز الرضـا المُـؤَيَّـدِ

وذلك النظم أريد (بِرَسم) أي بأمره من رسم له كذا أمره به، أو هو من الرسم بمعنى العلامة أي وسمته بوسمه واشتهرت أن النظم كان لأجله ليكون

(*) قال الشارح: وسألني الفاضل المحدث الشيخ محمد المعروف بالعقاد الساكن في جدة وكنت إذ ذاك مسافراً هناك عن وجه إدراج الناظم كلمة لعل المشعرة بعدم الجزم مع علمه بأنه في كم ألفها، فقلت له إنه لاشتغاله بأمور أخر لم يصرف يوماً على حدة في نظمها بل نظمها في أوقات متفرقة، لكن لقلتها ظن أنها لو جمعت كانت مقدار يوم فاستحسنه، وكذا قررت به النظم.

سبباً لازدياد الناس محبته (سلطان) جميع (الورى) أي الخلق من الممالك الإسلامية وغيرها، وإن لم ينقادوا له لبغيهم وكفرهم[٥٧] (محمد)[٥٨] عطف بيان له، وهو السلطان الجليل المحب للعلماء والصلحاء ابن السلطان المجاهد الذي كان من خيار ملوك الأرض السعد بايزيد بن السلطان العادل المفني عمره في الجهاد مرادخان بن السلطان ذي الكرم الوافر والعدل المتكاثر أورخان ابن الملك المجاهد العادل المحسن إلى الأيتام والأرامل السلطان عثمان أول السلاطين العثمانية في ممالك الروم أدام الله تعالى ملكهم، فإنهم من أعظم سلاطين الدنيا شوكةً

---

(٥٧) في نسختي أو كفرهم.

(٥٨) قال محمد أمين العمري في كتابه « منهل الصفا ومسرح الوفا في كشف الخفا عن ذات الشفا » (١/ ١٣/ ٢) ولم أقف على ترجمة محمد المذكور، ثم لما منَّ الله تعالى بإخراج المسودة إلى البياض وقفت على شرح لبعض علماء الأكراد ـ يقصد ابن الحاج ـ ذكر أنه محمد بن السلطان أبي يزيد بن السلطان مراد بن السلطان أورخان بن عثمان أول السلاطين العثمانية أدام الله تعالى ملكهم، وهو فاسد لأن الشيخ كان اتصل بخدمة اللنك وكان قد ولاه قضاء شيراز وهي من بعض ممالك تيمور، فمن أين يكون السلطان محمد صاحبها ولم تصل عساكره إليها، وكان عليه عدة مخالفين من إخوته وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم، واستمر قتالهم ونزاعهم بعد أبي يزيد اثنتي عشرة سنة إلى أن غلب السلطان محمد فاستقل بها سنة ست عشرة وثمان مئة، وسلطنته ثمان أو تسع سنين.

وبعد في هذا المقام تأمل لأنه ذكر في آخر السيرة أنه عملها في تاريخ سنة ثمان وتسعين وسبع مئة في ثالث يوم من وقوع الملحمة في دولة الملك أبي يزيد العثماني، وهو إذ ذاك في خدمته، ولم يكن قد وصل إلى شيراز، ولعله كان قد نظمها في ذلك التاريخ ثم جعلها برسم صاحب شيراز حين دخلها قاضياً أيام تيمور، لكن قوله برسم يفيد أن علة النظم الملك المذكور، ولعل شيراز كانت لأبي يزيد وكان محمد المذكور فيها من قبله والله تعالى أعلم انتهى.

ثم قال محمد أمين العمري في تعليقه على شرحه المذكور: ولعله شيزر بتقديم الزاي وهي من قلاع الشام، لكن لما كان الشيخ قد ولي قضاء شيراز ظن أنه شيراز والله أعلم.

ثم قال في تعليق آخر: وأظن أن شيراز تحريف وإنما هو سيواس لأنه كان السلطان محمد قد وليها في حياة أبيه وحرفت على الكتاب فكتبوا شيراز والله أعلم.

وهيبةً وله نسب متصل بيافث بن نوح عليه الصلاة والسلام، وكان جده سليمان شاه سلطاناً في بلاد هامان وبلخ فلما ظهر جنكيزخان خرّب[59] بلاد بلخ وتفرقت أهلها في سنة إحدى عشر[ة] وستمائة إلى الأماكن، قصد[60] سليمان شاه مع أولاده بلاد الروم، وكان قد سمع بدولة السلاجقة بالروم وعظم شوكتهم وكثرة غزوهم إلى الكفار، وتبعه في ذلك خلق كثير فقاتلوا مع الكفار في الطريق فغنموا كثيراً، ثم قصدوا صوب حلب فوصلوا إلى نهر الفرات أمام قلعة جعبر ولم يعلموا المعبر فعبروا النهر فغلب عليهم الماء فغرق سليمان شاه فأخرجوه ودفنوه هناك، وقبره يزار ويتبرك به، فرحمه الله تعالى وآتاه ثواب المهاجرين، وتفصيل أحوالهم لا يسعه المقام.

وما ذكر كان بسبب هجرتهم إلى بلاد الروم، ثم ما زال أمرهم يزداد علواً وقرباً عند السلطان الأعظم السلجوقي لعدالتهم وكثرة نصرتهم في الغزوات إلى أن ولاّهم الله تعالى الخلافة، فأولهم السلطان عثمان الغازي كما مرّ.

(صاحب) نعت محمد، والإضافة للاستمرار فهو[61] معنوية، فصح وقوعه صفةً للمعرفة لا بمعنى الحال والاستقبال (شيراز) غير منصرف للعجمة والعلمية، مدينة صحيحة الهواء عذبة الماء كثيرة الخيرات وافرة الغلات، وهي أحسن بلاد فارس بناها شيراز بن طمهورث[62]، فسميت به كما في القاموس وغيره، ثم أحكم بناءها ابن بويه، زعموا أن من قام بشيراز سنة يطيب عيشه من غير سبب يعرفه، ومن عجائبها شجرة تفاح (التفاح) نصف تفاحتها في غاية الحلو ونصفها الآخر حامض[63]، ولعله إنما وصفه بكونه صاحبها لاستيلاء

(٥٩) في نسختي أخرب.
(٦٠) في نسختي وقصد.
(٦١) في نسختي ونسخة القاضي فهي وهو الصحيح.
(٦٢) في النسختين المذكورتين طهمورث.
(٦٣) في معجم البلدان وصف دقيق لهذه المدينة ومنه ما ذكره الشارح.

الأعاجم من الرافضة والكفار عليها قبل، فوسع الله تعالى الإسلام بسببهم، وفي زماننا عاد إلى ما كان وطلع بها قرن الشيطان نعوذ بالله من فتن الزمان (الرضا) بكسر الراء وهو مصدر جعل نعتاً ثابتاً بتأويله باسم المفعول أي المرضي حاله وشيمه عند الخلق والخالق (المؤيد) من جانب الله تعالى.

أَسْأَلُ رَبّـي أن يُعِـزّ الدّينـا ... بِـهِ وَيُهْلِـكَ العِـدا البـاغينـا
فَلَيْسَ عِندي مِنْ هَـدايـا تَصْلـحُ ... سِوى دُعـاء لَسْـتُ عَنْـهُ أبـرحُ

(أسأل ربي أن يعزّ الدينا) بألف الإطلاق أي يقوي الدين (به) بعد ذلته، من أعزّه أي قوّاه بعد ذلّه (و) أن (يهلك العدىٰ) بكسر العين وضمها اسم جمع للعدو وهو ضد الصديق للواحد والجمع والذكر والأنثى وقد يؤنث ويثنى ويجمع، فجمعه أعداء وجمع جمعه أعـاد (البـاغينـا) ألفـه للإطلاق أيضـاً أي الخارجين عن طاعته (فليس) الفاء للتعليل أي وإنما دعوت له بما مرّ إذ ليس (عندي) ما يليق بحضرته (من) بيان لمحذوف مثل ما قدرته أو زائدة لتأكيد النفي وهو الظاهر (هدايا) بفتح الهاء جمع هدية وهي ما يقصد به تعظيم المهدى إليه بخلاف الصدقة يقصد بها التوسعة على المتصدق عليه، ومن ثمة حلّت الهدية للنبي ﷺ دون الصدقة (تصلح) بضم اللام وفتحها من صلح ككرم ومنع نعت هدايا أي تصلح للعرض عليه من الأموال الدنيوية، فالاستثناء بعده بقوله: (سوىٰ دعاء) منقطع لعدم دخول الدعاء في الأموال، وإن جعل الهدايا أعم من الأموال الدنيوية والدعاء، فالاستثناء متصل، ويكون قوله الآتي: وهذه هدية الخ. من جملة المستثنى من حيث المعنى (لست عنه أبرح) أي لا أبرح ولا أزال ما عشت من الدعاء بدوام دولته وازدياد هدايته وتنكيل الأعداء بنعمته جزاءاً لشكر نعمته، لقوله ﷺ: «أنّ أشْكَرَ الناس لله تعالى أشكَرُهُمْ للناس»[٦٤] وفي

(٦٤) رواه أحمد (٥/ ٢١١ و ٢١٢) والطبراني في الكبير (٦٤٨) والبيهقي في الشعب والضياء في المختارة والقضاعي في مسند الشهاب (٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨) من حديث الأشعث بن قيس وله شواهد. منها الحديث بعده.

رواية « لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس » رواه الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه [٦٥]. ولقوله ﷺ : « من اصطنع إليكم معروفاً فجازوه ، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم فإن الله تعالى شاكر يحب الشاكرين » رواه الطبراني في الأوسط [٦٦].

وَهٰذِهِ هَدِيَّةٌ إِلَيْهِ ... لِكَوْنِهِ مَحبوبَةٌ لَدَيْهِ
وَلَيْسَ مِثْلَهُ مُحِبُّ العُلَما ... لأَنَّهُ أَقْدارهم قَدْ عَلِمَا

(وهذه) المنظومة (هدية إليه) أي إلى السلطان (لكونها محبوبة لديه) لأنه من أهل العلم الكمل (وليس مثله) خبر ليس مقدم على اسمه وهو (محب العلما) بالقصر للوزن (لأنه أقدارهم) جمع قدر بالفتح والسكون وهو التعظيم قال الله تعالى: ﴿وما قدروا الله حقّ قدره﴾ أي ما عظّموه حق تعظيمه ، ومبلغ الشيء والتدبير ويصح الكل هنا لأنه (قد علما) بألف الإطلاق بتعظيمهم ومبلغ شرفهم وكمالهم، وتدبير كل حسب ما يليق برتبته ، إذ هو من الأفاضل « فإنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل » كما رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه [٦٧]، فينزل كلاً منزلته وفي كلامه وصف السلطان بأنه عادل في رعيته ومحب للعلم وأهله [و] قائم بموجبه فصار من رجال الدنيا والآخرة كما قال ﷺ « ليس الرجل رجل الدنيا وحدها ولا الرجل رجل الآخرة وحدها بل الرجل رجلها » [٦٨] لأنه أتقن أمور الدنيا والأخرى ، فكان كُلٌّ من دنياه وأخراه سبباً

(٦٥) رواه أحمد (٢/ ٢٥٨ و ٢٩٥ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٨٨ و ٤٦١ و ٤٩٢) وأبو داود (٤٧٩٠) والترمذي (٢٠٢٠) والبخاري في الأدب المفرد (٢١٨) وابن حبان (٢٠٧٠) وأبو الشيخ في كتاب الأمثال (١١٠) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٢و ٧/ ١٦٥و ٨/ ٣٨٩) والقضاعي في مسند الشهاب (٨٢٩) من حديث أبي هريرة. ورواه أحمد (٥/ ٢١١ و ٢١٢) والقضاعي في مسند الشهاب (٨٣٠) من حديث الأشعث بن قيس.

(٦٦) في إسناده عبدالوهاب بن الضحاك وهو متروك كذاب ، وهو من حديث ابن عمر .

(٦٧) هو حديث موضوع انظر تعليقنا على مسند الشهاب (١١٦٤).

(٦٨) لم أره بهذا اللفظ فيما لدي من المراجع وإنما رأيت حديث أنس: « ليس بخيركم من ترك =

لكمال رفعته، وهو غاية الوصف له، فحق أن يقال في حقه:

فَلْيَهْنِهِ بأنَّهُ مَنْصورُ وَهْوَ في زُمْرَتِهِمْ مَحشورُ
سَمَّيْتُها تفاؤلاً ذاتَ الشِّفا في سيرة النَّبيِّ ثُمَّ الْخُلَفا

(فَلْيَهْنِهِ بأنه منصور) أيْ فليقل له ما مرّ من الوصف أوكل أحد من العلماء لدلالة ما تقدم عليه ليهنك أنك منصور، من هنأه بالأمر أي قال له ليهنئك ويسرك، أو الباء زائدة وأن مع مدخولها في تأويل المصدر فاعل فليهنه أي فليسرّه نصرته على الأعداء. وبه يعلم أنه مهموز في الأصل ـ حذفت الهمزة تخفيفاً. ثم رأيت بعضهم صرح بذلك (وهو في زمرتهم) أي مع طائفة العلماء العاملين (محشور) يوم القيامة لأن المرء مع من أحب من الأكابر، وإن لم يعمل بعملهم كما صح به الحديث (سميتها) أي المنظومة (تفاؤلاً) أي لأجل التفاؤل أو حال كوني متفائلاً (ذات الشفا) مفعول ثاني لسميتها، وقصر الشفا للوزن وللإيماء إلى التواضع بأنه قاصر عن ذكر جميع سيره ﷺ في نظمه، فهي ذات شفاء قاصر، وتعريفه باللام للتعميم، أي سميتها بذلك لرجائي أو راجياً من الله الكريم أن يجعلها ذات الشفاء من جميع أدواء الجهل بسيره ﷺ، ويحتمل أن يكون التفاؤل باعتبار أن تكون منظومته ذات كتاب الشفا في أخلاق المصطفى مؤلف القاضي عياض الذي هو من أجمع الكتب في هذا الباب أي أرجو أن تكون منظومتي مع غاية اختصارها ذات كتاب مسمى بالشفا ومشتملة على خلاصة ما فيه، وهذا وإن كان بعيداً فيه لطف.

(تنبيه) التفاؤل مأخوذ من الفأل بالهمزة، والعامة تخففها بالألف وهو ضد الطيرة أي التشاؤم، ولا يكون إلاّ في السوء، وقيل الفأل عام فيما يسر ويسوء، في

= دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً، فإن الدنيا بلاغ الآخرة» وهو حديث باطل انظر سلسلة الضعيفة والموضوعة (١/ ٥٠٧ ـ ٥٠٩) لشيخنا محمد ناصر الدين الألباني.

الحديث أنه كان يتفاءل ولا يتطير (٦٩) ، وفيه أيضاً أنه يحب الفأل الحسن (٧٠) .

قال ابن الأثير في النهاية: معنى التفاؤل مثل أن يسمع مريض من غيره يا سالم، أو طالب ضالة من أحد يا واجد فيتفاءل به ويقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالته، ومنه الحديث: قيل يا رسول الله ما الفأل؟ فقال: « الكلمة الطيبة يسمعها أحدكم » وإنما أحب رسول الله ﷺ الفأل لأن الناس إذا أمّلوا فائدة الله تعالى ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي كانوا على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن نفس الرجاء من الله خير لهم وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله تعالى فهم على الشر، وأما الطيرة ففيها سوء الظن بالله تعالى وتوقع البلاء انتهى (٧١) .

فمقتضى هذا أن الناظم سماها ذات الشفا ليتفاءل به الناس ويقع في ظنهم أنها شفاء لداء جهلهم، ويؤيده تصريح بعض المحققين بأن التفاؤل يكون من السامع والرجاء من المتكلم فحينئذ يشكل نصب تفاؤلاً في كلامه على المفعول له لعدم اتحاد فاعله وفاعل عامله مع أنه شرط فيه، وعلى الحالية أيضاً وهو ظاهر، ولذا أولت التفاؤل في كلامه على مطلق الرجاء كما مرّ تقديره فتأمله (٧٢) .

(في سيرة النبي) ﷺ (ثم الخلفا) بالقصر للوزن.

---

(٦٩) رواه أحمد (١/ ٢٥٧ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣١٩) وأبو داود الطيالسي (١٧٧٥) والبغوي في شرح السنة (٣٢٥٤) والضياء في المختارة (٥٠/ ٦٥/ ١) وهو صحيح من طريق الضياء.

(٧٠) رواه ابن ماجه (٣٥٣٦) من حديث أبي هريرة ولفظه كان النبي يعجبه الفأل الحسن، وهو حديث صحيح.

(٧١) انظر النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦).

(٧٢) في نسختي ونسخة القاضي تقريره فتأمله.

قال الشارح: وجهه أنه يمكن أن يقال: إن التفاؤل حقيقة فيما ذكر، ثم اتسع في استعماله في =

وَهـا أنـا أَشْـرَعُ في المقصـودِ   مِـنْ نَظْـمِ دُرِّ لـؤلـؤٍ منضـودِ
على الصَّحيحِ مـن خلاف حَصَلا   وَحَسْبُنـا الله تعـالى وعَـلا

(وها) حرف تنبيه جيء به للدلالة على الانتقال من كلام إلى آخر (أنا) بإشباع حركة النون حتى يتولد منه ألف كقوله: أنا سيف العشيرة فاعرفوني...

وكما في قراءة نافع (أنا أحيي الموتى) بالألف وهو لغة في أنا بلا ألف، وله لغات أخر بينتها بأدلتها في كتابي: تحف الخلان لإشحاذ الأذهان في الألغاز (٧٣) النحوية (أشرع في المقصود من نظم در لؤلؤ) عطف بيان للدر، إذ الدر هو اللؤلؤ يصح أن يجعل مركباً إضافياً من قبيل سعيد كرز بالتأويل المشهور (منضود) من نضده فهو نضيد ومنضود أي مجعول بعضه فوق بعض ومتراكم بلا ترتيب فبالنظم يصير مرتباً متناسقاً (على) القول (الصحيح) المشعر بفساد مقابله (من خلاف حصلا) بين العلماء، والألف للإطلاق، وهذا حسبما ظنه واطلع عليه رحمه الله تعالى، فلا ينافي استدراكي عليه في مواضع تأتي إن شاء الله تعالى (وحسبنا) أي كافينا في جميع مهماتنا (الله تعالى) وتقدس في ذاته وصفاته وأفعاله، وتعالى غير متصرف لم يستعمل منه المضارع (وعلا) بمعناه فهو إطناب في مقام المدح.

(بيان نسبته ﷺ)

مُحَمَّـدٌ نَبِيُّنـا إن يَنتَسِـبْ   فَهُوَ ابن عَبدِ اللهِ عَبدِ الْمُطَّلِب

(محمد) ﷺ مبتدأ وخبره الجملة الشرطية التي بعده (نبينا) بدل أو عطف بيان له، و «نا» عبارة عن الثقلين (أن ينتسب) بالبناء للفاعل على ما اشتهر

= مطلق الرجاء أو يجعل المتكلم كأن له نفسين يسمع بإحداهما من الأخرى كما يعتبر ذلك في مقام المحبة والعشق وتوبيخ النفس والوعظ وغيرها.

(٧٣) في نسختي ونسخة القاضي الألفاظ النحوية.

إعرابه في النسخ أي أن يذكر نسبه، في القاموس: انتسب فلان أي ذكر نسبه (فهو) محمد (بن عبدالله) الذبيح، وفي ترتيب الجزاء على الشرط نظر، لأن نسبه الشريف ثابت في الواقع لا يتوقف على ذكره ﷺ فلا بد من التقدير أي فهو قائل أو يقول: أنا محمد بن عبدالله إلى آخره، ومثله كثير في النظم، ويدل له ما رواه البيهقي في الدلائل عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ». إلى « معد بن عدنان »(٧٤) بقي أنه لا وجه لذكر (إن) الدال على التردد، لأنه ﷺ ذكر نسبه الشريف كما مرّ في حديث البيهقي وكما يأتي عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان(٧٥)، ويمكن أن يجاب بجعل: (إن) بمعنى (إذ) الظرفية على حد ﴿وخافوني إن كنتم مؤمنين﴾ لأن إيمانهم محقق(٧٦).

هذا كله على ما اشتهر من إعراب ينتسب بالبناء للفاعل، ولو قرىء مجهولاً لارتفع الإشكال من أصله(٧٧) فهو الأولى وإن كان فيه عيب السّناد(٧٨) المقرر

---

(٧٤) رواه البيهقي في الدلائل (١/ ١١٧ - ١١٨) وفي إسناده عبدالله بن محمد بن ربيعة القادمي قال ابن حبان في كتاب المجروحين (٢/ ٣٩) كان تقلب له الأخبار فيجيب فيها، كان أفته ابنه، لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل الاعتبار، ولعله أقلب له على مالك أكثر من مئة وخمسين حديثاً فحدث بها كلها. فهو حديث ضعيف جداً.

(٧٥) رواه ابن سعد (١/٥٦) من حديث ابن عباس وهو حديث موضوع لأن في إسناده هشام ابن محمد الكلبي وهو متروك ووالده كذاب وأبو صالح لم ير ابن عباس.

(٧٦) قال الشارح ولو قال:

كان يقول المصطفى إذ انتسب ... أنا ابن عبدالله بن عبدالمطلب

لكان واضحاً سالماً من الإشكال.

(٧٧) وفي صحة جعله مجهولاً نظر لأن الفعل اللازم ليس له مفعول به حتى ينوب مناب الفاعل كما علم من كلام القاموس، قاله الشارح.

(٧٨) قال الشارح: السناد بكسر السين من عيوب القوافي، وهو أنواع منها اختلاف حركة ما قبل =

في علم القوافي، لأنه مع قبحه جاز استعماله ابن (عبدالمطلب) بتشديد الطاء بوزن اسم الفاعل، وعبد مجرور بحذف المضاف كما قدرته وأقمته مقامه، وقس عليه ما يأتي، واسم عبدالمطلب شيبة الحمد كما قاله ابن إسحاق وجزم به المناوي وغيره، وهو الصحيح، قيل سمي به لأنه ولد وفي رأسه شيبة، وكنيته أبو الحارث وأبو البطحاء، وقيل اسمه عامر، وهو قول ابن قتيبة، ولقب بشيبة الحمد لكثرة محامده، ولقب بالفيض[٧٩] أيضاً لجوده، وبمطعم الطير في السماء لإطعامه الطير في السماء والوحش في الأرض، وهو أول من سقى ماءً عذباً بمكة المشرّفة، وأول من حجّ في محمل، وأوّل من خضب بالسواد من العرب، فقالت زوجته نبيلة: ما أحسن هذا لو دام! فقال عبدالمطلب في ذلك:

ولو دام لي هذا السواد حمدته ... وكان بديلاً من سواد قد انصرَم
تمتعت منه فالحياة قصيرة ... ولا بد من موت يواتي[٨٠] ومن هرم

وذكر أنه كان أبيض مديد القامة حسن الوجه شديد العارضة في جبينه نور النبوة وعز الملك، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسود غابة.

قيل إنما سمي بعبدالمطلب لأن أباه هاشماً لما حضرته الوفاة قال لأخيه المطلب: أدرك عبدك بيثرب، وكان شيبة الحمد إذ ذاك عند أمه بالمدينة المنورة مع أخواله من بني النجار. وقيل: لأن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه وهو بهيأة بذة فكان يسأل عنه فيقول: هو عبدي حياءاً من أن يقول هو أخي، فلما أدخله مكة وأحسن حاله أظهر أنه ابن أخيه، وحكى القولين في المواهب اللدنية بلا ترجيح، وجزم بالأول في زهر الربيع وعاش مائة وأربعين سنة.

= روي البيت كما هنا، فإن ما قيل الروي الذي هو الباء مفتوح في ينتسب مجهولاً ومكسور في المطلب.

(٧٩) في نسختي ونسخة القاضي الفياض.

(٨٠) قال الشارح: أي يوافق ويلازم كل أحد من الموتاة.

هاشِمٌ مِنْ عَبدِ منافِ ابنِ قُصَـيْ   كِلاب مُرَّةِ بنِ كَعْبِ بنِ لُـؤَيْ

ابن (هاشم) بحذف التنوين وإبقاء الكسرة على الميم، أو [هو] غير منصرف للضرورة، وجره بالفتحة، والقواعد تدل على الثاني (٨١) واسمه عمرو، ولقب بهاشم لأنه يهشم الثريد لقومه في الجدب، وفيه يقول ابن الزعبري: عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف وكنيته أبو نضلة (٨٢)، وكان هو وأخوه المطلب يقال لهما البدران لجمالهما، وكان هو وأخوه الآخر عبد شمس توأمين، فولدا وإصبع أحدهما ملتصقة بجنب إصبع الآخر فنحيتا فسال منهما دم، فقال الناس يكون بينهما دم، فلما ولّي هاشم السقاية بعد أبيه حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس على ذلك فتنازعا وتحاكما إلى الكاهن الخزاعي بعسفان، فقضى لهاشم، فغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبني أمية، ولم تزل العداوة بعد ذلك بين بني هاشم وبني أمية جاهليةً وإسلاماً، وهاشم هو الذي سن الرحلتين إلى الشام وإلى اليمن وتوفي بغزة بالشام، ومن ثمة قالت ابنته في مرثيته:

إن المهـــذب مـــن لـــؤي كلهـــا   بـــالشـــام بين صفـــائـــح وجنـــادل

وعاش عشرين سنة، وقيل: خمساً وعشرين سنة. وقوله: (من عبد مناف) صفة هاشم أي المتولد منه أي ابنه، وعدل إلى هذه العبارة لضيق النظم، وعبد مناف اسمه المغيرة، وكنيته أبو عبد الشمس، ولقبه قمر البطحاء لجماله، واشتهر بعبد مناف، ومناف صنم كانت العرب تعظمه (بن قصي) بضم القاف مصغر قَصِيّ كصبي أي بعيد، لأنه بعد عن قومه في بلاد قضاعة حين احتملته أمة فاطمة.

---

(٨١) قال الشارح: لأن حذف التنوين وإبقاء الحركة بحالها إنما صرحوا بجوازه إذا لقي ساكناً بعده كما في قراءة (والليل سابق النهار) بضم القاف ونصب النهار وغير ذلك كما وأضحته بأدلته في تحفة الخلان.

(٨٢) في نسختي أبو نضلة كني بولده نضلة.

قال المناوي : واسمه مُجَمّع أو زيد ، وفي المواهب : ومُجَمّع اسم فاعل من التفعيل اسم قصى ، قال الشاعر :

أبوكم قصي كان يدعا مُجمّعا ... به جمع الله القبائل من فهر

وقيل : اسمه زيد ، وعبارة زهر الربيع : واسمه زيد وكنيته أبو المغيرة وله ألقاب ثلاثة قصي ومجمع والندى قال الشاعر :

همام له أسماء صدق وسؤدد ... قصي وزيد والندى والمجمع

ولقب بقصي لبعده عن قومه في بلاد قضاعة ، وبالمجمع لأنه جمع أهله من البلاد وجعلهم بمكة ، وبالندى بفتح النون تشبيهاً له بالندى الذي هو الربيع لمكارم أخلاقه وهو أول من حفر سقاية الحاج بالأبطح أي أبطح مكة ليشربوا منها ، وكان قبل ذلك ينصب حياض الأدم وينقل اليها الماء من بئر ميمون الحضرمي وغيرها من الآبار خارج مكة ، وأول من أوقد النار بمزدلفة ليراها من دفع من عرفة واستمر الناس على ذلك ، ومات بمكة ودفن بالحجون وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وقيل : لم يبلغ المائة ، ولما احتضر أوصى بنيه أن يجتنبوا الخمر فإنها تصلح الأبدان وتفسد الأذهان ابن (كلاب) بكسر الكاف واسمه حكيم ، وقيل : حكيمة ، وقيل : عروة ، وكنيته أبو زهرة ، قاله المناوي وغيره ، ولقب بكلاب لمكالبته الأعداء في الحرب ، فيكون مصدر كالبت العدو إذا ساورته وقيل : جمع كلب ، لقب به لكثرة صيده بها ، حكاهما في زهر الربيع ، وجزم بالثاني المناوي ، وعبارة المواهب : كلاب منقول إما من مصدر المفاعلة أو من جمع كلب ، لأنهم يريدون الكثرة كما سموا بسباع لذلك ، وسئل أعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح ، فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا ، يريدون أن الأبناء عدة الأعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الأسماء . وكلاب أول من جعل السيوف المحللة بالذهب والفضة ذخيرة الكعبة ، ابن (مرة) بضم الميم

وصف في الأصل، يقال: حنظلة مرة، ثم نقل علماً أو التاء فيه للمبالغة سمي به لمرارته على أعدائه، وكنيته: أبو يقظة بمثناة تحتية فقاف مفتوحتين فظاء معجمة فهاء، وكان له ثلاثة أولاد: كلاب وتيم ومنه رهط أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. ويقظة، ومنه بنو مخزوم (بن كعب) وكنيته أبو هصيص بوزن زبير مع صادين مهملين، سمي كعباً لارتفاعه على قومه بشرفه وكان خطيباً بليغاً.

قال المناوي: كالسهيل: وهو أول مَن قال في الخطب: أمّا بعد وأول من سمى الجمعة جمعةً لأن القوم[٨٣] كانوا يجتمعون فيه فيخطبهم ويذكرهم، وكان تسمى قبل ذلك بالعروبة وفي زهر الربيع: وهو أول من شعر من ولد عدنان بمبعث النبي ﷺ في خطبته[٨٤] فيقول: أيها الناس اسمعوا وعوا، وافهموا وتعلموا، ليل زاج[٨٥] ونهار وهّاج، والأرض مهاد، والجبال أوتاد، والسماء بناء، والنجوم أعلام، فصلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وثمّروا أموالكم، فهل رأيتم من هالك رجع أو ميت انتشر؟ والدار أمامكم، والظن غير ما تقولون، زيّنوا حرمكم وعظّموه، فسيكون له بناء عظيم، ويخرج منه نبي كريم ثم يأمرهم باتباعه والإيمان به وينشد في ذلك أبياتاً منها:

يا ليتني شاهد فحواء دعوته ... حين العشيرة تبقي الحق خذلانا

وكان لكعب ثلاثة أولاد: مرة وهصيص وعدي، وإليه ينسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ابن لؤي) بضم اللام وبالهمزة، وقد يسهل بالواو فهو تصغير اَللأْيِ كالسعي وهو الإبطاء ضد العجلة كما في زهر الربيع، أو اللأى كالفتى وهو الثور الوحشي كما في المواهب ويوافقه القاموس، وكنيته أبو كعب وأمه عاتكة بنت يَخلُد بفتح المثناة التحتية وسكون الخاء المعجمة ودال مهملة

---

(٨٣) في نسختي لأن قومه.

(٨٤) في نسخة القاضي زاد: وكان يخطب قومه ويذكر لهم النبي في خطبته.

(٨٥) في نسخة القاضي ليل ساج.

والياء المشددة فيه وفي قصي مخفف للوزن ابن (غالب) سمي به تفاؤلاً لأن يكون غالباً على الأعداء، وكنيته أبو تميم ولقب بالأرذم لأن أحد لحييه كان أزيد من الآخر.

غالبٍ فِهرٍ مالِكِ بْنِ نَضر كِنانَةَ خُزَيْمَةَ ذي الفَخر

ابن (فهر) بكسر الفاء اسمه قريش على الأكثر، وإليه تنسب قريش، فمن كان قبله[٨٦] فكناني لا قريشي، كذا في المواهب، جزم به المناوي، وكنيته أبو غالب، والفهر الحجر الأملس الذي هو ملء الكف لقب به لشدّته وصلابته على الأعداء، وكان فهر قد ساد العرب بالحجاز وتهامة، وفي أيامه أجمع ذو جون حسّان بن كلاب الحميري من ملوك اليمن على أن يخرب الكعبة وينقل حجارتها إلى اليمن ليبني بها بيتاً ويصرف الحجّ إليه[٨٧]، فجاء إلى مكة بجيش عظيم فجمع فهر قبائل العرب من قريش وكنانة وأسد وخزيمة وغيرهم، وخرج اليه فهزم جيش ذي جدن وقتل أكثرهم وأسر ذا جدن، وبقي أسيراً في يد فهر بمكة ثلاث سنين، ثم افتدي بمال كثير وخرج من مكة إلى اليمن، فمات في الطريق، فعظم أمر فهر حينئذ وهابته العرب، ابن (مالك) اسم فاعل من ملك يملك، وكنيته أبو الحارث ولم يكن له ولد إلاّ فهر كما في زهر الربيع ابن (النضر) بفتح فسكون اسمه قيس، لقب بالنضر لنضارة وجهه وإشراقه، قاله المناوي وغيره، والنضر في الأصل الذهب والفضة. قال بعضهم: إن النضر هو جماع قريش فمن فوقه فليس بقريشي. وفي القاموس: النضر بن كنانة أبو قريش. والصحيح كما مرّ أن جماعهم فهر، ولا عقب للنضر إلاّ مالك كما في زهر الربيع وأخرج أبو بكر محمد بن خلف بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال

---

(٨٦) في نسختي ونسخة القاضي فوقه فكناني.

(٨٧) في نسخة القاضي حج الناس اليه.

رسول الله ﷺ: «لا تسبوا قيساً فإنه كان مسلماً»(٨٨) ابن (كنانةٍ) بالتنوين للوزن وهو بكسر الكاف وعاء السهم سمي به لكونه ستراً على قومه كالكنانة أي الجعبة الساترة للسهام، وكنيته أبو النضر، وكان يحض على الخير ومكارم الأخلاق، ويعلّم الناس بظهور النبي ﷺ، وكانت العرب تجتمع إليه لعلمه وفضله، ويقول: إنه آن خروج نبي بمكة يدعى أحمد، يدعو إلى الله تعالى وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفاً إلى شرفكم وعزاً إلى عزكم، ولا تبعدوا عما جاء به فهو الحق.

(فائدة) إنما أضطر(٨٩) إلى تنوين مجرور بالفتحة كما هنا فهل ينون بالنصب على حاله أو بالجر على الأصل؟ صرح الرّضي بالثاني قال بعض المحققين، ولو قال بالوجهين(٩٠). كالمناوي لم يبعد، ابن (خزيمة) تصغير خزمة وهي المرة من الخزم وهو شدّ الشيء وإصلاحه، وكنيته أبو أسد، وفي زهر الربيع: خزيمة هو الذي نصب هبل على الكعبة فكان يقال: هبل خزيمة، ذكره ابن الأثير، وروي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن خزيمة مات على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام انتهى.

قلت ما روي عن عطاء هو الصحيح، فقد أخرج ابن حبيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملّة ابراهيم عليه الصلاة والسلام، فلا تذكروهم إلاّ بخير(٩١).

وقال الحافظ السيوطي: لا خلاف في إسلام خزيمة، ويومىء إليه وصف

---

(٨٨) نسبه السيوطي في الجامع الكبير (١/ ٨٩١) إلى الديلمي في مسند الفردوس وهو ليس بصحيح، كما ذكر السيوطي في مقدمة الجامع الكبير أن ما ينسبه إلى هؤلاء الكتب ليس صحيحاً.

(٨٩) في نسختين إذا اضطر.

(٩٠) في نسختي ونسخة القاضي ولو قيل بالوجهين.

(٩١) لا أظن أن ذلك صحيح أبداً، وليس عندنا سنده حتى ننظر فيه.

الناظم بقوله: (ذي الفخر) مصدر فخر كمنع، وهو التمدح بالخصال الحميدة والمراد به المكارم.

مُدرِكَة بن إلياسِ نجل مُضَرا نزارِ بن معدّ بن عدنانِ انبَرا

ابن (مدركة) اسم فاعل من أدرك، والتاء للنقل من الصفة إلى الاسمية أو للمبالغة، اسمه عامر وقيل: عمرو، وكنيته أبو هزيل، ولقب بمدركة لأنه كان مع أخويه عمرو وعمير فمرت بهم أرنب فرمى عمرو فصادها وطبخها فسمي طابخة، وخرج عامر فأدرك الإبل وردها فسمي مدركة، وانْقَمَعَ عمير في الخباء فسمي قمعة: ويحكى أنهم قصوا على أبيهم أمرهم فقال لعامر: أدركت يا عامر ما طلبنا، ولعمرو: وأنت أدركت وقد طبخنا، ولعمير: وأنت قد أسأت وانقمعنا، ولقبهم بهذه الألقاب كذا في زهر الربيع.

والذي في القاموس أن مدركة هو عمرو، وطابخة هو عامر، فقال ولد إلياس ابن مضر عمرو وهو مدركة وعامر وهو طابخة وعمير وهو قمعة.

وأمهم: خِندِف كزبرج، وهي ليلى بنت حلوان بن عمران، وكان إلياس قد خرج في نجعة فتفرقت إبله من أرنب فخرج إليها عمرو فأدركها، وخرج عامر فصادها وطبخها فانقمع عمير في الخباء وخرجت أمهم تسرع فقال لها إلياس: أين تخندفين؟ فقالت: ما زلت أخندف في أثركم، فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف انتهى.

وجزم المناوي بما في القاموس ابن (إلياس) اسمه حسين وكنيته أبو عمرو، وإلياس بكسر الهمزة كما في إلياس النبي عليه السلام قاله ابن الأنباري، وقال قاسم بن ثابت: بفتحها فيكون أل فيه للتعريف، فيكون من اليأس الذي هو ضد الرجاء.

قال السهيلي: وهو أصح، وقال المناوي: وعليه الأكثر، وعلى الأول حذفت

الهمزة في النظم للوزن، وكان إلياس معظماً في قومه نظير لقمان في قومه، لكونه أحيي سنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأنكر على العرب ما غيّروه من سنته، وذكر أنه كان يسمع في صلبه (٩٢) تلبية النبي ﷺ بالحجّ.

وفي المواهب: هو أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام، ولما مات بالسلّ أسفت عليه زوجته خِندِف أسفاً شديداً.

قال في زهر الربيع: ونذرت أن لا يظلّها بيت بعده، ولا تمس طيباً، ولا تقيم في بلد مات فيه، ومات يوم الخميس فنذرت أن تبكي كل خميس من طلوع الشمس إلى الغروب فوفت بما نذرت إلى أن ماتت أسفاً (نجل) بتقديم النون على الجيم الساكنة بمعنى الولد أي ابن (مضر) بضم الميم وألفه للإطلاق، وهو معدول من ماضر واسمه عمرو قاله المناوي، ولقب بمضر لبيان لونه (٩٣)، ولولعه بشرب اللبن الماضر أي الحامض، ويقال له مضر الحمراء لأن أباه أعطاه قبة حمراء. وفي القاموس لأنه أعطي الذهب من ميراث أبيه، وربيعة أعطي الخيل، وأنمار أعطي الشاء، أو لأن شعارهم كان في الحرب: الرايات الحمر انتهى.

ومضر أول من سنّ الحدا للإبل، وسببه أنه سقط عن بعيره فانكسرت يده، فجعل يقول: يا يداه وكان من أحسن الناس صوتاً فاجتمعت الإبل إليه من المرعى فلما صح وركب حدا لها.

قال السهيلي: وفي الحديث «لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مؤمنين» (٩٤) وروى عبدالملك بن حبيب بسنده إلى سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا مضر فإنه كان على ملة ابراهيم عليه السلام» (٩٥) بن (نزار) بكسر

---

(٩٢) في نسختي من صلبه.

(٩٣) في نسختي لبياض لونه.

(٩٤) أنظر التعليق (٨٨).

(٩٥) أنظر ما قبله.

النون وخفة الزاء من النزر وهو القليل، وكنيته أبو إياد وقيل: أبو ربيعة، وجزم بالأول المناوي، وسمي بنزار لأنه لما ولد رأى والده بين عينيه نور النبوة ففرح بذلك فرحاً شديداً ونحر وأطعم شكراً وقال: هذا كله نزر في حق هذا المولود أي قليل فسمي بنزار ذكره في زهر الربيع.

وكان نزار عظيماً في قومه وافر المال حاكماً على العرب مطاعاً فيهم.

وقوله (من معدّ) صفة نزار المتولد منه أي ابنه، ومعد بفتحتين وتشديد الدال مأخوذ من المعد بسكون العين، وهو القوة، وذكر أنه لما عزم بخت نصر[٩٦] على استيلاء بلاد العرب أوحى الله تعالى إلى إرميا وكان نبياً من الأنبياء من بني إسرائيل أن احمل معد بن عدنان على البراق إلى العراق، فإني مستخرج من صلبه نبياً اسمه أحمد، فحمل إرميا معداً وهو ابن اثني عشر سنة، فكان معد مع بني اسرائيل الى أن كبر وتزوج. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الله تعالى بعث ملكين فاحتملا معداً فلما رفع بأسه عن العرب ردّه إلى موضعه، فكان بمكة مع أخواله من جرهم، ويقال إن المحمول هو عدنان أبو معد، والصحيح الأول، وكنيته معد أبو نزار، وقيل: أبو قضاعة ابن (عدنان) كنيته أبو معد، مأخوذ من عدن إذا ثبت وأقام، ومن أولاده تفرقت القبائل من ولد إسماعيل عليه السلام، وفي عدد أولاده خلاف طويل (انبرا) أي كمل وانتهى المعلوم من سلسلة هذا النسب الشامخ والمجد الراسخ شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وسلسلة مجد صيغت من ذهب الحلم والوفاء وقد أشبعنا لك فيه الكلام فشدّ به الأيد وثبّت فيه الأقدام.

إلى هنــــا مُتَّفَــــقٌ عَلَيـــــهِ وَاخْتَلَفــوا مِــنْ آدم إلَيْــهِ

(إلى هنا) أي عدنان (متفق عليه) من الأئمة (واختلفوا) أي علماء الأنساب والمؤرخون بالزيادة والنقصان في عمود النسب الشريف (من آدم)

(٩٦) في نسخة القاضي والأصل بخت النصر.

بالتنوين للوزن هو آدم أبو البشر عليه السلام.

وقال الآجري من الحفاظ: يكنى بأبي محمد أيضاً تكنية له بنبينا ﷺ (إليه) أي إلى عدنان، فالورع الإعراض عن عدّ ما بينهما لما فيه من الغليط والتغيير لألفاظ تلك الأسماء وعدم الوثوق بضبطها مع قلة الفائدة. وفي المواهب وغيره: قال ابن دحية: أجمع العلماء - والإجماع حجة - على أن رسول الله ﷺ إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه. وفي مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه [ﷺ] كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان. بل يمسك ويقول: «كذب النسابون» [٩٧] مرتين أو ثلاثاً، لكن قال السهيلي: الأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود رضي الله عنه. وقال غيره: كان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾ قال: كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب للأجناد وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بين إسماعيل عليه السلام وبين عدنان ثلاثون أباً لا يعرفون. ومن ثم أنكر الإمام مالك كما قاله المناوي وغيره على من رفع نسبه إلى آدم، فقال: من أين علمه؟ يعني أن ذلك من كلام المؤرخين الذين لا يوثق بهم.

وَأُمُّهُ آمِنَةُ مِنْ وَهْبِ مِنْ عَبْدِ منافٍ زَهْرَةٍ كِلابِهِنْ

(وأمه) ﷺ (آمنة) النجيبة ذات الفضل والكمال والشرف المتولدة (من وهب) بفتح الواو وسكون الهاء. وبحذف التنوين وإبقاء الكسر على حاله، أو جعله غير منصرف جره بالفتحة للضرورة كما مر نظيره. وهو سيد بني زهرة سناً وشرفاً وكمالاً ومجداً المتولد (من عبد مناف بن زهرة) بضم الزاء المعجمة

---

(٩٧) أنظر التعليق (٧٥).

وبالتنوين للوزن، ابن (كلابهن) بن مرة من أجداده ﷺ، فهي تلتقي مع رسول الله ﷺ من جهة آبائها في كلاب، والهاء في كلابهن هاء السكت زيدت [شاذاً] للضرورة، ثم لحقه تنوين الترنم فالتقى الساكنان فحركت الهاء بالكسر، وتنوين الترنم تكتب خطاً(٩٨) ولفظاً كتنوين الغالي بخلاف سائر التنوينات تثبت لفظاً لا خطاً كما تقرر في محله. ويحتمل أن يكون هِنْ ضمير جماعة المؤنث وحذفت إحدى النونين للوزن. أي كلاب القبائل، وأضيفت إليها لأنّها تشعبت منه، أو لأنه مسمى بكلاب عندهم، كما يقال أبو عمر وهم أي سمي به عندهم.

وأم آمنة مرة بنت عبد العزى بن قصي بن عبد الدار بن قصي بن كلاب، فهي تلتقي من جهة أمها في قصي بن كلاب.

تنبيه نفيس مهم في [مسألة] نجاة والديه ﷺ أفردها العلماء بتأليف وأذكر لك زبدتها مع فوائد أخر جليلة جاء بها فكري بعون الله تعالى فأقول: اختلف(٩٩) العلماء فيها، فذهب جمع كثير من الأئمة الأعلام إلى أنهما ناجيان في الآخرة مستدلين بأدلة كالجبال الرواسي مع علمهم بأقوال القائلين بعدم نجاتهما، فلا يظن بهم أنهم لم يطلعوا على الأحاديث التي استدل بها المخالفون معاذ الله، بل وقفوا عليها وأجابوا عنها الأجوبة المرضية التي لا يردها منصف ذو ورع غير متهور، فوجب القطع والاعتقاد بنجاتهما تعظيماً لجنابه ﷺ، ولا يسكن قلب ذي تقًى إلا بذلك، وقد صح في الأحاديث أن البر ما اطمأنت إليه النفس(١٠٠)، وقلب المؤمن يضطرب عند الحرام ولا يسكن به. ومما يسهل عليك أن الكفر أمر هائل عظيم الخطر، ومن كفر إنساناً فقد حكم بأنه مطرود من رحمة الله تعالى

---

(٩٨) في نسختي تثبت خطا.

(٩٩) في نسختي اختلفوا فيها.

(١٠٠) روى الإمام أحمد في سنده (٤/ ١٩٤) من حديث أبي ثعلبة « البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب » الحديث فراجعه.

الواسعة، وأن عاقبته الخزي الأبدي، ولا يجوز الإقدام على هذا الحكم إلا بعد نص صريح لا يعارضه نص آخر، وأنى لك بهذا في والديه ﷺ؟ إذ ما من دليل يدل على عدم نجاتها إلا وهو ضعيف ساقط، وعارضه دليل مثله أو أقوى منه كما بينها الحفاظ، وسيأتي ذكر جمل منها، وأن أئمة الدين قالوا: الخطأ في الإفتاء بكفر أحد أعظم إثماً من الخطأ في الإفتاء بعدم كفر ألف إنسان، ويدل عليه حديث «لأن يخطىء الإمام في العفو خير له من أن يخطىء في العقوبة»[(١٠١)] هذا، ثم القائلون بنجاتها اختلفوا في دليلها على ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: أنهما لم تبلغهما الدعوة لكونهما في زمان فترة عم الجهل فيه الشرق والغرب[(١٠٢)]، فلم يكن في ذلك الوقت من بلغ تفاصيل الشرائع إليهما، مع أنهما ماتا في حداثة السن كما سيأتي ولم يتمكنا من الأسفار والفحص عن الأخبار، وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجياً ويدخل الجنة باتفاق الأئمة الشافعية من الفقهاء والأئمة الأشاعرة من أهل الكلام وأصول الفقه، وعلى ذلك الإمام الشافعي، وتبعه سائر الأصحاب، واستدلوا بالنصوص القاطعة من القرآن. منها قوله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن قتادة في هذه الآية أن الله تعالى ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر أو يأتيه [منه] بينة.

ومنها: قوله تعالى ﴿ذلك إن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ استدلوا به على قاعدة أن شكر المنعم ومنه الإيمان به ليس بواجب

---

(١٠١) رواه الترمذي (١٤٤٤) والدارقطني (٣/ ٨٤) والحاكم (٤/ ٣٨٤) والبيهقي (٨/ ٢٣٨) وغيرهم من حديث عائشة ولفظه «فإن الإمام إن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة».

وهو حديث ضعيف في إسناده يزيد بن زياد الدمشقي، وانظر الكلام عليه مفصلاً في إرواء الغليل (٨/ ٢٥ - ٢٦) لشيخنا. وتعليقنا على المعتبر (ص ١٣٧).

(١٠٢) في نسخة القاضي شرقاً وغرباً.

عقلاً بل بالشرع، كما أجمع عليه أهل السنة، وغير ذلك من الآيات الدالة على أنه لا تعذيب قبل البعثة، ومن ثمة لما سئل شيخ الإسلام الشرف المناوي عن والده ﷺ قال: إنه مات في فترة ولا تعذيب قبل البعثة ونقل سبط ابن الجوزي عن جماعة أن الدعوة لم تبلغ أباه وأمه ﷺ فما ذنبهما؟

قال المفسرون في قوله تعالى ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾ وفي قوله تعالى ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ أن عدم إنذارهم لكونهم أهل فترة فقد نصت الآية على أنهم أهل فترة لم يأتهم رسول ينذرهم ويدعوهم إلى الإسلام.

وقد مرّ النص بأنه لا تعذيب قبل الإنذار والبعثة، فنتج من هاتين المقدمتين القاطعتين أن والديه ﷺ ناجيان غير معذبين، فلهذا صرّح جماعة من الأئمة بأن هذه الآيات ناسخة لكل ما خالفها من الأحاديث، وأيضاً هي أخبار آحاد لا تعارض القواطع.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في أماليه ما نصه: كل نبي إنما أرسل إلى قومه إلاّ نبينا ﷺ، فعلى هذا ما عدا قوم كل نبي من أهل الفترة إلاّ ذرية النبي السابق فإنهم مخاطبون ببعثة السابق إلاّ إذا اندرس شرع السابق فيصير الكل من أهل الفترة انتهى. فاتضح بذلك أن الوالدين المختارين من أهل الفترة لأنهما ليسا من قوم عيسى عليه السلام ولا من ذريته، بل من ذرية إسماعيل عليه السلام وقومه، إذ لم يرسل إلى العرب غيره كما هو مقرر، ورسالته انتهت بموته، اذ لم يعلم لغير نبينا ﷺ عموم بعثته بعد موته (١٠٣)، وشريعة إسماعيل عليه السلام قد اندرست إذ ذاك لفقد من يعرفها على وجهها، ولذا تعجب أهل مكة من بعثته ﷺ، وظنوا أن ابراهيم عليه السلام كان على ما هم عليه (١٠٤).

---

(١٠٣) في نسختي بعد الموت.

(١٠٤) ننقل هنا رأي علم من أعلام المذهب الشافعي وهو الإمام النووي رحمه الله قال في شرح =

فإن قلت قد صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كحديث: «رأيت عمرو ابن لحي يجر قصبه في النار»[١٠٥] وحديث: «رأيت صاحب المحجن في النار»[١٠٦] قلت أجابوا عن ذلك بأنه يستثني من صح تعذيبه من أهل الفترة[١٠٧] لأمر يعلمه الله تعالى فيقصر عليه ولا قياس في ذلك كما حكم بكفر الغلام الذي قتله الخضر مع صباه[١٠٨] لأمر يعلمه الله تعالى، وبأن أحاديثهم أخبار آحاد فلا تعارض القواطع كما مرّ، وبأن التعذيب المذكور في الأحاديث فمحمول على من أتى من أهل الفترة بما لا يعذر به من تغيير الشرائع وعبادة الأوثان.

فإن قلت قد ورد الامتحان في القيامة لأهل الفترة ونحوهم في أحاديث سنة من طرق صحيحة كما بينها الحفاظ، وذلك بأن يوقد لهم نار[١٠٩] فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن أبى عذب، ويقول لهم الرب عز وجل: إياي عصيتم فكيف برسلي أي في الدنيا لو جاءتكم، فحينئذ من أين لك الجزم بنجاتهم[١١٠]؟

= صحيح مسلم (٣/ ٧٩) في شرح حديث «إن أبي وأباك في النار» فيه أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

(١٠٥) رواه مسلم (٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ وبلفظ «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبة في النار».

(١٠٦) رواه مسلم (٩٠٤) وغيره وهو أبو ثمامة عمرو بن مالك.

(١٠٧) فيستثنى أيضاً والداه وعمه أبو طالب وجده عبدالمطلب لأنه صح الحديث بحقهم، هذا على مذهب من يقول ذلك وإلا فالحكم ظاهر وسيأتي مزيد من القول حوله.

(١٠٨) في نسخة القاضي مع كونه كان صبياً.

(١٠٩) في نسختي بأن يرفع لهم نار.

(١١٠) في نسختي ونسخة القاضي بنجاتها.

قلت: كما قال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في الظن بآله ﷺ كلهم يعني الذين ماتوا في الفترة أنهم يطيعون عند الامتحان لتقرّ به عينه ﷺ ويدل له ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ﴾ قال رضي محمد [ﷺ] أن لا يدخل النار أحد من أهل بيته[١١١]. وما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ سئل عن أبويه فقال: « ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما، وإني لقائم يومئذ المقام المحمود »[١١٢] ولا شك أنه يعطي في ذلك المقام كل ما أسْئَل[١١٣]. واستشكل الحليمي أحاديث الامتحان بأن الآخرة ليست دار تكليف فلا عمل فيها ولا امتحان.

وأجيب بأن ذلك بعد الاستقرار أما في عرصات القيامة فلا مانع من ذلك، وقد قال الله تعالى ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ وفي الصحيح « أن الناس يؤمرون بالسجود فيصير ظهر المنافق طبقاً فلا يستطيع أن يسجد. قلت: هذا يقتضي أن يكون بعث الرسول في آية ﴿حتى نبعث

---

(١١١) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٠/٢٣٢) من حديث ابن عباس وفي إسناده الحكم بن ظهير وهو متروك رمي بالرفض واتهمه ابن معين والسدي صدوق يهم ورمي بالتشيع وعباد بن يعقوب صدوق رافضي، فظهر كذب هذا القول عن ابن عباس، وأن الأيادي التي حاكت ذلك هي أيادي رافضية.

(١١٢) رواه الحاكم (٢/ ٣٦٤ - ٣٦٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وعثمان بن عمر هو اليقظان. فتعقبه الذهبي بقوله: لا والله فعثمان ضعفه الدارقطني والباقون ثقات.
وقد أبعد الشارح النجعة تقليداً لمن ذكر ذلك قبله فقد روى هذا الحديث أحمد في مسنده (٣٧٨٧) والبزار (١/ ٢٥١) والطبراني في الكبير (١٠٠١٧ و ١٠٠١٨) من طريق عثمان المذكور.
وعثمان هذا قال الحافظ في التقريب: ضعيف واختلط وكان يدلس ويغلو في التشيع، فالحديث ضعيف. وسيأتي أن الشارح نقل ضعفه.

(١١٣) في نسختي كلما سأل.

رسولاً﴾ أعم من أن يكون في الدنيا أو في القيامة قبل استقرار أهل الجنة والنار، ولم أر تصريحاً بذلك.

الطريقة الثانية: أن الله تعالى أحياهما له فآمنا به، وذلك في حجّة الوداع لحديث في ذلك عن عائشة رضي الله عنها[114]، وعلى ذلك جماعة من الحفاظ

---

(١١٤) هذا يحتاج إلى شيء من التطويل فلنذكر الحديث المزعوم ولنتكلم على إسناده بشيء من التفصيل.

قال ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ: أخبرنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الأنصار حدثنا أحمد بن يحيى الحضرمي بمكة حدثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري حدثنا عبدالوهاب بن موسى عن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل إلى الحجون كئيباً حزيناً، فأقام به ما شاء ربه عز وجل، ثم رجع مسروراً، فقلت: يا رسول الله نزلت إلى الحجون كئيباً حزيناً، فأقمت به ما شاء الله، ثم رجعت مسروراً، قال: «سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها».

وقال الخطيب في السابق واللاحق:

أنبأنا أبو العلاء الواسطي حدثنا الحسين بن علي بن محمد الحنفي حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد حدثنا عمر بن أيوب الكعبي حدثنا محمد بن يحيى الزهري أبو غزية حدثنا عبدالوهاب بن موسى ثنا مالك بن أنس عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم، فبكيت لبكاء رسول الله ﷺ، ثم إنه نزل فقال: «يا حميراء استمسكي» فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلاً، ثم إنه عاد إلي وهو فرح مبتسم، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم، فبكيت لبكائك، ثم إنك عدت إلي وأنت فرح مبتسم فمم ذا يا رسول الله؟ قال: «ذهبت لقبر أمي فسألت الله أن يحييها لي فأحياها فآمنت بي وردها الله عز وجل».

وهذان الحديثان مع أنهما موضوعان كما يأتي فليس فيه ذكر إحياء أبي النبي ﷺ، فلا دليل لمن أدخله فيه وجعله ناسخاً للحديث الصحيح في مسلم.

ثم إن مما يدل على وضعه أن قبر آمنة بالأبواء وهو قريب من المدينة وليس بالحجون وهو قريب جداً من مكة.

ولنرجع إلى سند الحديثين:

١ ـ عبدالرحمن بن أبي الزناد قال الحافظ: صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد. =

....

= ٢ ـ عبدالوهاب بن موسى.
قال الذهبي في الميزان (٢/ ٦٨٤) عن عبدالرحمن بن أبي الزناد بحديث «إن الله أحيى لي أمي فآمنت بي...» الحديث.
لا يدرى من ذا الحيوان الكذاب، فإن هذا الحديث كذب مخالف لما صح أنه عليه السلام استأذن ربه في الاستغفار لها فلم يأذن له.
وزاد الحافظ في اللسان (٤/ ٩١ ـ ٩٢) قلت: تكلم الذهبي في هذا الموضع بالظن، فسكت عن المتهم بهذا الحديث وجزم بجرح القوي.
وقد قال الدارقطني في غرائب مالك في روايته عن أبي الزناد بعد فراغ أحاديث مالك عن أبي الزناد عن سعيد بن المسيب في قصة: ويروي عن مالك عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها حديثان منكران باطلان، فذكر ما سيأتي في ترجمة علي بن محمد الكعبي إلى أن قال: وهذا كذب على مالك، والحمل فيه على أبي غُزَيّة، والمتهم به هو أو من حدث عنه، وعبدالوهاب بن موسى ليس به بأس.

٣ ـ محمد بن يحيى الزهري.
قال الحافظ في اللسان (٥/٤٢٩) يكنى أبا عوانة روى عن عبدالوهاب بن موسى وعنه أحمد بن يحيى الحضرمي قال الجوزقاني في كتاب الأباطيل (١/٢٢٨) هو والراوي عنه مجهولان.
قلت: وأنا أخشى أن يكون هو المتقدم وقع التصحيف في كنيته، وإنما هو أبو غزية، ولكن النسخة بالكتاب المذكور بخط أبي الفرج بن الجوزي.
وقال الحافظ الذهبي (٤/ ٦٢) محمد بن يحيى أبو غزية المدني عن موسى بن وردان قال الدارقطني: متروك. وقال الأزدي ضعيف، وذكره ابن الجوزي وقال أبو غزية الزهري.
قال الحافظ في اللسان (٥/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) وقد تقدم لي في محمد بن موسى وهو هو وكأن يحيى اسم جده، ثم ظهر لي أنهما إثنان، فالكبير اسم أبيه موسى وهو أنصاري، والصغير اسم أبيه يحيى وهو زهري كان بمصر يروي عنه جماعة ثم قال الحافظ بعد أن نقل ترجمته من تاريخ ابن يونس الغرباء ذكر هذا الحديث بإسناد الدارقطني في غرائب مالك من طريق أبي غزية به. قال: قال الدارقطني: لا يثبت عن الزهري ولا عن مالك، وأبو غزية هذا هو الصغير منكر الحديث، ثم ذكر أقوال بعض العلماء الآخرين في حقه.

٤ ـ عمر بن أيوب الكعبي. كذا هو في اللآلي. والذي في كتب الجرح والتعديل علي بن أيوب العكي. =

. . . .

= قال الحافظ في اللسان (٤/ ١٩٢ - ١٩٣) علي بن أحمد العكي بصري متهم، روى عن أبي غزية عن عبدالوهاب بن موسى عن مالك عن أبي الزناد هن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها حديثين أحدهما أن النبي ﷺ لما حج مر بقبر أمه آمنة، فسأل الله عز وجل فأحياها فآمنت به فردها إلى حفرتها.

والثاني بهذا الإسناد أن النبي ﷺ كان ينقل الحجارة للبيت عرياناً فجاءه جبريل وميكائيل فوزراه وطفقا يحملان الحجارة عن النبي شفقة من الله.

قال الدارقطني: والإسناد والمتنان باطلان، ولا يصح لأبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة شيء، وهذا كذب على مالك، والحمل فيه على أبي غزية، والمتهم بوضعه هو أو من حدث به عنه، وعبدالوهاب بن موسى ليس به بأس.

٥ - أحمد بن يحيى الحضرمي. تقدم عن الجوزقاني أنه مجهول.

٦ - عمر بن الربيع الخشاب

قال الذهبي في الميزان (٣/ ١٢٦) ذكره القراب في تاريخه وأنه كذاب.

وقال الحافظ في اللسان (٤/ ٣٠٤ - ٣٠٥) وضعفه الدارقطني في غرائب مالك في مواضع. ثم ذكره له حديثين، ثم قال: وأورده ابن عساكر في غرائب مالك من طريق الحسين بن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخشاب فذكره كما تقدم ثم قال: قال ابن عساكر: هذا حديث منكر من حديث عبدالوهاب بن موسى الزهري المدني عن مالك والكعبي (العكي) مجهول، والحلبي (الحنفي صاحب غرائب ولا يعرف لأبي الزناد رواية عن هشام وهشام لم يدرك عائشة فلعله سقط من كتابي عن أبيه انتهى.

ولم ينبه على عمر بن الربيع ولا علـى محمد بن يحيى وهما أولى أن يلصق بهما هذا الحديث من الكعبي وغيره.

وفيما نقلناه عن الخطيب موجود فيه عن أبيه.

وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٨٣ - ٢٨٤) وسقط منه أحد الحديثين.

وقال: قال شيخنا أبو الفضل بن ناصر: هذا حديث موضوع، وأم رسول الله ﷺ ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة ودفنت هناك وليست بالحجون.

وأورده الجوزقاني في الأباطيل (١/ ٢٢٣ - ٢٢٤) وقال هذا حديث باطل.

وقال ملا علي القاري في الأسرار المرفوعة (ص ٨٣) موضوع كما قال ابن دحية، وقد =

منهم الخطيب البغدادي والدارقطني وابن عساكر وابن شاهين والسهيلي والقرطبي ومحب الدين الطبري وابن المنذر وابن سيد الناس والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي، وقال به الصلاح الصفدي في نظم له وغيرهم، وجعلوه ناسخاً لما خالفه من الأحاديث لتأخره، ولم يبالوا بضعفه لوجوب العمل بالحديث الضعيف في الفضائل والمناقب اتفاقاً، وهذه منقبة (١١٥).

على أن بعض متأخري الحفاظ صححه على ما قاله ابن حجر في أشرف الوسائل. قال الطبري والقرطبي: ليس إحياؤهما وإيمانهما ممتنعاً لا عقلاً ولا شرعاً، وكون الإيمان بعد الموت لا ينفع محله في غير الكرامة والخصوصية.

= وضعت في هذه المسألة رسالة مستقلة.
وقال الحافظ ابن كثير في السيرة (١/ ٢٣٩) عن هذا الحديث: إنه حديث منكر جداً.
وقال البيهقي في دلائل النبوة في تعليقه على حديث عبدالله بن عمرو (١/ ١٤١) وكيف لا يكون أبواه وجده بهذه الصفة في الآخرة وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا، ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام، وأمرهم لا يقدح في نسب رسول الله ﷺ لأن أنكحة الكفار صحيحة الخ.
أما السيوطي فقد ألف رسائل في الموضوع وقرر أن الحديث ضعيف لا موضوع. وقد علمت أن الحديث موضوع كما قال النقاد ابن دحية وابن ناصر والدارقطني والذهبي وابن حجر والقارىء وغيرهم.
وفرضاً إذا قلنا بأنه ضعيف فكيف ينسخ الحديث الصحيح الذي رواه مسلم والبخاري وغيرهما بهذا الحديث الضعيف هل قال أحد من أهل الأصول بجواز ذلك؟
فالجواب طبعاً كلا، ثم إن الحديث كما قلنا لم يتعرض لوالد الرسول ﷺ فبأي شيء ينسخ حديث مسلم في حقه؟
ويحتاج ما قاله الشارح عن الدارقطني وغيره إلى إثبات.

(١١٥) وهذا أيضاً غير صحيح لأن العمل بالحديث الضعيف مشروط عند من قال به بشروط ثلاثة أحدها أن لا يكون الضعف شديداً وهذا الشرط مفقود هنا. والثاني أن يثبت أصل العمل بدليل صحيح والدليل الصحيح على خلاف ما دل عليه هذا الحديث.

فإن قلت: قد تقرر أنهما من أهل الفترة الناجين فما فائدة الإحياء ؟ قلت: أجيب بأن فائدته إتحافهما بمزيد كمال لم يحصل لأهل الفترة، لأن غاية أمرهم أنهم ألحقوا بالمسلمين في مجرد النجاة لا في إتحافهم بالمراتب العلية ، فأتحفا بمرتبة الإيمان زيادة في شرفهما .

الطريقة الثالثة : أنهما كانا على التوحيد ودين إبراهيم عليه الصلاة والسلام (١١٦) كما كان على ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل في جماعة آخرين ، وهذه طريقة الإمام الرازي إمام أهل السنة في زمانه والناصر لمذهب الأشاعرة في أوانه ، وزاد أن آباء النبي ﷺ كلهم إلى آدم على التوحيد لم يكن فيهم مشرك ، ووافقه على ذلك جماعة .

واستدل الإمام بما رواه أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ قال: ما زال النبي ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه (١١٧) .

وعنه أيضاً في الآية قال: مِن نَبِيٍّ إلى نبيٍّ حتى أخرجتك نبياً ، ورواه البزار (١١٨) . ربما رواه البيهقي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ، وما ولدني إلاّ نكاح الإسلام » (١١٩) وروى أبو نعيم عنه أيضاً مرفوعاً : « لم يلتق أبواي قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مُصَفًّى مهذَّباً ، لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً .

---

(١١٦) قد مر عن الإمامين البيهقي والنووي ما يخالف هذا وهو الحق كما سيأتي.

(١١٧) رواه أبو نعيم في الدلائل (٦٠) والآجري في الشريعة (ص ٤٢٩).

(١١٨) رواه البزار (٢٣٦٢) والطبراني (١٢٠٢١) وأبو نعيم (٥٩).

(١١٩) رواه الطبراني (١٠٨١٢) والبيهقي في السنن (٧/ ١٩٠).

قال الحافظ شيخ الإسلام العسقلاني: ومن المعلوم أن الاصطفاء والخيرة والأفضلية التي وردت بها الأحاديث لا تكون مع الشرك [والكفر] انتهى. وحينئذ يجب القطع بأن والد ابراهيم عليه السلام ما كان كافراً كما قاله الإمام، إنما كان الكافر عمه آزر، وإنما سمي أباً في القرآن لأن العرب تسمي العمّ أباً، قال الله تعالى ﴿وَإِلَه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ مع أن إسماعيل عم ليعقوب. وقال ﷺ: «رُدّوا علي أبي» يعني العباس كما في المعالم. وأجمع أهل الكتابين على أن آزر لم يكن أباه حقيقةً، إنما كان عمه.

قال الشهاب ابن حجر: بل لو لم يجمعوا وجب تأويل الآية جمعاً بين الأحاديث انتهى.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن المنذر من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم. وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي أنه قيل له: اسم أبي إبراهيم آزر، فقال: بل اسمه شارح (١٢١).

وأخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن سليمان بن صرد قال: لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار جعلوا يجمعون الحطب حتى إن كانت العجوز لتجمع الحطب، فلما أرادوا أن يلقوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل، فلما ألقوه قال الله تعالى ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فقال عم إبراهيم من أجلي دفع عنه، فأرسل الله تعالى شرارة من النار فوقعت على قدمه فأحرقته، فهذا أثر مصرح بأنه عم ابراهيم.

---

(١٢٠) رواه أبو نعيم (٤٧). وهذه الأحاديث لها طرق وشواهد فهو حديث حسن بها. ولكنها لا تدل على مقصود الشارح مطلقاً، كما تقدم عن البيهقي أن أنكحة الكفار صحيحة.

(١٢١) بل اسم أبيه آزر وهو والده وقال ابن جرير هو الصواب. واختاره الحافظ في الفتح في ترجمة ابراهيم وفي سورة الشعراء. ولا أظن بأن ما ذكره الشارح عن سليمان بن صرد يصح ولم يذكر الإسناد لننظر فيه ولم يتعرض له الحافظ مما يدل على أنه غير صحيح.

قال الحافظ السيوطي : وفيه فائدة أخرى وهي إنه هلك أيام إلقاء ابراهيم عليه السلام في النار ، وقد أخبر الله تعالى أن ابراهيم ترك الاستغفار له ، وتبرّأ منه لما تبين أنه عدو الله. ووردت الآثار الصحيحة بأنه تبين له لما مات مشركاً (١٢٢) ولم يستغفر له بعد ذلك ، ثم هاجر عقب واقعة النار إلى الشام كما في الآية ، ثم بعد مدة دخل مصر ثم رجع إلى الشام ، ثم أمره الله تعالى أن ينقل هاجر وولدها إسماعيل إلى مكة . فنقلهما ودعا فقال [ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرَّم] إلى قوله [ربنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب] فاستغفر لوالديه ، وذلك بعد هلاك عمه بمدة طويلة ، فيستنبط منه أن المذكور في القرآن بالتبرىء والكفر عمه لا أبوه الحقيقي ، فلله الحمد على ما ألهم انتهى .

قلت : ويرشحه أن هذا الدعاء بلفظ الوالد وهو الأب الحقيقي ، والاستغفار للعم بلفظ الأب حيث قال [واغفر لأبي إنه كان من الضالين] والأب هو العطوف والداً [كان] أم عماً .

(تتمة) قدمنا في بيان نسبه الشريف النص على إيمان أكثر أجداده ﷺ . وقد قال الحافظ السيوطي : أجداده من إبراهيم عليه السلام إلى كعب بن لؤي وولده مرّة ورد النص بإيمانهم ، وبقي بين مرّة وبني عبدالمطلب أربعة آباء وهم كلاب وقصي وعبد مناف وهاشم ، ولم أظفر بهم بنقل لا بهذا ولا بهذا انتهى (١٢٣) .

وظاهر عموم كلام الفخر إيمان جميعهم كما مر ، ويؤيده قوله ﷺ يوم حنين :

أنـــا النبي لا كـــــذب   أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب

(١٢٢) في نسخة القاضي أنه مات مشركاً .

(١٢٣) لا أصل لما قال السيوطي ولا مستند له مطلقاً . وفي نسختي ولم أظفر فيهم.

لكثرة الأحاديث الناهية عن الانتساب إلى الآباء الكفار.

قال السهيلي: ووجدت[١٢٤] في بعض كتب المسعودي اختلافاً في عبدالمطلب، وأنه قد قيل مات مسلماً لما رأى من دلائل نبوته ﷺ، وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد فالله أعلم انتهى[١٢٥].

وقال بعضهم: أحسن الأقوال فيه أي وكذا فيمن فوقه ممن لا نص فيه بالإيمان أنه من أهل الفترة. وقال القطب العارف عبدالواهب الشعراني في الجواهر: قد ألف الشيخ جلال الدين السيوطي خاتمة حفاظ مصر في هذه المسألة ست مؤلفات وطالعتها كلها فرأيتها ترجع إلى أن الأدب مع رسول الله ﷺ واجب وأن من آذاه فقد آذى الله تعالى، وقال الله تعالى ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ وقال الله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾. ومن تأمل فيما نقله أهل السير من كلام عبدالمطلب لما أراد نحر ابنه عبدالله في قصة حفر بئر زمزم شهد له بالتوحيد، وصاحب التوحيد سعيد بأي وجه كان توحيده[١٢٦] وكان الإمام أبو بكر بن العربي المالكي المغربي الفقيه المحدث يقول: ما عندي أحد أشدّ أذى لرسول الله ﷺ ممن يقول: إن أبويه في النار وفي حديث مسلم: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات» فيحرم جزماً أن يقال إن أبويه ﷺ في النار انتهى ما في الجواهر.

وسئل الإمام أبو بكر المذكور عن رجل قال: أبو النبي ﷺ في النار. فأجاب: بأنه ملعون لآية ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾. وقال الحافظ نجم الدين الغيطي: الحذر الحذر من ذكر والديه ﷺ بسوء، فإنه يؤذيه ﷺ.

---

(١٢٤) في نسخة القاضي وجدت.

(١٢٥) هو مخالف لما صح كما سيأتي.

(١٢٦) اليواقيت والجواهر (٢/ ٥٧).

وذكر محب الدين الطبري في كتاب ذخائر العقبى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءت سبيعة بنت أبي لهب إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الناس يقولون أنت بنت حطب النار، فقام رسول الله ﷺ وهو مغضب فقال: «ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي من آذى قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى» (١٢٧).

فتأمّل فيه إذا كان هذا في بنت أبي لهب المعاند الذي نص القرآن بخلوده في النار، فكيف لا يتأذى ﷺ بوالديه اللذين لم يدركا البعثة والدعوة إلى الإسلام مع ورود الحديث بإحيائهما وإيمانهما كما مر.

على أنه ثبت جماعة في الجاهلية على التوحيد كزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث وقس بن ساعدة وأبي بكر الصديق وغيرهم، فما المانع أن يكون أبواه ﷺ مثلهم، فعليك يا أخي بالأدب والاقتداء بالأئمة الذين ذكرتهم ففيه النجاة والسلامة.

(خاتمة) إذا علمت ما تقرر فكل ما خالف ذلك من الأحاديث إن كان ضعيفاً فلا كلام فيه، وإلاّ فهو مؤول إن أمكن تأويله جمعاً بين الأحاديث، أو منسوخ، أو متروك العمل به لمعارضته بالأدلة القاطعة التي مرّ بعضها كما يفعل ذلك في سائر المسائل، إذا تعارضت فيها الأدلة (١٢٨).

ألا ترى أنه ثبت في صحيح مسلم أنه ﷺ لم يقرأ في الصلاة بسم الله الرحمن

---

(١٢٧) رواه ابن منده من طريق يزيد بن عبدالملك النوفلي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال الحافظ في الإصابة (٦٣٥/٧) يزيد واهٍ.
ورواه الطبراني (ج ٢٤ رقم ٦٦٠) من حديث ابن عمر وأبي هريرة وعمار وسموها درة بنت أبي لهب وفي إسناده عبدالرحمن بن بشر قال الحافظ في الإصابة (٦٣٤/٧) وهو ضعيف ورواه أيضاً ابن أبي عاصم وابن منده. فبطل الاحتجاج به.

(١٢٨) ثبت مما تقدم وما يأتي العكس تماماً فإن هذه الأحاديث ظهر حالها من الوضع والضعف وما خالفها أحاديث صحيحة فلا تعارض، لأن التعارض يكون بين متقابلين.

الرحيم، ومذهب الشافعي رضي الله عنه: عدم صحة الصلاة بدون البسملة، فخالف هذا الحديث الصحيح لما قام عنده من الأدلة المعارضة له، فقدّمها عليه. وكذا ثبت فيه أنه ﷺ: توضأ ولم يمسح كل رأسه، ومذهب مالك رضي الله تعالى عنه: وجوب مسح كل الرأس، فخالف هذا الحديث الصحيح أيضاً لقيام الأدلة المعارضة له فقدّمها.

وكذا خالف أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه حديث الصحيحين: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً» فهو لا يشترط السبع للأدلة المعارضة عنده وكذا خالف أحمد رضي الله تعالى عنه حديث الصحيحين: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم» فيجيز صوم يوم الشك لما مرّ، ونظائرها كثيرة.

ومقصودي أن تعلم أنه ليس كل حديث صحيح يعمل به عند وجود المعارض[١٢٩]. اعلم أنه لم يصح في أمه ﷺ إلاّ حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه ﷺ استأذن للاستغفار لأمه فلم يؤذن له[١٣٠]، وفي أبيه ﷺ (إلاّ) حديث (مسلم) أيضاً أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي قال «في النار»

---

(١٢٩) هذه المسائل كلها لا احتجاج فيها إذ أن الأئمة لم يكن مطلقاً يتركون العمل بالحديث الصحيح لمعارضته بالحديث الضعيف، بل لهم أعذار أخرى ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته القيمة رفع الملام، وتوسع في الموضوع أكثر الدكتور مصطفى إبراهيم الزلمي في كتابه القيم أسباب اختلاف الفقهاء.

(١٣٠) رواه أحمد (٢/ ٤٤١) ومسلم (٩٧٦) والبغوي في شرح السنة (١٥٥٤) والبيهقي في الدلائل (١/ ١٣٨) والسنن (٧٦/٤) والنسائي (٩٠/٤) ومن طريقه الجوزقاني في الأباطيل (٢٣٠/١) ورواه أبو داود (٣٢٣٤) وابن ماجه (١٥٧٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٤٣). وفي حصره نظر إذ ورد أيضاً من حديث بريدة بن الحصيب رواه البيهقي في الدلائل (١/ ١٣٦) والسنن (٧٦/٤) والجوزقاني في الأباطيل (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) وأصله في صحيح مسلم ورواه ابن حبان (٧٩١)، ومن حديث أبي رزين رواه أحمد (٤/ ١١) والطبراني (ج ١٩ رقم ٤٧١) والجوزقاني في الأباطيل (١/ ٢٣٢).

فلما ولّى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار»[١٣١] والجواب عن الأول أنه منسوخ بحديث الإحياء لأنه متأخر عنه كما مرّ عن الحفاظ[١٣٢]، وأن بكاءه ﷺ الوارد في حديث أبي هريرة لما فاتها من الإيمان والإتحاف بالكمالات العلية لكمل هذه الأمة، لا لعدم نجاتها أو عذابها معاذ الله تعالى.

ثم رأيت القاضي عياض صرّح بذاك، وأن المصلحة الإلهية اقتضت تأخير الاستغفار عن ذلك الوقت، فلذا لم يؤذن له فيه.

وعن الثاني بأنه منسوخ بالآيات والأحاديث السابقة، كما أن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار منسوخة بالأحاديث المخالفة لها، وبقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ومن ثمة قال النووي: الصحيح أنهم في الجنة، أو هو مؤول جمعاً بين الأحاديث.

وأظهر تأويل له كما قال الشهاب بن حجر: أن المراد بالأب عمّه

---

(١٣١) رواه أحمد (٣/ ١١٩ و ٢٦٨) ومسلم (٢٠٣) وأبو داود (٤٦٩٢) والبيهقي في الدلائل (١/ ١٣٨ - ١٣٩) والجوزقاني في الأباطيل (١/ ٢٣٢ - ٢٣٣) وهو حديث صحيح.
وما قاله الكوثري في تعليقه على كتاب التنبيه والرد (ص ١٦٢) من أن عفان وحماد من رجال الميزان تلبيس عظيم وهل كان من هو مذكور في الميزان حديثه غير صحيح، ثم إن حماداً من أثبت الناس في ثابت كما قاله الحفاظ وعفان لم ينفرد به بل تابعه موسى إسماعيل ووكيع، فبطل تلبيسه.
وأما من قال بأن معمر رواه فخالف حماداً فلم يذكر أين ما رواه معمر، ثم قلنا قال الحفاظ إن حماداً أثبت الناس في ثابت فبطل قوله.
ثم إن كفر أبو طالب وموته عليه جاء في حديث المسيب بن حزن الذي رواه أحمد (٥/ ٤٣٣) والبخاري (١٣٦٠ و٣٨٨٤ و ٤٦٧٥ و ٤٧٧٢ و ٦٦٨١) ومسلم (٢٤) والنسائي (٤/ ٩٠ - ٩١) والطبراني (ج ٢٠ رقم ٨٢٠) حينما عرض رسول الله ﷺ كلمة التوحيد ورفض هو وقال هو على دين (ملة) عبدالمطلب.
فإذا كان عبدالمطلب كافراً ومات قبل البعثة النبوية وهو جد النبي ﷺ فغيره أولى أن يكونوا كفاراً.

(١٣٢) هذا باطل كيف ينسخ الحديث الصحيح بالحديث الموضوع.

أبو طالب، لما تقرر أن العرب تسمي العمّ أباً، ولأن تسمية أبي طالب أباً له ﷺ كانت شائعاً عندهم لأنه ربّاه وكفله من صغره فكان مظنة السؤال عنه، على أن لفظ: « أبي وأباك في النار » لم يتفق الرواة على ذكره، وإنما ذكره حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس، فرواه مسلم من هذا الطريق، وخالفه معمر فلم يذكر هذا اللفظ، بل ذكر: فقال له: « إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار »[133] وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده ﷺ أصلاً، ومعمر أثبت من حماد، فإنه تكلم في حفظه، ووقع في أحاديثه مناكير كما بينها الأئمة، ومن ثمة لم يخرج له البخاري شيئاً وأما معمر فلم يتكلم في حفظه واتفق على التخريج له الشيخان، فلفظه أثبت، فوجب تقديمه، لاحتمال أن حماداً رواه بالمعنى حسب فهمه فيصير معللاً، نص عليه الحافظ السيوطي. وأما حديث: أنه ﷺ قال: « ليت شعري ما فعل أبواي »[134] فنزلت: ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ فقد قال الأئمة الحفاظ: لم يخرج في شيء من كتب الحديث المعتمدة وإنما ذكره في بعض التفاسير بسند منقطع لا يعوّل عليه[135].

وهذا السبب لنزول الآية مردود، بأن ما قبل الآية وما بعدها كلّها في اليهود. وقد ورد التصريح في الأثر المروي بطرق عن مجاهد هو أن المراد بأصحاب الجحيم: كفار أهل الكتاب وأما حديث: أنه ﷺ استغفر لأمه فضرب جبريل في صدره وقال: لا تستغفر لمن مات مشركاً فقد أخرجه البزار بسند فيه من لا يعرف، فهو ضعيف ساقط[136]. وأما حديث: أنه نزل في أمه: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين﴾ الآية فضعيف

---

(١٣٣) راجع التعليق (١٣١).

(١٣٤) في نسخة القاضي بأبواي وهو خلاف ما في تفسير ابن جرير.

(١٣٥) رواه ابن جرير (١٨٧٥ و ١٨٧٦ و ١٨٧٧).

(١٣٦) رواه البزار (٩٦) من حديث بريدة وفي إسناده محمد بن جابر قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٢) لم أر من ترجمه.

أيضاً. والثابت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب وقوله ﷺ له: «لأستغفرن لك ما لم أنة عنه». وأما حديث: أنه ﷺ قال: «لابْنَيْ مَليكة أمكما في النار» فشق عليهما فدعاهما فقال: «إنّ أمي مع أمّكما» فأخرجه الحاكم في مستدركه وقد بين شيخ الإسلام الإمام العلامة شمس الدين الذهبي في مختصر المستدرك ضعف هذا الحديث وحلف عليه يميناً شرعياً (١٣٧). هذا ولو كنا نحتج بالأحاديث الضعيفة (١٣٨) لعارضناك بأحاديث منها: ما أخرجه ابن الجوزي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً: «هبط جبريل فقال: إن الله تعالى يقرؤك السلام ويقول: إني حرّمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك» (١٣٩).

وفي هذه النبذة كفاية فلله الحمد على ذلك.

بيان وقت حمله وتاريخ ولادته ﷺ

اعلم أن الكلام على حمله وولادته وسيرته وأخلاقه ﷺ يستدعي الكلام في ابتداء وجوده ﷺ، فاحتيج إلى ذكره وإن أهمله الناظم.

وملخصه: أنه لما تعلقت الإرادة الأزلية منه تعالى بإيجاد خلقه وتدبير رزقه أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية، ثم سلخ منه (١٤٠) العوالم كلها كما صرح به حديث عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه (١٤١) على وفق سابق علمه وإرادته، ثم أعلمه الله نبوته

---

(١٣٧) تقدم الكلام عليه.

(١٣٨) هذا خلاف الواقع فقد احتج بأحاديث موضوعة وضعيفة وادعى أنها نسخت الأحاديث الصحيحة.

(١٣٩) أنظر الموضوعات (١/ ٢٨٢ - ٢٨٣) لابن الجوزي.

(١٤٠) في نسخة القاضي سلخ منها.

(١٤١) هذا الحديث كذب لا شك فيه وهو مخالف للقرآن قال الله تعالى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإنسان خلقه الله من طين. وقد =

ورسالته وبشر بذلك ملائكته ليظهر كرامته، كما صرحت به أحاديث، وآدم إذ ذاك بين الروح والجسد [١٤٢] كما في أحاديث دلت على أن روحه العلية ثبت لها الوصف بالنبوة والرسالة في الخارج في عالم الأرواح دون غيره ﷺ إعلاماً بشرفه وتميزه على بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهو ﷺ: الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس.

وفي حديث الإسراء «وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً» رواه البزار [١٤٣]. فأول المخلوقات على الإطلاق النور المحمدي ثم الماء ثم العرش ثم القلم كما في حديث أحمد والترمذي وصححه وأقره الحفاظ [١٤٤]، وقيل: خلق

= قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من نار وخلق آدم عليه السلام مما قد وصف لكم».

رواه مسلم (٢٩٩٦) وغيره من حديث عائشة.

قال شيخنا في سلسلة الصحيحة بعد أن أورد فيها هذا الحديث (رقم ٤٥٩).

وفيه إشارة إلى بطلان الحديث المشهور على ألسنة الناس «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» ونحوه من الأحاديث التي تقول بأنه ﷺ خلق من نور، فإن هذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور دون آدم وبنيه، فتنبه ولا تكن من الغافلين.

وقد ألف الأستاذ أحمد عبدالقادر الشنقيطي رسالة في تفنيد هذا الحديث المزعوم سماها «تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبدالرزاق». وطبعت الرسالة سنة ١٣٩٢ وقرظها الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله. والمصنف طبع ولا يوجد فيه هذا الحديث المزعوم.

(١٤٢) صح من حديث ميسرة الفجر «كتبت نبياً وآدم بين الروح والجسد» وله شاهدان من حديث أبي هريرة والعرباض بن سارية راجع سلسلة الصحيحة (٤/ ٤٧١ - ٤٧٢) لشيخنا محمد ناصر الدين الألباني.

(١٤٣) رواه البزار (٥٥) من حديث أنس وفيه مجهول ومن تكلم فيه.

(١٤٤) هذا يوهم أن أحمد والترمذي رويا حديثاً بهذا الترتيب وهو خطأ فاحش.

إذ الحديث الذي رواه أحمد (٥/ ٣١٧) والترمذي (٢٢٤٤ و ٣٣٧٥) عن عبادة وصححه الترمذي هو «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى =

القلم قبل الماء والعرش، وفي الخبر لما خلق تعالى آدم عليه السلام جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه، ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكته وحمله على أكتاف ملائكته فطافوا به في السماوات ليرى عجائب ملكوته (١٤٥). وفي المواهب نقلاً عن جعفر بن محمد: مكثت الروح في رأس آدم مائة عام وكذا في كل من صدره وساقيه وقدميه مائة عام، ثم علّمه الله تعالى الأسماء كلها، ثم أمر الملائكة بالسجود له، فالمسجود له بالحقيقة نوره ﷺ وآدم كالقبلة كما صرّح به المحققون.

وروي عن جعفر الصادق: أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون عليهم السلام.

= الأبد» هذا أحد لفظي الترمذي ورواه أبو يعلي (١/١٢٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٧١) من حديث ابن عباس.

ومن أوله بقوله أي بعد العرش والماء والريح مستدلاً بحديث «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض» الحديث فقد أخطأ إذ كتابة مقادير الخلائق إنما هو بالقلم.

قال شيخنا في سلسلة الصحيحة بعد أن أورد فيه حديث ابن عباس برقم (١٣٣) وفي هذا الحديث إشارة إلى ما يتناقله الناس حتى صار ذلك عقيدة راسخة في قلوب كثيرة منهم، وهو أن النور المحمدي هو أول ما خلق الله تبارك وتعالى، وليس لذلك أساس من الصحة، وحديث عبدالرزاق غير معروف إسناده، ولعلنا نفرده بالكلام في الأحاديث الضعيفة إن شاء الله تعالى.

وفيه رد على من يقول بأن العرش هو أول مخلوق ولا نص في ذلك عن رسول الله ﷺ، وإنما يقول به من قاله كابن تيمية وغيره استنباطاً واجتهاداً، فالأخذ بهذا الحديث - وفي معناه أحاديث أخرى - أولى، لأنه نص في المسألة، ولا اجتهاد في مورد النص كما هو معلوم.

وتأويله بأن القلم مخلوق بعد العرش باطل، لأنه يصح مثل هذا التأويل لو كان هناك نص قاطع على أن العرش أول المخلوقات كلها ومنها القلم، أما ومثل هذا النص مفقود، فلا يجوز هذا التأويل.

(١٤٥) لا أصل لهذا مطلقاً كما تقدم.

وعن النقاش: أول من سجد: إسرافيل ولذا ولي على اللوح المحفوظ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان ذلك يوم الجمعة من الزوال إلى العصر، ثم خلق الله تعالى حواء من ضلعه الأيسر وهو نائم، وسمّيت حواء لأنها خلقت من حيّ، فلما رآها سكن إليها ومد يده إليها فنهاه الملائكة حتى يؤدي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد ثلاث مرات.

وذكر الحافظ ابن الجوزي في كتاب سلوة الأحزان: أنه لما رام القرب منها طلبت مهرها قال يا رب وما مهرها؟ قال الله تعالى: تصلي على حبيبي محمد ﷺ عشرين مرة ففعل.

ثم ولدت له بعد الهبوط أربعين ولداً في عشرين بطناً، ثم ولدت شيئاً وحده كرامةً وحفظاً لنور نبينا ﷺ أن يشاركه أنثى، ولما توفي آدم عليه السلام كان شيث وصيه على أولاده ثم أوصى شيث ولده بوصية أبيه أن لا يقع[١٤٦] هذا النور إلاّ في المطهرات من النساء، ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها إلى أن وصل النور إلى عبدالمطلب، فكان يفوح منه رائحة المسك الأزفر، ونور رسول الله ﷺ يضيء في غرّته، ثم تزوّج بعدما رأى في النوم ما يدل على ذلك فاطمة وحملت بعبد الله الذبيح وقصته في الذبح مشهورة، وفي الكتب مسطورة[١٤٧].

وأخرج أبو نعيم والخرائطي وابن عساكر: أن عبدالمطلب لما خرج بعبد الله ليزوجه مرّ على كاهنة مشهورة وقد قرأت الكتب، فرأت نور النبوة في وجهه، ومن ثمة كان أجمل فتىً في قريش فسألته أن يقع عليها وتعطيه مائةً من الإبل رجاء أن تحمل بهذا النبي الكريم فقال: أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه، وقيل: قال لها: أما الحرام فالممات دونه يحمي الكريم عرضه ودينه، فخرج به أبوه حتى أتى به وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة فزوّجه بنته آمنة وهي يومئذ أفضل امرأة من

(١٤٦) في نسختي أن لا يضيع هذا.

(١٤٧) هذه كلها خرافات لا أصل لها.

قريش نسباً وموضعاً. فوقع عليها يوم الاثنين أيام منى عند الجمرة فحملت برسول الله ﷺ (١٤٨). كذا في المواهب وأقـره في شرح الهمزية.

وَحَمْلُـهُ أَيَّـامَ تَشْـرِيـفٍ حَصَـلْ وَعِنْدَ وُسْطَـى جَمَـرَاتٍ انتَقَـلْ

وفي عيون الأثر للحافظ ابن سيد الناس نقلاً عن الزبير بن بكّار: حملت به أمه ﷺ في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى، ففيه التصريح بأن المراد بأيام منى في حديث أبي نعيم وغيره أيام التشريق، وبالجمرة الجمرة الوسطى، ولذا قـال النـاظـم: رحمه الله تعـالى: (وحمـلـه) مـن جملـة (جمرات) ثلاث في منى (انتقل) ذلك النور إلى بطنها باستقرار النطفة الكريمة فيها (١٤٩).

وقال خاتمة الحفاظ نجم الدين الغيطي: حملت به ﷺ يوم الاثنين في شهر رجب وقيل أيام منى في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى انتهى (١٥٠).

وقال سهل بن عبدالله التستري من كبار العارفين فيما رواه الخطيب البغدادي (الحافظ) حملت به ﷺ في رجب ليلة الجمعة. وفي حديث كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه أنه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها والأرض وبقاعها أن النور المكنون الذي منه رسول الله ﷺ يستقر الليلة في بطن أمه آمنة، فيا طوبى لها ثم يا طوبى لها، وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا منكوسةً وكانت قريش في جدب شديد، وضيق عظيم، فاخضرّت الأرض وحملت الأشجار، وآتاهم الوفد من كل جانب، فسميت تلك السنة التي حمل فيها رسول الله ﷺ سنة الفتح والابتهاج

---

(١٤٨) هذا مركب من حديثين رواهما أبو نعيم في الدلائل (٣٠٣ و ٣٠٥) من حديث سعد وابن عباس وفي إسنادهما من هو مدلس وقد عنعن ومن هو متكلم فيه ومن لم نجد له ترجمة فيما لدينا من المراجع.

(١٤٩) هذا باطل لأنه ﷺ ولد في ربيع الآخر فكيف يكون الحمل به في أيام التشريق؟

(١٥٠) ذكر ذلك الغيطي في مولده (٤/٢).

ذكره في المواهب. وعن أبي زكـريا يحيى بن عائذ بقي ﷺ في بطن أمه تسعة أشهر كمّلا لا تشكو [١٥١] وجعاً ولا ثقلاً مما يعرض للنساء ومثله في حديث ابن إسحاق.

وعن شداد بن أوس أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما حقيقة أمرك؟ فقال: «بدء شأني أني دعوة إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، وإني بِكر أمي، وإنها حملت بي كأثقل ما تحمل النساء وجعلت تشتكي الى صواحباتها ثقل ما تجد، ثم إن أمي رأت في منامها أن الذي في بطنها نور، الحديث» [١٥٢] ففيه أنها وجدت ثقل الحمل فينـافي الأحاديث التي فيها نفي ذلك.

وجمع الحافظ أبو نعيم بأن الثقل كان في ابتداء علوقها به والخفة عند استقرار الحمل فيكون على الحالين خارقاً للعادة [١٥٣].

(تنبيه) قال الشهاب ابن حجر كالحافظ الغيطي: قد أكثر الناس من الأخبار والآثار الموضوعة والشديدة الضعف فيما يتعلق بحمله ومولده ورضاعه ولم يصح في ذلك إلا أخبار قليلة انتهى [١٥٤].

(١٥١) في نسخة القاضي لا تشكي.

(١٥٢) روى أحمد (٥/ ٢٦٢) والطبراني (٧٧٢٩) والبيهقي في الدلائل (١/ ٢٠ - ٢١) وابن سعد في الطبقات (١/ ١٠٢) وابن عدي في الكامل (   ) من حديث أبي أمامة قال: قيل: يا رسول الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام» ورواه أبو داود الطيالسي ص ١٥٥) وأبو نعيم في الدلائل (٣١٧) وأما حديث شداد فرواه أبو نعيم في الدلائل (٣١٨) وهو حديث طويل وفي إسناده عمر بن صبح بن عمر التميمي قال الحافظ في التقريب (متروك كذبه ابن راهويه. ومحمد بن يعلي الكوفي ضعيف، فهو حديث موضوع. وسيأتي في التعليق (٢٤٨).

(١٥٣) قاله في الدلائل بعد الحديث (٣٣١).

(١٥٤) ذكره الغيطي في موله (٥/ ١).

فما روي منها بطريق ضعيف يجوز روايته والاعتماد عليه إذا دل على فضيلة ومنقبة له ﷺ ، لأن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب اتفاقاً كالحسن والصحيح[١٥٥] ، وما كان موضوعاً منها بأن خالف الأحاديث [الصحاح] أو نص الحفاظ على وضعه ولم يعرف له أصل في الكتب المعتمدة لا يجوز ذكره إلا مقروناً ببيان وضعه سواء في الفضائل أم في غيرها كما نص عليه الأئمة ، فكن في قراءة المواليد على حذر .

وُلِدَ في الإثْنَيْنِ ثانِ عَشَر   رَبيعِ الأوَّلَ أسْنى شهر

(ولد) ﷺ بمكة على الصواب بل قيل إنكاره كفر ، ويؤيده قول جمع من أئمتنا من محققي المتأخرين نقلاً عن الإمام أبي المظفر السمعاني : أول واجب على الآباء تعليم أولادهم أن النبي ﷺ ولد بمكة وبعث بها[١٥٦] ودفن بالمدينة وأنه من قريش وليس بأسود ونحو ذلك من كل ما كان إنكاره كفراً انتهى . فزعم أنه بعسفان شاذ لا يعوّل عليه ، والأصح أنه المسجد المشهور الآن بالمولد عند أهل مكة ، وهو متواتر عندهم يذهبون إليه كل عام ليلة المولد ، وقيل بشعب أبي طالب ، وقيل بالردم معذوراً أي مختوتاً مسروراً أي مقطوع السرة كما في حديث أبي هريرة عند ابن عساكر[١٥٧] .

وروى الطبراني وأبو نعيم والخطيب من طرق عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سوأتي »[١٥٨] وصححه

---

(١٥٥) هذا غير صحيح .

(١٥٦) في نسخة القاضي وبعث فيها .

(١٥٧) لم يصح ذلك .

(١٥٨) رواه الطبراني في الصغير (٢/ ٥٩) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٤) والدلائل (١/ ١٩١ - ١٩٢) والخطيب في تاريخه (١/ ٣٢٥) وهو حديث غير صحيح انظر رسالة لطيفة في أحاديث متفرقة ضعيفة لابن عبد الهادي (ص ٦٨ - ٧٤) .

الضياء في المختارة. وقال الحاكم: تواترت به الأخبار، وتعقبه الذهبي فقال: ما أعلم صحة ذلك، فكيف يكون متواتراً [١٥٩].

وأجيب: بأنه أراد اشتهاره في كتب السير لا التواتر الاصطلاحي، وضعف الكمال ابن العديم أحاديث كونه ولد مختوناً، وأقره الحافظ الزين العراقي وغيره عليه، ورجّح بعض الحفاظ كونه ولد مختوناً فقال: إن أدلته مع ضعفها أمثل من أدلة غيره، قال الغيطي: ويرجّح أيضاً بأن لدليله طريقاً جيداً صححه الحافظ الضياء كما مر. قال الزركشي: إن تصحيح الضياء أعلى من تصحيح الحاكم [١٦٠].

وروى مسلم [١٦١] بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن جده عبدالمطلب ختنه يوم سابع ولادته وصنع له مأدبةً وسماه محمد ﷺ وحكاه ابن عبد البر في تمهيده.

قال الحافظ أبو الفضل العراقي وسنده غير صحيح [١٦٢].

وفي طريق منكر كما قاله الذهبي أنه ﷺ ختنه جبريل عليه السلام حين شق قلبه عند حليمة.

قيل إن ذلك ليس من خصائصه ﷺ، وإن كثيراً من الناس ولدوا مختونين، ومنهم جماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقال الكلبي بلغنا أن آدم واثني عشر نبياً خلقوا مختونين، آخرهم محمد ﷺ (في الاثنين) أي في يوم الاثنين كما هو المتبادر أو ليلة الإثنين كما يومىء إليه

---

(١٥٩) أنظر المستدرك (٢/ ٦٠٢).

(١٦٠) ذكره الغيطي في مولده (٧/ ٢).

(١٦١) الظاهر من هذا القول أنه رواه في صحيحه وليس كذلك، ولا ندري أين رواه وهل رواه في كتاب من كتبه، وذكره ابن كثير في السيرة وقال: روي بصيغة التمريض مما يدل على عدم صحته.

(١٦٢) هذا دليل قاطع على أن مسلماً لم يروه.

قولي الآتي[١٦٣]: وليلة المولد.. البيت، على الخلاف في أنه ﷺ ولد في يوم الإثنين أو ليلته، والأول هو المشهور الأصح، بل الصحيح كما عبر به الزركشي بصحة حديث مسلم عن [أبي] قتادة الأنصاري أنه ﷺ سئل عن صيام يوم الإثنين قال: «ذلك يوم ولدت [فيه] وأنزلت فيه عليّ النبوة»[١٦٤].

ومثله عن ابن عمر رضي الله عنهما. وذهب جماعة إلى الثاني، واستدلوا بتصريح حديث عائشة رضي الله عنها وغيره بأنه ولد ليلاً.

نعم خرّج أبو نعيم في الدلائل بسند فيه ضعف أنه ﷺ ولد عند طلوع الفجر، وبه يجمع الأحاديث، لأن الحديث الضعيف حجة في الفضائل اتفاقاً كما مر. فمن أطلق أنه ولد ليلاً أراد ما قبل طلوع الشمس أو أراد مجاوره مجازاً. ثم قيل: إن ذلك اليوم في شهر ربيع الآخر، وقيل في صفر، وقيل في رجب، ولا يصح كما في المواهب، وقيل في رمضان، وروي عن ابن عباس[١٦٥] رضي الله عنهما بسند لا يصح، وقيل في يوم عاشوراء، وهو غريب.

والصحيح المشهور وهو قول الجمهور كما قاله ابن كثير وغيره بل حكي عن ابن الجوزي وغيره الاتفاق عليه، ولكنه نظر فيه أنه في شهر ربيع الآخر[١٦٦]، فقيل ذلك اليوم فيه غير معين، والصحيح أنه معين، فقيل ثانيه وقيل ثامنه، وانتصر له كثيرون، واختاره أكثر أهل الحديث، وحكى القضاعي إجماع أهل التأريخ[*] عليه، وقيل عاشره، والمشهور عند الجمهور كما قاله ابن كثير وعليه العمل وبه جزم ابن إسحاق وتبعه ابن سيد الناس وغيره، ورواه ابن أبي شيبة

---

(١٦٣) في نسخة القاضي قوله الآتي وهو الصواب.

(١٦٤) رواه مسلم (١١٦٢) والبغوي في شرح السنة (١٨٧٩) مطولاً وليس عندها كلمة النبوة. وكذلك رواه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٦ - ٧) بدون هذه الكلمة.

(١٦٥) في نسختي ونسخة القاضي عن ابن عمر.

(١٦٦) في نسخة القاضي ربيع الأول.

(*) في نسختي التواريخ.

عن جابر وابن عباس رضي الله عنهم أنه (ثاني عشر) شهر (ربيع) بالتنوين (الأول) وبالغ بعضهم فنقل الإجماع عليه. وقال الغيطي: ولعله أراد الإجماع الفعلي، لأن السلف والخلف مطبقون على عمل المولد في اليوم المذكور وعلى تسمية ذلك اليوم يوم المولد في سائر الأعصار والأمصار، حتى في حرم مكة التي هي محل مولد المختار (١٦٧).

ومن ثمة قال بعض الأئمة المحدثين أنه الصحيح الذي عليه السلف ومن يعتمد عليه من الخلف فعليه يعتمد وعليه المعوّل انتهى (١٦٨).

وقيل سابع عشرة، وقيل لثمان بقين منه، وهذان ساقطان كما قيل. وإنما ولد في شهر ربيع الأول على الصحيح دون أحد الشهور الفاضلة كرمضان وأشهر الحرم لئلا يتوهم أنه ﷺ تشرف بإحدى هذه الأزمنة الفاضلة، فجعل ولادته في الزمان المفضول ليظهر كرامته على الله تعالى، وأن الزمان هو الذي يتشرف به، وقس عليه ولادته في يوم الاثنين دون يوم الجمعة. ونظير ذلك دفنه بالمدينة دون مكة.

(تنبيه) الربيع ربيعان ربيع الشهور وربيع الأزمنة فربيع الشهور شهران بعد صفر ولا يقال إلاّ شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر كما في القاموس وغيره. وأما ربيع الأزمنة فربيعان الربيع الأول الذي يأتي فيه النَّوْر والكمأة والربيع الثاني الذي تدرك فيه، فعلم أن الناظم حذف لفظ شهر من ربيع الأول للضرورة، ووصفه بقوله (أسنى شهر) أي أرفع كل شهر قدراً للإفصاح عن ذلك المحذوف، ويجوز جعله حالاً أو خبراً لمحذوف، فيا له من شهر ما أشرفه! ويا له من وجه مولود فيه ما أشرفه! فسبحان من جعل حسنه بديعاً وللقلوب ربيعاً وما أحسن قول من قال:

يقول لنا لسان الحال منه ... وقول الحق يعذب للسميع

(١٦٧) قاله الغيطي في مولده (١/٨).

(١٦٨) أنظر مولد الغيطي (١/٨).

فوجهي والزمان وشهر وضعي ربيع في ربيع في ربيع

وعلى كونه أرفع شهر، قيل إن ليلة مولده أفضل من ليلة القدر.

(تنبيه) اختلفوا في مدة الحمل به ﷺ، فقيل تسعة أشهر وهو الأصح المشهور كما صرح به حديث يحي بن عائذ، وقد سبق ذكره، وقيل عشرة وقيل ثمانية، وقيل سبعة، وقيل ستة أشهر أي وهو ظاهر قول آمنة: أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر في المنام الحديث بطوله. رواه أبو نعيم، أقوال حكاه(١٦٩) الحافظ أحمد الغيطي، والمحدث شارح البخاري: أحمد القسطلاني في المواهب، والشهاب ابن حجر في أشرف الوسائل، والحلبي في سيرته.

وقد علم مما مرّ أن الحمل إما في رجب وهو المشهور، ورجّحه بعض الحفاظ أو في أيام التشريق كما مرّ في رواية أبي نعيم وغيره واختاره ابن سيد الناس وتبعه الناظم.

قال الحافظ الغيطي: القول الأول وهو كون الحمل في رجب منطبق على ميلاده ﷺ في شهر ربيع الأول. وأما الثاني وهو كونه أيام منى فموافق لما ذهب إليه بعضهم من أن ميلاده في شهر رمضان المعظم انتهى(١٧٠).

وقال القسطلاني في المواهب: وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما بإسناد لا يصح من أن ولادته ﷺ في رمضان فموافق لمن قال: حملت به ﷺ في أيام التشريق انتهى.

وعبارة ابن سيد الناس في عيون الأثر بعدما ذكره على الأصح من أن الولادة في ثاني عشر شهر ربيع الأول.

وعبارة الزبير بن بكار: حملت به أمه ﷺ في أيام التشريق في شعب أبي

---

(١٦٩) في نسختي ونسخة القاضي حكاها.

(١٧٠) قاله الغيطي في مولده (٤/ ٢).

طالب عند الجمرة الوسطى، وولد ﷺ يوم الإثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان انتهى.

فتبين أن ما ذكره الناظم من أن الحمل في أيام التشريق، والولادة في شهر ربيع الأول لا يوافق واحداً من القولين، بل لا يوافق شيئاً من أقوال مدة الحمل المذكورة عن الحفاظ، وليس وراءها قول آخر، وقد تتبعت لمأخذ كلام الناظم فوجدت صاحب كتاب عيون الأثر صرح في مختصره بعين ما ذكره الناظم، وهو من خلط القولين سهواً، وشاهده صريح كلامه كما مر نقلاً عن الزبير من أن مَن جعل الحمل في أيام التشريق جعل الولادة في شهر رمضان كصريح كلام الغيطي والقسطلاني ثم تبعه الناظم من غير تأمل، فإن نظمه لا يخرج عن مختصره ترتيباً وعبارةً إلاّ قليلاً، هذا ولا بُعد في نسبة السهو إليه، لأن البعد عنه من وظائف كلام الله تعالى، وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه للبويطي: لقد ألّفت هذه الكتب ولم آل فيها ولا بد أن يوجد فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ فما وجدتم في كتبي ما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه انتهى.

ولو فرض أن ما ذكر لم يكن سهواً لا يعوّل عليه لتصريح الأحاديث بأن مدة الحمل أزيد من ذلك ولمخالفته لكلام الأئمة الحفاظ الذين ذكرتهم.

تذنيب: بلغني عن بعض الأفاضل أنه وجه كلام الناظم بحمله على النسيء المنهى عنه في القرآن وهو تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر، فيحتمل أنهم أخّروا ذا الحجة إلى جمادى الأولى أو الأخرى أو غيرهما مما يوافق واحداً من الأقوال المذكورة في مدة الحمل، وهو توجيه لا وجه إلى تصحيحه، لكن لصدوره ممن يعتمد عليه اشتهر بين الطلبة، فاحتجنا إلى إيضاح فساده.

فنقول: النسيء المذكور في قوله تعالى ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ الآية أما اسم المصدر الذي هو النَّسأة بضم النون وسكون المهملة بمعنى تأخير شهر إلى

شهر آخر، أو فعيل بمعنى مفعول أي الشهر المنسي كما في النهاية (١٧١).

وفي القاموس: النسيء الاسم من النسأة بالضم وشهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية فنهى الله تعالى عنه انتهى (١٧٢).

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا أي أهل الجاهلية يجعلون المحرم صفراً أي يجعلون الصفر من أشهر الحرم.. الحديث (١٧٣).

وقال الطبراني (١٧٤): إن العرب كانوا يؤخرون المحرم إلى صفر، وهو النسيء المذكور في القرآن انتهى.

وفي الكشاف: النسيء تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر، وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها إلى ثلاثة عشر شهراً ليتسع لهم الوقت (١٧٥).

وقال الكرماني: لما سموا المحرم صفراً وكان من جملة تصرفاتهم جعلوا السنة ثلاثة عشر شهراً صار صفر على هذا التقرير آخر السنة وآخر أشهر الحج انتهى.

وفي البيضاوي قيل: أول من أحدث النسيء جنادة بن عوف، فينادي في الموسم: إن آلهتكم قد أحلّت لكم المحرم فأحلّوه، ثم ينادي في قابل: إن آلهتكم قد حرّمت عليكم المحرم فحرّموه انتهى.

فظهر من هذه النقول الصحيحة أن النسيء إنما هو في شهر واحد وأن ذلك الشهر هو المحرم، ولم ينقل عن أحد أنهم كانوا ينقلون أي شهر أرادوه إلى أي

---

(١٧١) أنظر النهاية (٥/ ٤٥) في نسخة القاضي تأخير حرمة شهر.

(١٧٢) أنظر تاج العروس (١/ ٤٥٥ - ٤٥٦).

(١٧٣) رواه البخاري (١٥٦٤ و ٣٨٣٢) وأحمد (٢٢٧٤ و ٢٣٦١) ومسلم (١٢٤٠) وأبو داود (١٩٧١) والنسائي (٥/ ١٨٠ - ١٨١) والطبراني (١٠٩٠٦).

(١٧٤) في نسختي ونسخة القاضي الطبري.

(١٧٥) أنظر الكشاف (٢/ ٢٧٠) وفي نسخة القاضي يجعلونها ثلاثة عشر وهو الموافق لما في الكشاف.

وقت أرادوه، حتى يتم التوجيه المذكور، على أن أيام التشريق لم تختلف جاهلية ولا إسلاماً كما وردت بذلك الآثار، فرحم الله امرءاً إذا بدا له الحق اتبعه بالانتصار، فمرادي بهذا البسط بيان الحق لا تغيير أحد من الحق.

مِنْ عامِ فيلٍ لِهُبوطِ آدَما　　سِتَّةُ آلافٍ مَضَتْ مع جادَما

وقوله (من عام فيل) صفة أو حال لربيع الأول، ومن تبعيضية، كما يفصح عنه عبارة أصله أعني المختصر المذكور، وما سوى هذا التوجيه تكلّف.

(تنبيه) اختلفوا في عام ولادته ﷺ، فالذي قال به ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والأكثرون، ومنهم من حكى الاتفاق عليه أنه عام الفيل، والمشهور أنه ولد بعد الفيل بخمسين يوماً، وإليه ذهب السهيلي وجماعة، وأيده بعضهم بأن قصة الفيل كانت توطئةً لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثته، وإلاّ فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب وكان دينهم خيراً من دين أهل مكة إذ كانوا عباد أوثان، فنصرهم الله تعالى بما لا صنع للبشر فيه تأسيساً لظهوره ﷺ من مكة وتعظيماً لبلده الحرام، وقيل بخمسة وخمسين حكاه الدمياطي وقيل بأربعين، وقيل بعد الفيل بعشر سنين وقيل قبله بخمسة عشر سنة وقيل غير ذلك. وبسط تلك القصة كما ذكره بعض الحفاظ أن أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وأراد صرف الحاج إليها، وكتب إلى النجاشي بذلك، ثم جاء رجل من بني كنانة فأحدث فيها (١٧٧) ولطخ قبلتها بالعذرة، فسمع أبرهة بذلك فغضب وحلف لأهدمنّ الكعبة، ثم سار بجيش عظيم من الحبشة وغيرهم ومعه فيل واحد يسمى محموداً، وقيل معه أفيال غيره، فخرج إليه في الطريق ملوك فهزمهم كلهم وأسرهم إلى أن نزل بالقرب من المغمس عند عرفة، فبلغ ذلك عبدالمطلب فقال: يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت أحد لأن له رباً يحفظه، ثم أرسل

(١٧٦) أنظر تفسير البيضاوي (ص ٢٥٤) بهامش القرآن.

(١٧٧) في نسخة القاضي فقضى حاجته فيها.

أبـرهة خيلاً فاستاقت إبل قريش ولعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة ، فركب في قريش حتى اطلع على جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله ﷺ على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل السراج ، فلما رأى ذلك قال : ارجعوا فقد كفيتم ، فوالله ما استدار هذا النور مني إلاّ أن يكون الظفر لنا فرجعوا متفرقين ، ثم أرسل أبرهة رجلاً لسيدهم وهو عبدالمطلب ليخبرهم أنه لا حاجة له إلى دمائهم [١٧٨] ، وإنما غرضه تخريب الكعبة فإن مكنتموني نجوتم ، فقال له عبدالمطلب : لا طاقة لنا بحربه والبيت بيت الله فإن منعه فهو بيته ، ثم أتى مع ذلك الرجل إلى أبرهة وكان عبدالمطلب جسيماً وسيماً ما رآه أحد إلاّ أحبّه ، وكان مجاب الدعوة ، فقيل لأبرهة : هذا سيد قريش الذي يطعم الناس والطير في السماء ، فلما رآه أكرمه ونزل على سريره وأجلسه على بساط ثم قال له : ما حاجتك ؟ قال : أن ترد إليّ إبلي [١٧٩] ، فقال له : قد كنت أعجبتني ثم زهدت فيك ، تكلّمني في إبلك دون بيت هو دينك ودين آبائك ، فقال له أما الإبل فأنا ربها ، وأما البيت فله رب يحميه ، فردّ إليه إبله ، فرجع فأخبرهم ، فتحرّزوا في الجبال والشعاب ، ثم أخذ عبدالمطلب ومعه نفر من قريش بحلقة باب الكعبة ودعوا وطلبوا النصر من الله تعالى. وفي رواية أن رسول أبرهة لما دخل مكة ورأى وجه عبدالمطلب خضع وتلجلج لسانه وخرّ مغشياً عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه ، فلما أفاق خرّ ساجداً لعبد المطلب ، وقال : أشهد أنك سيد قريش حقاً ، وروي أن عبدالمطلب لما ذهب إلى أبرهة أحضر فيله الأبيض الأعظم [١٨٠] ، فلما رأى عبدالمطلب خرّ ساجداً وأنطقه الله تعالى فقال : السلام على النور الذي في ظهرك يا عبدالمطلب ، ولما أصبح أبرهة بالمغمس وهيّأ فيله وجنوده لدخول مكة برك الفيل في محله بناء على الأصح أنهم لم يدخلوا الحرم ،

---

(١٧٨) في نسختي ونسخة القاضي بدمائهم.

(١٧٩) في نسختي أن ترد علي إبلي.

(١٨٠) في نسختي الأبيض الأعظم.

وقيل دخلوه، وإنما برك لما وصلوا وادي محسر، ولذلك سمي بذلك لأن فيلهم حسر فيه أي أعيا فيه، ثم ضربوا رأسه ويديه حتى بالحديد فأبى فوجهوه نحو اليمن فقام وأسرع، ثم نحو الشام فمشى ثم نحو الكعبة فأبى، ثم أرسل الله طيراً أبابيل كأمثال الخطاطيف من البحر مع كل طائر منهم ثلاثة أحجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كأمثال العدس لا يصيب أحداً منهم إلاّ خرج من دبره، فولوا (١٨١) هاربين يتساقطون بكل طريق، وأصيب أبرهة بداء في جسده فتساقطت أنامله أنملة أنملة، وسال منه الصديد والقيح والدم، وما مات حتى انصدع قلبه ..

كذا ساق القصة في المواهب وأقرّها ابن حجر في شرح الهمزية، زاد في المواهب: فلما فرّج الله تعالى عن عبدالمطلب ورجع أبرهة خائباً تزوج فاطمة فحملت بعبد الله الذبيح، ولا يخفى أن هذا كرواية استدارت دائرة الغرة على جبينه كالهلال، ورواية تسليم الفيل على النور الذي في ظهره ينافي كون ولادته ﷺ في عام الفيل كما صححه هو وغيره. بل هذه أدلة إن صحت لمن قال إنها بعده بزمان، وساقها الدميري في حياة الحيوان أيضاً، لكن لم يذكر هذه الروايات. بل روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس بمكة (١٨٢). وذكر أيضاً أن عبدالملك بن مروان قال لقباث الكناني: يا قباث أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال القباث: رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه، ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ووقفت بي أمي على روث الفيل أحضره وأنا أعقله (١٨٣). وساق القصة أيضاً في

(١٨١) في نسختي إلا قتله فخرجوا هاربين.

(١٨٢) أنظر سيرة ابن هشام (١/ ٥٨ - ٥٩) والدلائل للبيهقي (١/ ٦٦).

(١٨٣) رواه أحمد (٤/ ٢١٥) والترمذي (٣٦٩٨) والطبراني (ج ١٩ رقم ٧٥) وأبو نعيم في دلائل النبوة (٣٤٣) والحاكم (٢/ ٦٠٣) والبيهقي في الدلائل (١/ ١١ - ١٢) بألفاظ مختلفة.

منظومته في السير وقال في آخرها :

فكـان عـام الفيـل عـام المولـد لأحمـد خيـر الـورى محمـد

واللام في قوله (لهبوط آدما) بمعنى بعد مثل قوله تعالى ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ أي بعده، أو بمعنى من كقولهم سمعت له صراخاً أي منه. والأول أظهر، ويلائم الثاني قوله الآتي: من الإسكندر ومن رفع عيسى الخ.. والمعنى بعد هبوط آدم عليه السلام أو من هبوطه إلى زمن ولادته ﷺ وهو عام الفيل (ستة آلاف) سنة (مضت) والمراد بهبوطه نزوله من الجنة إلى الأرض بعد أن أباح الله تعالى له ولزوجته نعيم الجنة ونهاهما عن شجرة الحنطة أو العنب أو التين على أقوال فيه، فحسدهما إبليس فاحتال لدخول الجنة، ثم لم يزل يوسوس ويحلف لهما كاذباً حتى ظنّا صدقه فأكلا منها فأهبطا إلى الأرض.

وروي عن كعب أنه هبط بالهند، ثم خرّ ساجداً على صخرة بيت المقدس. وقال وهب بن منبه: لما هبط آدم إلى [الأرض مكث] يبكي على ذلته ثلاثمائة سنة لا يرقأ له دمع. وقال المسعودي: لو أن دموع أهل الأرض جمعتِ لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله تعالى من الجنة.

وقال مجاهد: بكى آدم مائة عام لا يرفع رأسه إلى السماء، وأنبت الله تعالى من دموعه العود الرطب، والزنجبيل، والصندل، وأنواع الطيب . وبكت حواء حتى أنبت الله تعالى من دموعها القرنفل.

فتأملي يا نفس حال أبيك لزلة صغيرة أو خلاف الأولى: فما بالك مع زلاّت لا تحصى، نسألك اللهم تلقين حجتنا، والحمل إلى صدق توبتنا، ونعوذ بك من نفخة العجب والكبرياء التي صيّرت أعمال إبليس بعد طول خدمته كالهباء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الله تعالى: يا آدم ما حملك على ما صنعت؟ قال: زينت لي حواء، قال: [فـ] إني أعاقبها أن لا تحمل إلاّ كرهاً

ولا تضع إلاّ كرهاً ولأدمينها في الشهر مرتين. روي أن آدم عليه السلام مات وعمره ألف سنة، وقيل إلاّ سبعين وقيل عمره ثمانمائة سنة ودفن بأبي قبيس، فأخرجه نوح زمن الطوفان وحمل تابوته في السفينة ودفنه في منى كذا في «مثير الغرام إلى زيارة سيد الأنام».

وفي كتاب الأنس أن قبر آدم في بيت المقدس، ثم ذكر بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنهما: أن آدم رجلاه عند الصخرة ورأسه عند مسجد ابراهيم.

وعن عبدالله بن أبي فراس قال: قبر آدم في مغارة بيت المقدس ومسجد ابراهيم عليه السلام ورجلاه عند الصخرة، وبينهما عشرون ميلاً.

وروي نحوه عن ابن عمر رضي الله عنهما بزيادة: فإذا كان يوم القيامة أقامه تعالى على رجليه ثم يحشر ذريته إليه، ويقول الله: يا آدم إليك أحشر ذريتك ولا أحشرك فيمن أحشر لكرامتك عليّ.

و(مع) بسكون العين لغة قليلة في فتحها حال من المستتر في مضت أي حال كونها مصحوبة مع ما دل عليه الجيم في (جاد) والميم في (ما) وهو ثلاثة وأربعون بحساب الجمّل بضم الجيم وتشديد الميم وقد تخفف، وهو حساب صروف أبي جاد، وهي الحروف المجموعة في كلمات مشهورة أولها أَبْجَدْ قال أبو شامة في شرح الشاطبي: أصل أبجد أبو جاد فحذف منه الواو والألف لئلا يتكرر الصورة، لأن أول أبجد ألف وفي هوّز هاء انتهى.

وزاد غيره: وأصل هوّز: هواز، وقرشت: قريشات، لكن حذف منها ما حذف استغناء بنظيره.

وذكر بعض النحويين أن قولهم: أبو جاد وهواز وحطي عربية منصرفة، كلمن وسعفص وقريشات أعجمية لا تنصرف، إلاّ أنّ قريشات ينون كعرفات وأذرعات علماً، هذا حكم هذه الأسماء في الأصل، وأما إذا ذكرت لإفادة

الحروف المجتمعة فيها فحكمها البناء على السكون، ويقال: إن هذه الكلم الست أسماء ملوك مدين، وكلمن رئيسهم هلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام.

ثم رأيت المجد في القاموس صرّح بذلك فقال: أبجد إلى قرشت ملوك مدين وكَلَمَنْ رئيسهم ومنعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم هلكوا يوم الظلة فقالت ابنة كلمن:

كَلَمُـــنْ هـــدَّم ركني ... هُلْكُـــهُ وســـط المحلـــة
سيـــد القـــوم أتـــاه الـ ... ـحتـــف نـــاراً وســـط ظلـــة
جعلـــت نـــاراً عليهـــم ... دارهـــم كـــالمضمحلـــة

ثم وجدوا بعدهم ثخذ ضظغ فسموها: الروادف انتهى[184].

ويروى عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن لكل شيء تفسيراً علمه من علمه وجهله من جهله فقال: «أبو جاد» أبي آدم الطاعة وجدّ في أكل الشجرة، و «هوز» هوى من السماء إلى الأرض، و «حُطي» حُطَّ عنه خطاياه، «كلمن» أكل من الشجرة ومُنَّ عليه بالتوبة، «سعفص» عصى فأخرج من النعيم إلى الكدّ «قريشات» أقر بالذنب فأمن من العقوبة انتهى والله أعلم[185].

ثم كيفية تلك الأعداد[186] على تلك الحروف أن تمشي بالأعداد على التوالي على حروف أبي جاد، فالتسعة الأحرف الأولى آحاد على التوالي، فالألف لواحد والباء لاثنين وهكذا إلى الطاء المهملة فلها التسعة، والتسعة الثانية عشرات، فالياء لعشرة والكاف لعشرين وهكذا إلى الصاد المهملة للتسعين، والتسعة الثالثة

(١٨٤) أنظر تاج العروس (٧/ ٤٠١ - ٤٠٢).
(١٨٥) علامات الوضع عليه ظاهرة إذ هو تفسير باطني لم يكن معهوداً في عهد الصحابة مطلقاً.
(١٨٦) في نسخة القاضي ثم كيفية وضع الأعداد.

مئات، فالقاف للمائة والراء للمائتين وهكذا إلى الظاء المعجمة فلها تسعمائة، وبقي الغين المعجمة لأول عقود الألوف وهو الألف، فمتى وجد حرف من تلك الحروف فالمراد به العدد الموازي له، ذكره العلامة القليوبي.

وقد يرمزون في النظم إلى بعض تلك الحروف في أوائل الكلمات مع مراعاة استقامة معناها مع إفادة الحساب كما فعل الشاطبي، وقد يرادون(١٨٧) مجرد الحساب كما في كلام الناظم إذ ليس لجاد معنى منتظم مع [ما] قبله.

(تنبيه) اعلم أن التاريخ لغةً تعيين الوقت واصطلاحاً وقت اشتهر بوقوع أمر شائع فيه ينسب إليه الزمان المستقبل، وأنواعه كثيرة، والمستعمل منها كما قاله القليوبي بعد الهجرة نوعان التاريخ العربي وأوله عام الهجرة النبوية مع اتفاق الصحابة في سنة سبع عشرة من الهجرة حين استشارهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما اختلف عليهم الأزمنة، فأشاروا إليه بذلك، لأنه أول وقت استقامة ملّة الإسلام، وتوالي الفتوح وكان أول شهر المحرّم فيه بالحساب يوم الخميس وبداية الهلال يوم الجمعة.

والثاني: التاريخ القبطي وأوله على الصحيح عام ابتداء ملك دقلطيانوس الأنطاكي، وهو قبل التاريخ العربي بثلاث مئة وثمان وثلاثين سنة قبطية إلا خمسة وثلاثين يوماً على الصحيح انتهى.

وفي تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي، ابتداء التاريخ في الإسلام من الهجرة، وأول من أرّخ بالهجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبع عشرة من الهجرة انتهى(١٨٨).

قال بعضهم: التواريخ التي يعتمد على صحتها أربعة، وعليه العمل إلى قيام

---

(١٨٧) في نسختي ونسخة القاضي وقد يراعون.

(١٨٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠).

الساعة تأريخ الإسكندر وتأريخ دقلطيانوس آخر ملوك القبط وتأريخ يزدجرد آخر ملوك الفرس وتأريخ الهجرة انتهى.

وروى ابن أبي خيثمة عن الزهري أنه لما هبط آدم عليه السلام من الجنة وانتشر بنوه أرّخوا من هبوطه إلى أن بعث نوح عليه السلام، فأرخوا من مبعثه إلى الطوفان ثم من الطوفان إلى نار ابراهيم عليه السلام، فلما كثر ولده تفرقوا، فأرّخ بنو إسحاق عليه السلام من النار وإلى مبعث يوسف عليه السلام فمنه إلى موسى عليه السلام فمنه إلى ملك سليمان عليه السلام فمنه إلى مبعث عيسى عليه السلام إلى أن بعث ﷺ وأرخ بنو اسماعيل من النار إلى أبناء الكعبة الشريفة، فمنه إلى موت كعب بن لؤي، ومنه إلى الفيل، فكان التاريخ من الفيل حتى أرّخ عمر بن الخطاب من الهجرة هذا وقد ذكر الناظم منها تأريخ الهبوط والإسكندر وعيسى عليه السلام، وزاد تأريخ أنو شيروان إلى عام الولادة وهو عام الفيل كما يأتي.

(تنبيه ثان مهم) ورد في عدة أحاديث أنّ عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وقد صرّح به المفسرون في تفاسيرهم، وجزم به الإمام الغزالي في الإحياء، وأن النبي ﷺ بعث في آخر الألف السادسة.

روى الترمذي في نوادر الأصول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها، فهم في الباب الأول من جهنم لا تسودّ وجوههم ولا تزرق أعينهم» إلى أن قال وأطولهم مكثاً فيها من يمكث فيها مثل عمر الدنيا من يوم خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة الحديث[١٨٩]. وروى ابن عساكر بسنده إلى أنس رضي

(١٨٩) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول كما في الحاوي (٢/١٦٦) وفي إسناده معلى بن هلال قال الحافظ اتفق النقاد على تكذيبه وليث بن أبي سليم وهو ضعيف فهو حديث موضوع.

الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من قضى لأخيه المسلم حاجة كتب الله له بقدر عمر الدنيا سبعة آلاف سنة صيام نهارها وقيام ليلها»(١٩٠). وفي الحديث الطويل عند الطبراني «الدنيا سبعة آلاف سنة وأنا في آخرها ألفاً»(١٩١). أخرجه البيهقي في الدلائل، وأورده السهيلي في الروض، وقال: هذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد. فقد روي موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه عن طرق صحاح أنه قال: الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة، وبعث النبي ﷺ في آخرها ألفاً(١٩٢). وصحح أبو جعفر حديث الطبراني وعضّده بآثار.

قال السيوطي: ومعنى وأنا في آخرها ألفاً أي معظم الملة في الألف السابعة لا أنه ﷺ بعث في آخر الألف السادسة(١٩٣).

---

(١٩٠) في إسناده كثير بن عبدالله الأبلي أبو هاشم وهو متروك وآخرون غيره متروكون. ورواه ابن عدي من حديث أنس أيضاً بإسناد فيه من هو كذاب.

(١٩١) رواه الطبراني (٨١٤٦) قال الحافظ في نتائج الأفكار في المجلس (٢٤٨) هذا حديث غريب، أخرجه ابن السني (١٤١ و ٧٧٢) مختصراً عن أحمد بن خالد بن عبدالملك الحراني عن عمه الوليد بن عبدالملك.

وأخرجه أبو علي بن السكن من رواية إسماعيل بن رجاء عن سليمان بن عطاء وقال في روايته عن عبدالله بن زِمل، فأفاد تسمية الصحابي، واقتصر على بعض الحديث.

وأخرجه أيضاً من وجه آخر عن سليمان ببعضه، وقال: هو حديث طويل في تعبير الرؤيا، وهو منكر.

قال البخاري: سليمان بن عطاء منكر الحديث.

وقال ابن حبان: روى عن مسلمة الجهني أشياء موضوعة فلا أدري البلاء منه أو من مسلمة.

قلت: وأبو مَشْجَعَة لا يعرف اسمه ولا حاله.

ومسلمة قال الحافظ مقبول. وانظر الإصابة (٤/ ٩٦ - ٩٧).

فحديث في إسناده هؤلاء ضعيف جداً، بل موضوع.

(١٩٢) لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً إذ الواقع يكذبه، ولم يذكر الأسانيد حتى ننظر فيه بل نقله عن الحاوي (٢/ ١٦٩) للسيوطي تقليداً له. أو أنها من الإسرائيليات.

(١٩٣) أنظر الحاوي (١/ ١٦٩) للسيوطي.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة. وعن وهب يقول: قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة، والآثار في هذا المعنى كثيرة، ومن ثمة قال الحافظ السيوطي: ثبت بالنصوص القاطعة أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وأجمع اليهود على ذلك.

وفي كتاب أخبار الدول، ذكر الشيخ محيي الدين نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ما بين آدم عليه السلام إلى نبينا ﷺ خمسة آلاف سنة وخمسمائة وخمسة وسبعون سنة.

وذكر محمد بن جرير الطبري: أن من آدم إلى انقضاء الخلق سبعة آلاف سنة، ويوافقه الحديث النبوي: أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة انتهى.

فإذا أحطت بما مر من الأحاديث والآثار، علمت أنه لا يطابق كلام الناظم تبعاً لما حكاه ابن الجوزي في كتابه التلقيح: من أن بين هبوط آدم وبين عام الولادة ستة آلاف سنة وثلاثة وأربعين، لأنه ﷺ بعث في آخر الألف السادسة كما مرّ، فلم يمض إلى البعثة ستة آلاف سنة فكيف إلى الولادة؟ وكيف بزيادة ثلاثة وأربعين، ولو كان بعثته ﷺ في الألف السابعة مع ما تقرر من: أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، لانقرضت الدنيا قبل زماننا هذا (١٩٤).

نعم في الفواتح المسكية وفي كتاب أخبار الدول أن الذي أثبته: بطليموس اليوناني في المجسطي وأرخه رصده أن بين هبوط آدم عليه السلام وبين الهجرة ستة آلاف سنة ومئتين وستة عشر (ة) (١٩٥).

روى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن بينهما ستة آلاف سنة ومئة وثلاثة وأربعين.

---

(١٩٤) هذا نقد جيد لتلك الروايات.

(١٩٥) في نسختي وست عشرة.

وفي رواية الكلبي عن أبي صالح: ستة آلاف وتسعة عشر سنة.

وفي نزهة النواظر عن ابن عساكر بسنده إلى أنس[١٩٦] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن جبريل حدثه قال: مضى من الدنيا ستة آلاف سنة وسبع مئة. وكلام الناظم لا يطابق أيضاً واحداً من هذه الأقوال وإن وافقها في أصل زيادة المدة على ستة آلاف سنة ولعله قول آخر من أقوال الزيادة فإن وراء ما ذكرنا أقوالاً لأصحاب الزيجات واليونانيين من النصارى وغيرهم تركناها اقتصاراً أو أنه ذهب إلى ما رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر ستة آلاف مع ثلاثة وأربعين وحذف المائة لضيق النظم.

ثم اعلم أن العلماء فسروا الدنيا بأنها جميع المخلوقات الموجودة قبل الآخرة، وقال بعضهم: هو ما حواه الليل والنهار، وأظلته السماء وأقلته الأرض، وقيل هي الأرض مع الهواء والجو وأن العمر هو الحياة ومدة البقاء، فظاهر الأحاديث المذكورة أن مدة بقاء الدنيا من يوم خلقت إلى يوم أفنيت كما صرحت به رواية الترمذي السابقة: سبعة آلاف سنة، وبعض الآثار المذكورة يقتضي أن السبعة من آدم إلى قيام الساعة لا من أول خلق الدنيا، ويؤيّده قول المفسرين: أن الله تعالى أسكن قبل آدم عليه السلام الجن في الأرض فأفسدوا فيها، فبعث إليهم إبليس في جند من الملائكة فدمّرهم وفرّقهم في الجبال والجزائر، ولم يعلم مدة إقامتهم في الأرض قبل آدم[١٩٧].

ومن ثمة قال بعض العارفين: إن ما قبل آدم عليه السلام لا يعرف تحديده بمدة معلومة، وبعض آخر منها يقتضي أن مدة الدنيا أزيد من سبعة آلاف سنة وهذه أمور لم أر أحداً أشار إلى الجمع بينها بوجه يدفع التعارض فليتأمل فيه.

---

(١٩٦) في نسخة القاضي عن أنس.

(١٩٧) لا أصل له مطلقاً وإنما هو من الإسرائيليات.

وَبَعدُ طِبْ ظِلا مِـن الإسْكَنْـدَرِ   ثِقْ خُزعُلاً من رَفعِ عيسى الأطْهَرِ

(وبعد) بالضم على نية المضاف إليه أي وبعد ما أخبرتك بالتأريخ المذكور أخبرك بتأريخ آخر من التواريخ المشهورة، وهو أنه مضى ما دل عليه الطاء المهملة والظاء المعجمة في (طب ظلا) بحساب الجمّل وهو تسع وتسعمائة سنة (من) تأريخ (الإسكندر) إلى عام ولادته ﷺ. والإسكندر بكسر الهمزة وفتحها هو ذو القرنين المذكور في القرآن على الخلاف الآتي فيه.

وقال الدميري في حياة الحيوان: ما بين ذي القرنين إلى عام الفيل ثمانمائة سنة وإثنان وثمانون سنة وهو قريب مما ذكره الناظم.

وروى ابن مردويه عن عليّ رضي الله عنه أنه سئل عن ذي القرنين فقال: لم يكن نبياً ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه ونصح الله فنصحه فضرب على قرنه الأيمن فمات فبعثه الله تعالى، ثم ضرب على قرنه الأيسر فمات (١٩٨).

وروي عنه أيضاً أنه سئل عنه فقال: سمعت نبيكم يقول: «هو عبد ناصح الله فنصحه».

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبدالله بن عمرو قال: كان ذو القرنين نبياً. والجمهور على أنه لم يكن نبياً قال وهب بن منبه: سمي ذا القرنين لأن صفحة (١٩٩) رأسه كان من نحاس، وقال بعضهم: لأنه ملّك فارس والروم، وقيل كان في رأسه شبه القرنين، وقيل: لأنه بلغ مشارق الأرض ومغاربها وبلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها، وفي القاموس: سمي إسكندر الرومي بذي القرنين لأنه

---

(١٩٨) أنظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٠١) وانظر البداية والنهاية حول الاسكندر (٢/ ١٠٢ ـ ١١٢). والاسكندر رجل مؤمن وهو غير الاسكندر المقدوني الكافر، وما سيذكره الشارح كلها خرافات وأوهام لا مستند لها غير ما ذكر في القرآن وما صح من السنة حوله.

(١٩٩) في نسخة القاضي صفحتي.

لما دعاهم إلى الله عز وجل ضربوا على قرنه فمات فأحياه الله تعالى، ثم دعاهم فضربوا واختلفوا في اسمه والأكثر على أنه الإسكندر.

وقال السيوطي في شرح الكوكب: ذو القرنين اسمه الإسكندر.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: اسمه عبدالله بن الضحّاك بن معد، أخرجه ابن مردويه، وذكر الأزرقي وغيره: أنه كان في زمن الخليل عليه السلام ولقيه وطاف معه بالبيت انتهى. وهذا لا يتمشى على كلام الناظم لأن بين إبراهيم عليه السلام وبين نبينا ﷺ أزيد من ثلاثة آلاف سنة كما قرروه.

واختلفوا في نسبه أيضاً، فقال أكثر المفسرين: إنه ابن فيلقوس اليوناني، وكان مدة ملك فيلقوس سبع سنين فلما مات ملّك بعده ابنَه الإسكندر.

وفي القاموس: الإسكندر بن فيلقوس ملك قتل دارا بن دارا وملّك البلاد، والإسكندرية اسم لستة عشر موضعاً كلّها تنسب إليه لأنه بانيها.

وقال الدميري: الإسكندر إثنان، أحدهما كان في عهد ابراهيم عليه السلام، وهو أول القياصرة وهو الذي بنى الاسكندرية، وثانيهما قبل مولد المسيح بثلاثمائة وثلاث سنين، والأكثر على أنه كان في الفترة بعد المسيح انتهى.

فظهر أن كلام الناظم إنما يتم إذا كان الإسكندر واحداً مولده قبل المسيح لا بعده، ولم يكن في عهد إبراهيم عليه السلام، أو كان اثنين وكان صاحب التأريخ هو الثاني [لا الأول] والكل محل المناقشة. ثم للإسكندر في أسفاره وقطعه الأقاليم ومشاهدته الأمم المختلفة أخبار كثيرة من حروب ومكائد لا يسعها المقام.

روى محمد بن الربيع في مسند من دخل مصر من الصحابة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ أخدمه فإذا برجال من أهل

الكتاب استأذنوا رسول الله ﷺ الدخول فأذن لهم، فلما وصلوا [٢٠٠] إليه قال: «إن شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألوني قبل أن تكلّموا وإن شئتم تكلمتم فأخبرتكم» قالوا بل أخبرنا قبل أن نتكلم قال: «جئتم تسألوني عن ذي القرنين وسأخبركم كما تجدونه عندكم، إن أول أمره أنه غلام من الروم أعطيَ ملكاً، فسار حتى جاء ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها: الإسكندرية، فلما فرغ من بنائها أتاه مَلَك يعرج به فرفعه، ثم أشار إليه فقال له [انظر] ماذا تحتك؟ قال: أرى مدينتي وأرى مدائن أخرى معها، ثم عرج به فقال انظر قال: قد اختلطت مدينتي مع مدائن فلم أعرفها، ثم زاد فقال: انظر، فقال: أرى مدينتي وحدها لا غيرها، فقال له الملك: إنما تلك الأرض كلها والذي تراه محيطاً بها هو البحر، وإنما أراد ربك عز وجل أن يريك الأرض، وقد جعل لك سلطاناً، فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مشرق الشمس[٢٠١] ثم أتى السدّين وهما الجبلان الليّنان ينزلق عنهما كل شيء فبنى السدّ، ثم جاز يأجوج ومأجوج. فوجد قوماً وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوماً قصاراً يقاتلون الذين وجههم وجوه الكلاب، ثم مضى فوجد أمةً من الغرانيق يقاتلون القوم القصار، ثم مضى فوجد أمةً من الحيّات، تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة، ثم أفضى إلى البحر المحيط بالأرض» فقالوا: نشهد أن أمره هكذا في كتابنا، نقله الدميري.

وفي كتاب أخبار الدول: ولما توفي الإسكندر عرض الملك على ابنه فأبى واختار النسك، فانقسمت ممالك الاسكندر بين ملوك الطوائف، وبين ملوك اليونان، فاستولى على مصر والشام والمغرب البطالسة وهم ملوك يونان وكان يسمي كل واحد منهم بطليموس، وهي لفظة مشتقة من الحرب، ومعناها أسد

---

(٢٠٠) في نسختي رفعوا.

(٢٠١) في نسختي مطلع الشمس

الحرب، وكان عدة البطالسة بعد الإسكندر ثلاثة عشر، ومات بطريقه بشهرزور، وقيل ببلاد نصيبين وحمل إلى أمه بالإسكندرية المذكورة، قيل عاش ألفاً وستمائة سنة انتهى.

وفي كتاب إتحاف الأخصاء بفضائل الشام والمسجد الأقصى: ولما سار الإسكندر إلى بيت المقدس ورأى ما صنعه الضحّاك بن قيس الأزدي في الزمان الأول من العجائب ببيت المقدس أوحى الله إليه إنك ميت وإن أجلك قد حضر. وكان آخر من كان من الملوك من أهل الخير، وقد كبر سنه ودق عظمه ونحل جسمه بعد أن سار من المشرق إلى المغرب وإلى البلاد التي لم يأتها أحد قبله كما حكى الله تعالى عنه في كتابه ومات ببيت المقدس وزعم بعض من أهل العلم أنه مات بدومة الجندل انتهى.

ونقل كتاب الإتحاف لكون مؤلفه من الحفاظ المتقنين مقدم على نقل كتاب أخبار الدول.

ثم بين الناظم ما بين رفع عيسى عليه السلام إلى عام ولادته ﷺ فقال:

(ثِقّ حُز عُلا) أي مضى خمسمائة سنة وهي التي تدل عليها الثاء المثلثة. وثمان وسبعون سنة وهو مدلول الحاء والعين بحساب الجمّل المذكور.

قال الحافظ السيوطي والشهاب ابن حجر المشهور: أن بين عيسى ونبينا ﷺ نحو ستمائة. انتهى.

ولفظ النحو يصدق بما قاله الناظم وبأقل وبأكثر.

وقال بعضهم: ورواه البخاري (٢٠٢) عن سلمان أن بينهما ستمائة سنة وقيل ستمائة وعشرون، والعلم عند الله.

---

(٢٠٢) رواه البخاري (٣٩٤٨) وانظر فتح الباري عليه.

(من رفع عيسى الأطهر) إلى السماء، روي أن جماعةً من اليهود سبوا عيسى وأمه عليهما السلام فدعى عليهم فمسخهم الله قردةً وخنازير، فاجتمعت إليه اليهود على قتله فأعلمه الله تعالى بأنه يرفعه إلى السماء، فقال لأصحابه: أيكم يرضى أن يلقى عليه شكلي فيقتل ويصلب وله الجنة فقام واحد منهم ورضي بذلك، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب، وزعموا أنهم قتلوا عيسى عليه السلام ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ كما في الآية. وروي في كيفية قتله غير ذلك[٢٠٣] والمقصود من ألفاظ البيت هو التاريخ وأصلها أن «طب» أمر من طاب يطيب و «ظلاً» تمييزاً و «ثق» أمر من وثق يثق و «حز» أمر من حاز يحوز بمعنى جمع و «عُلا» بضم العين جمع علياء تأنيث الأعلى أي حز الشرف ومكارم الأخلاق.

وَبَعدَ أنْ جَلَسَ كسرىٰ العَـادِلُ وَهْـو أنـو شرْوانُ يَـومٌ زائِـلُ

(وبَعْدُ) بفتح الدال لإضافته إلى ما بعده (أن) بفتح الهمزة (جَلَسَ كسْرىٰ) بفتح الكاف وكسرها معرّب خسرو أي واسع الملك كما في القاموس، والنسبة إليه كسروي وكسرواني كما في النهاية، وكسرى لقب لكل من ملوك الفرس كقيصر لملوك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب والنجاشي لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك. (العادل) نعت كسرىٰ (وَهْوَ) بسكون الهاء أي كسرى العادل اسمه (أنوشيروان) بن فيروز، ولّي الملك بعد أبيه صغيراً، فلما استقر وجلس على السرير أثبت ملة المجوسية القديمة، وكتب بذلك إلى أصحاب الولايات وقوّى جنده بالأسلحة والكرّاع وعمّر البلاد وقسم أموال الزنادقة على الفقراء وأجرى الأرزاق للضعيفات التي مات زوجها[٢٠٤]، وأمر أن يزوجن من مال كسرى،

(٢٠٣) في نسختي ونسخة القاضي كيفية رفعه.
(٢٠٤) الصواب اللاتي مات أزواجهن.

وكذلك فعل بالبنات التي لا أب لها، وأرسل جيشاً إلى اليمن فطردوا الحبشة عنها، وغزا بَرجان وأذعن له قيصر بالطاعة، وبنى سور باب الأبواب، وجعل مبدأ السور من جوف البحر مقدار ميل، وبناه بلبن الحديد والرصاص، وفي البر على جبل الفتح نحو أربعين فرسخاً حتى وصل إلى بلاد طبرستان، وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور باباً من حديد وأسكن من داخله أمةً من الناس، وذلك لدفع الأمم المتصلة بذلك الجبل من أنواع الكفار، وهذا الجبل في المسافة علواً وطولاً وعرضاً نحو من شهرين وأكثر، وحوله أمم لا يحصيهم إلاّ خالقهم كما ذكره المؤرخون.

ولما بنى أنوشيروان هذا السور هابه الملوك وهادته بأنواع التحف، وكان ملكاً مهيباً محباً للرعية عادلاً فيهم، وكان يسمى كسرى الخير، وكان له في صباه معلم يؤدبه فأوجعه يوماً بلا ذنب، فحقد عليه أنوشيروان، فلما ولي قال له: ما حملك على ضربي يوم كذا ظلماً؟ قال: لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك، فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم، فقال أنو شيروان: نعم ما فعلت، وكان مدة ملكه ثمان وأربعون سنة، ثم ولي بعده هرمز وكان عادلاً يأخذ للدنيء من الشريف. وقوله «وهو أنو شروان» جملة معترضة. ومعنى البيت وبعد أن جلس كسرى العادل على سرير المملكة إلى عام ولادته صلى الله عليه وسلم مضى مقدار ما دل عليه الياء والزاء في قوله (يوم زائل) بحساب الجمّل المذكورة، وهو سبع عشرة سنة، وقيل كما في كتاب أخبار الدول: ولأربع وعشرين سنة خلت من ملكه ولد عبدالله أبو النبي ﷺ، وفي السنة الثانية والأربعين من ملكه ولد النبي ﷺ وقيل غير ذلك ومعنى قوله «يوم زائل» في الأصل مقدار ما مضى من الزمان. قال الحافظ الغيطي كالسيوطي: وما اشتهر على بعض الألسنة من أنه ﷺ قال «ولدت في زمن الملك العادل» يعني كسرى أنو شروان، فقال الحافظ من المتقدمين والمتأخرين أنه كذب لا أصل له.

وقد رأى النبي ﷺ بعضُ الصالحين في المنام وسأله عن هذا الحديث فقال ﷺ أنه كذب ما قلته (٢٠٥).

من آيات مولده ﷺ :

وَلَيْلَةُ الْمَوْلِدِ شُقَّ وَانْصَدَعَ   إيوانُ كِسْرى وَلَهُ صَوْتٌ سُمِعْ

(وليلة المولد) بكسر اللام اسم زمان الولادة أي وليلة اليوم الذي ولد فيه بناء على الأصح أنه ولد نهاراً كما مر، أو الإضافة بيانية، أو المولد بفتح اللام مصدر ميمي بمعنى الولادة. إمّا لكونه من القائلين بأنه ولد ليلاً أو لمجاز المجاورة كما سبق تحقيقه وقد ظهر في تلك الليلة عجائب وآثاراً تعظيماً لقدره ﷺ وتأسيساً لنبوته مذكورة في كتب أهل السير. وقد مرّ أن الناس أكثروا من الأخبار الموضوعة فيما يتعلق بحمله وولادته ورضاعه ﷺ فليراجع إليه في ذلك إلى كتب المواليد للأئمة الحفاظ ككتاب المولد للحافظ أبي الفضل العراقي، وكتاب التعريف بالمولد الشريف للعلاّمة الشمس ابن الجوزي ومرآة الزمان للعلامة أبي شامة، وكتاب التنوير في مولد البشير للحافظ أبي الخطاب بن دحية، وكتاب الحافظ العسقلاني، والنعمة الكبرى للشهاب ابن حجر ومواهب القصطلاني وكتاب المولد للحافظ الغيطي والمواليد الثلاث لابن الجوزي (٢٠٦) وكتاب الحافظ السيوطي وكتاب العلامة الزركشي وغيرهم جزاهم الله تعالى عن الإسلام خيراً. وقد ذكر الناظم جلةً من عجائب تلك الليلة فمنها أنه (شُقَّ) بالبناء للمجهول (وانصدع) في القاموس: انصدع انشق كتصدّع، أو هو مطاوع صدعه أي شقه نصفين ولم يتفرق انتهى.

ويؤيد المعنى الثاني هنا قول الحافظ الغيطي: أَخْبَرَ من رآه أن الشق كان

---

(٢٠٥) مولد الغيطي (١٠/ ٢ - ١١/ ٢) وسلسلة الضعيفة (٢/ ٤٢٥) لشيخنا الألباني.

(٢٠٦) في نسخة القاضي لابن الجزري.

طولاً في سقفه قدر مايدخل الشخص القوي فيه[٢٠٧] (إيوان) بكسر الهمزة ويقال فيه أيضاً إوان ككتاب، وهو البيت الواسع المبني طولاً غير مسدود الوجه.

وفسره الصحاح والقاموس بأنه الصفة العظيمة، وقيل هو بيت عظيم[٢٠٨] مستطيل ذو شرفات، وقيل هو بيت الملك المعد لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه، وكلها متقاربة [المعنى] (كسرى) أنوشروان (وله) أي منه كقولهم سمعت له صراخاً أي منه (الصوت) العظيم الهائل (سمع) حتى أشرف على الهدم مع أن ذلك للإيوان كان من أعاجيب الدنيا سعةً وبناء واستحكاماً حتى يظن به أنه لا تهدمه إلاّ نفخة الصور، فليس ذلك إلاّ محض آية للناس على ظهور نبوته وأنه لا يبقى لأحد ملك ولا عزّ مع ملكه وعزته.

وَشُرُفَاتُهُ هَوَتْ وَسَقَطَت وَنَارُ فَارس انْطَفَتْ وَخَمِدَتْ

(وشُرفاته) بضم الشين مع فتح الراء أو ضمها جمع شُرَفٍ جمع شُرفةٍ كغرفة وغرف وغرفات، وشرفة القصر معروفة، ويقال لها بالفارسية كُنْكَره كما في مهذب[٢٠٩] الأسماء وغيره (هَوَتْ) من علو (وسقطت) على الأرض، وتلك الشرفات كانت أربعة عشر، والسر في سقوطها الإشارة إلى أنه لم يبق من ملوكهم إلا أربعة عشر، فملك عشرة منهم في أربع سنين كما ذكره ابن مظفر وملك الباقون كما رواه ابن سيد الناس إلى زمن عثمان رضي الله عنه، وصح أنه ﷺ أخبر أنه «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإن أمواله وكنوزه تنفق في سبيل الله»[٢١٠] وقد فتح في زمن عمر رضي الله عنه أكثر [إقليم] فارس وحصل

(٢٠٧) مولد الغيطي (٧/ ١).

(٢٠٨) في بيت القاضي بيت كبير.

(٢٠٩) في نسخة القاضي مذهب الأسماء.

(٢١٠) رواه أحمد (٥/ ٩٢ و ٩٩ و ١٠٥ - ١٠٦) والبخاري (٣١٢١ و ٣٦١٩ و ٦٦٢٩) ومسلم (٢٩١٩) والترمذي (٢٣١٣) والطبراني (١٨٧٠ و ١٨٧١ و ١٨٧٢ و ١٨٧٣ و ١٨٧٤) بغير هذا اللفظ.

لكسرى غاية الذل والهوان وهرب إلى أقصى مملكته ثم قتل في زمن عثمان رضي الله عنه وزال ملكه بالكلية عن جميع الأرض وتمزّق كل ممزق كما أخبر به ﷺ ودعا عليه بذلك لمّا مزق كتابه كما سيأتي (و) ومنها أنه كانت (نار فارس) غير منصرف للعجمة والعلمية والإضافة للعموم، أي كل نار لهم من النيران التي يوقدونها ويعبدونها، لأنهم كانوا على دين المجوس، وكان في إقليم الفرس من بيوت النيران الموقدة ليلاً ونهاراً على ممر السنين ما يحيل العادة انطفاءها وقد (انطفت وخمدت) تلك النيران كلها في ساعة واحدة ولم يقدروا على إيقادها في تلك الليلة، فعلموا أن ذلك لأمر حدث في العالم يدلّ على زوال ملكهم وفساد ما اعتقدوا آلهتهم، وتلك آية باهرة على نبوته ﷺ (٢١١).

(فائدة) قال بعض المحققين: الفُرسُ بالضم ويقال أيضاً فارس أمة عظيمة كان مسكنهم في شمال العراق من الفراسة بالفتح أي الشجاعة، وكسرى من أجل ملوكهم انتهى.

وفي القاموس: وفارس هم الفرس أو بلادهم انتهى.

وَلَمْ تَكُنْ تُخْمَدُ قَبلَ ذلك بِألْفِ عامٍ وارتقى الْمَلائك
مُبَشِّرات وَبُحَيْر ساوَه غاصَتْ وَفاضَ الماءُ بالسَّماوَةِ

وقال المؤرخون: فارس ناحية مشهورة سميت باسم فارس حافد سام بن نوح عليه السلام، كلها متصلة العمائر، وهي خمس كور: الكورة الأولى البرجان وهي أصغرها، والثانية إصطخر وما يليها وهي كورة عظيمة وبها غالب بلاد

---

(٢١١) رواه أبو نعيم (١/ ١٧٣ - ١٧٧) والبيهقي (١/ ٦٧ - ٧١) وابن أبي الدنيا والخرائطي وابن عساكر من حديث هاني أبو مخزوم.
قال ابن عساكر: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مخزوم عن أبيه، تفرد به أبو أيوب البجلي.
وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (٢/ ١٤) حديث منكر غريب.
ثم إن هاني أبو مخزوم راوي الحديث رجح الحافظ أنه ليس بصحابي ولم أجد ترجمة لابنه مخزوم والراوي عنه.

فارس، والثالثة كورة سابور، والرابعة شيراز وما يليها، والخامسة كورة سوس، وفي بلاد فارس مواضع لا تنبت الفواكه لشدة بردها، ومواضع لا يسكنها الطير لشدة حرّها، وأهلها أصحاب العقول الصحيحة والأبدان السليمة (ولم تكن) تلك النيران لجهدهم في إيقادها ليلاً ونهاراً (تخمد) بفتح الميم وضمها من باب علم ونصر أي لم يسكن لهبها (قبل ذلك) أي قبل انطفائها وخمودها في تلك الليلة (بألف عام) كما رواه البيهقي وأبو نعيم وابن عساكر (و) منها أنه (ارتقى الملائكة) جمع ملك كالملائكة (مبشرات) لأهل الأرض والسماء لولادته ﷺ، وهي حال من الملائكة، وكأنه أشار إلى ما رواه أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال: سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال: لما حضرت ولادة آمنة قال الله تعالى للملائكة: ﴿افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان وألبست الشمس يومئذ نوراً عظيماً﴾. وكان قد آذن الله تعالى تلك السنة نساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامةً لمحمد ﷺ الحديث. لكنه مطعون فيه [٢١٢].

وإلى ما رواه أبو سعيد النيسابوري في الحديث الطويل عن كعب [٢١٣]، ورواه أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما من قول آمنة، فسمعت منادياً ينادي طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها، وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته الحديث وهو أيضاً مما تكلم فيه [٢١٤].

وإلى ما رواه الخطيب البغدادي بسنده أن آمنة قالت: لما وضعته رأيت سحابةً بيضاء عظيمةً لها نور أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عني، فسمعت منادياً ينادي طوفوا بمحمد ﷺ مشارق الأرض ومغاربها وأعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والملائكة

---

(٢١٢) رواه أبو نعيم (٣٢٨) ولا يصح.

(٢١٣) ورواه أبو نعيم (٣٢٩) ولا يصح. وسيأتي أنه قال شديد الضعف.

(٢١٤) هو نفس الحديث (٣٢٩) السابق عند أبي نعيم.

والطيور والوحوش وأعطوه خلق آدم ومعرفة شيث الحديث بطوله، وفيه نكارة[٢١٥]، ولكن لا يضره ذلك لكون الضعيف معمولاً به في الفضائل والمناقب كما تقدم تحقيقه.

ومر البشارة به ﷺ أيضاً ليلة الحمل به في حديث كعب (و) منها أن (بُحَيْر) بالتصغير وحذف التاء للوزن، وهي بحيرة عظيمة في مملكة عراق العجم بين الري وهمذان تركب فيها السفن إلى ما حولها، وكانت أكثر من ستة فراسخ كما قاله الحافظ الغيطي[٢١٦]: فظهر أن تصغيرها للتعظيم ثم رأيت الجلال صرّح به في شرح البردة (ساوه) وتسمى أيضاً عين ساوة، وهي بلدة بين همذان والري كما قاله الجلال. وقال الشهاب ابن حجر، ساوه بلد معروف بينها وبين الري اثنتان وعشرون فرسخاً، وقيل موضع بالشام انتهى.

ولم يرد القاموس على قوله: بلد معروف وتسمى أيضاً بحيرة طبرية، غاضت أي ذهب ماؤها في تلك الليلة مع أنه كان فيها من كثرة المياه وسعتها ما يحيل العادة غيضها ومن ثمة قيل: طولها ستة أميال وعرضها مثل ذلك فأصبحت يابسةً ناشفةً.

وفي أخبار الدول: ساوة مدينة طيبة كثيرة الخيرات والثمرات والمياه، وكان في قديم الزمان بها بحيرة غاضت عند مولده ﷺ، والآن موضع البحيرة يزرعونه غلةً، وأهلها مخصوصون بحسن الصورة واستقامة الطبع، وكلهم شافعي المذهب (و) منها أنه (فاض) أي سال (الماء بالسماوة) أي بواديها بعد أن لم يكن فيها ماء.

في القاموس: وسماوة موضع بين الكوفة والشام، وليست من العواصم، ووهم الجوهري فيها انتهى. والعواصم اسم لبلاد خمسة من الشام قصبتها انطاكية.

---

(٢١٥) بل هو موضوع لا شك فيه.

(٢١٦) مولد الغيطي (٧/ ١).

وَأُمُّــهُ رأت بُعَيْــدَ البُشرىٰ نـوراً أضـاءَ لَـهُ قصـورَ بُصْـرىٰ

(وأمه) ﷺ (رأت بعيد) أي بعد والتصغير لتقليل المدة (البشرى) مصدر أو اسم مصدر كالبشارة بمعنى التبشير، والمراد به إما بشرى الهواتف والملائكة للخلق بولادته ﷺ، كما يومىء إليه قوله السابق «ارتقى الملائكة مبشرات».

والبشارات به كثيرة يضيق عن حصرها المقام، وقد سبق نبذة منها، وإمّا بشرى من ذكر لآمنة لحملها به وبولادته ﷺ كما في رواية أبي نعيم وغيره، من جملة حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت آمنة تحدث وتقول: أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر في المنام فقال: يا آمنة إنك حملت بخير العالمين فإذا ولدته سميه محمداً واكتمي شأنك الحديث (٢١٧).

وأما البشرى لها ولغيرها، أخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما [بسند] شديد الضعف كما في المواهب، قال: كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ: أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلاّ أصبح منكوساً، ومرّت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارة، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً، وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم ميموناً مباركاً «الحديث (٢١٨).

(نوراً) عظيماً حين وضعته (أمنا) بالقصر للوزن (له) أي لأجله (قصور بصرى) من أرض الشام وهو بضم الباء وسكون الصاد المهملة مدينة في ناحية حوران وبها سوق وجامع قديم، فيه مصحف من مصاحف عثمان رضي الله عنه،

---

(٢١٧) هو نفس الحديث (٣٢٩) السابق عند أبي نعيم.

(٢١٨) هو نفس ذلك الحديث.

ويقال إنه ﷺ دخلها حين سافر مع ميسرة، وبقربها كنيسة بحير الراهب، وهي على أربعة مراحل من دمشق، وبصرى أيضاً قرية من قرى بغداد قرب عكبر، وليست مرادةً هنا.

وأصل ذلك ما رواه أحمد والبزار والحاكم والطبراني والبيهقي عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات الأنبياء يرين، وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور بصرى من أرض الشام»[٢١٩].

قال الحافظ العسقلاني: صححه ابن حبان والحاكم. وفي رواية [ابن] سعد أن أم رسول الله ﷺ قالت: لما ولدته خرج من قلبي نورٌ أضاء له قصور الشام وولدته نظيفاً ما به قذر. وفي رواية أضاء له الأرض. وفي أخرى أضاء له ما بين المشرق والمغرب، وفي رواية أنها رأت حين حملت به أنه خرج منها نـور رأت به قصور بصرى من أرض الشام[٢٢٠].

---

(٢١٩) رواه أحمد (٤/ ١٢٨) والبزار (٢٣٦٥) والطبراني في الكبير (ج ١٨ رقم ٦٣١) ومسند الشاميين (١٤٥٥) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٨٩ - ٩٠) والدلائل (٣١٤) والحاكم (٢/ ٦٠٠) وابن عساكر (١/ ١٥٦ - ١٥٧ و ١٥٨) وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف وسويد بن سعيد لم يوثقه إلا ابن حبان.
ورواه أحمد (٤/ ١٢٧) وابن حبان (٢٠٩٣) والطبراني في الكبير (ج ١٨ رقم ٦٢٩ و ٦٣٠) ومسند الشاميين (١٩٣٩) والفسوي في المعرفة (٢/ ٣٤٥) وأبو نعيم في الدلائل (٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣١٥ و ٣١٦) وابن جرير في التفسير (٢٨/ ٨٧) والبغوي (٣٦٢٦) وابن عساكر (١٥٧/١ - ١٥٨). وفي إسناده عبدالأعلى بن هلال السلمي ترجمة ابن ابي حاتم (٢٥/٣) فلم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وسعيد بن سويد كما قلنا لم يوثقه غير ابن حبان، وقال البخاري: لم يصح حديثه يعني هذا. ومع هذا صححه ابن حبان والحاكم فأخطآ. وفي نسختي قصور الشام.

(٢٢٠) أنظر هذه الروايات في طبقات ابن سعد (١/ ١٠١ - ١٠٢).

قال الحافظ الغيطي: ويمكن الجمع بأنه لا مانع من خروج النور مرتين حين الحمل به وحين الوضع، وإن كانت روايات الوضع أصح.

وجمع السيوطي بأن قوله رأت حين حملت به هي رؤيا نوم وقعت في الحمل، وأما الرؤية ليلة الولادة فرؤية عين، كما روى ابن إسحاق: كانت آمنة تحدث أنها حين حملت به قيل لها إنك حملت بسيد هذه الأمة. وآية ذلك أن يخرج معه نورٌ يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسمّيه محمداً ﷺ انتهى.

ثم الناظم إن أراد برؤيتها قصور بصرى الرؤية وقت الحمل فلا يناسب ذكرها مع ما يتعلق بليلة المولد، وإن أراد وقت الوضع فالعدول عن التعبير بقصور الشام الوارد في أكثر الروايات إلى قصور بصرى للإشارة إلى أن بصرى أول موضع من بلاد الشام دخلها ذلك النور المحمدي، ولذلك كانت أول ما افتتح من بلاد الشام كما قاله ابن الجوزي، ولأنه ﷺ وصل بنفسه إلى أرض بصرى من الشام مرتين ولم يتجاوزها.

قال الحافظ [الحفاظ]: وخصصت الشام بالذكر في أكثر الروايات من بين الأرض للإشارة إلى ما خص الشام من سبق نور نبوته إليها أي قبل نظرائها [٢٢٢]، فإنها دار ملكه كما ذكر كعب أن في الكتب السالفة محمد رسول الله ﷺ مولده مكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام، ولذا أسري به إلى بيت المقدس كما هاجر قبله إليها ابراهيم ولوط عليهما السلام، وبها ينزل عيسى بن مريم، وهي أرض المحشر والمنشر، ولأنها خيرة الله تعالى من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده كما في الحديث صحيح.

قال الغيطي وغيره: فهي أفضل الأرض بعد الحرمين [٢٢٣].

---

(٢٢١) مولد الغيطي (٦/ ٢).

(٢٢٢) في نسخة القاضي نظائرها.

(٢٢٣) مولد الغيطي (٦/ ٢).

(فائدة) جرت العادة بأنه إذا ساق الوعاظ والمدّاح ما يتعلق بمولده ﷺ وذكر وضع أمه له قام الناس عند ذلك تعظيماً له ﷺ.

قال الحافظ الغيطي: وهذا القيام لا أصل له، ولكن لا بأس به للتعظيم، بل هو فعل حسن لمن غلب عليه الحب والإجلال لذلك النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأشرف التسليم، وما أحسن قول الإمام البليغ حسان زمانه يحي الصرصري الحنبلي في بعض قصائدة النبوية:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب ... على فضة من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الإشراف عند سماعه ... قياماً صفوفاً أو جثياً على الركب
أما الله تعظيماً له كاتب اسمه ... على عرشه يا رتبة سمت الرتب

وقد اتفق إنشاد هذه القصيدة في ختم درس شيخ الإسلام الإمام المجتهد تقي الدين علي السبكي والأعيان مجتمعون عنده، ولما وصل المنشد إلى قوله «وأن تنهض الأشراف عند سماعه» البيت، قام الشيخ في الحال قائماً على قدميه امتثالاً بقول الصرصري وقام الناس كلهم وحصلت خاتمة طيبة ذكره ولده تاج السبكي في ترجمته[٢٢٤].

من أرضعه ﷺ:

وَأَرْضَعَتْهُ أوّلاً ثُوَيْبَة ... وأرضعته بعدها حَليمَة

(وأرضعته) ﷺ (أولاً) هو أفعل التفضيل غير منصرف إذا جعلته صفة فتقول فعلته عاماً أول، وإذا لم تجعله صفة نونته، تقول فعلته أولاً. كذا في الصحاح. وينبغي أن يحمل الأولية في كلام الناظم على الإضافية أي بالنسبة لغير أمه حتى لا ينافي ما ذكره الحافظ الغيطي وغيره[٢٢٥]: أرضعته أمه ﷺ سبعة

(٢٢٤) الطبقات الكبرى للسبكي (١٠/ ٢٠٨) وفي نسختي وفي نسخة القاضي ساعة طيبة.
(٢٢٥) مولد الغيطي (١٢/ ٢).

أيام ثم أرضعته (ثويبة) الأسلمية مولاة أبي لهب وعتيقته حين بشرته بولادته ﷺ أياماً حتى قدمت حليمة ، وكانت ثويبة قبل ذلك مرضعة عمّه حمزة رضي الله عنه ، وأرضعت أيضاً معه ﷺ أبا سلمة عبدالله بن عبد الأسد المخزومي بلبن ابنها مَسْروحٌ(٢٢٦) . قال العز بن جماعة : واختلفوا في إسلامها . زاد الغيطي : وأثبته الحافظ ابن منده(٢٢٧) . قلت : وهو الظاهر من أحوالها العلية ، ويؤيده قول بعض الحفاظ أنه لم ترضعه مرضعة إلا أسلمت ، قال : ومرضعاته أربع أمه ﷺ وثويبة وحليمة وأم أيمن انتهى .

وفي الشفاء وغيره : كان ﷺ يبعث من المدينة إلى ثويبة بصلة وكسوة حتى توفيت ، وأنه ﷺ بسط لها رداءه الشريف لما جلست إليه(٢٢٨) .

(فائدة) رئي أبو لهب في المنام بعد موته فقيل له ما حالك؟ فقال : في النار إلا أنه يخفف علي العذاب كل ليلة اثنين وأمُصُّ من بين إصبعي ماء بقدر هذا وأشار إلى [رأس] إبهامه ، وأن ذلك بإعتاقي لثويبة لما بشّرتني بولادة ابن أخـي محمد ﷺ وبجعلي إياها مرضعته(٢٢٩) .

قال الشمس ابن الجوزي : فانظر إذا كان هذا حال أبي لهب الكافر الذي نزل بذمه القرآن جوزي بالنار بفرحة ليلة مولد المختار فما حال المسلم من أمته يسر بمولده ويبذل ما تحت قدرته في محبته؟ لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم. كذا في المواهب وغيره وأقرّوه.

---

(٢٢٦) أنظر الطبقات لابن سعد (١/ ١٠٨ - ١٠٩).

(٢٢٧) الذي قاله الحافظ ابن حجر في الإصابة (٧/ ٥٤٨) أن ابن منده قال: اختلف في إسلامها . وقال أبو نعيم : لا أعلم أحداً أثبت إسلامها ، والذي يظهر من الحديث الذي رواه البخاري (٥١٠١) أن أبا لهب أعتقها قبل إرضاعها .

(٢٢٨) أنظر طبقات ابن سعد (١/ ١٠٨ - ١٠٩).

(٢٢٩) أنظر فتح الباري في شرح الحديث (٥١٠١) من صحيح البخاري .

زاد الغيطي : وما أحسن قول الحافظ الشمس محمد بن ناصر الدين الدمشقي في ذلك :

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه ... وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتي أنه في يوم الإثنين دائماً ... يخفّف عنه للسرور بأحمد
فما الظن بالعبد الذي كان عمره ... بأحمد مسروراً ومات موحداً

قال فعلم أن الاعتناء بوقت مولده الشريف، وإظهار السرور [فيه] عمل المولد بقراءة القرآن، وإنشاد مدائحه ﷺ ، وإطعام الطعام أمر حسن منيف يثاب عليه فاعله الثواب الجزيل بقصده الجميل، وإن كان عمل المولد المذكور حدث بعد السلف في القرون الثلاثة الفاضلة، فذلك بدعة حسنة عند من حقّق العلم وأتقنه (٢٣٠) ، ثم لا زال أهل الإسلام في جميع الأقطار يعتنون في شهر مولده

(٢٣٠) كتب الأستاذ صالح سعد السحيمي المدرس بكلية الحديث بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة مقالاً شيقاً في مجلة الجامعة الإسلامية العددان (٥٠ - ٥١) من السنة الثالثة عشرة (من ص ١٠٨ - ١١٨) ذكر فيها أن الاحتفال بالمولد النبوي لم يكن موجوداً عند المسلمين الأوائل، بل ولا في القرون المفضلة حتى جاءت الدولة الفاطمية والتي انتسبت إلى فاطمة ظلما وعدواناً، بل إن المحققين من المؤرخين يرون أنهم ينحدرون من أصل يهودي يقال لهم العبيديون، وهم أبناء ميمون بن ديصان المشهور بالقداح، قيل إنه يهودي، وقيل مجوسي، وقد استمرت دولتهم في مصر (٣٥٧ - ٤٦٧ هـ) وقد احتفل الفاطميون بأربعة موالد مولد النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين.
فهم أول من أحدث ذلك كما ذكر المقريزي وغيره، وظلت هذه البدعة يعمل بها حتى جاء بدر الجمالي الوزير الأول للخليفة الفاطمي المستعلي بالله، وكان هذا الوزير شديد التمسك بالسنة، فأصدر أمراً بإلغاء هذه الموالد، وما أن مات بدر الجمالي حتى عادت البدعة من جديد.
واستمر الأمر على هذا الحال حتى جاء عهد صلاح الدين الأيوبي، وكان أيضاً من المتمسكين بالسنة، فألغى هذه الاحتفالات، وتم تنفيذ هذا الإلغاء في كل أنحاء الدولة الأيوبية، ولم يخالف في ذلك إلا الملك المظفر الذي كان متزوجاً من أخت صلاح الدين.
وقد ذكر المؤرخون أن احتفالات الملك المظفر بالمولد كان يحضرها المتصوفة حيث يكون =

ﷺ خصوصاً في ليلة ميلاده بعمل المولد بما ذكر من أنواع الصدقات، وإظهارالسرور، ويعتنون أيضاً بقراءة ما صنف في المولد الشريف من الأخبار الثابتة، على أن ذلك ليس قيداً في استحباب المولد المذكور، وإنما هو زيادة في الأجور انتهى.

وقال الحافظ العسقلاني في عقب نقله لهذا: فرحم الله امرءاً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً، وليتجنب ما أحدثه الناس من البدع والتغني بالآلات المحرّمة عند عمل المولد.

= الاحتفال من الظهر إلى الفجر، وكان ما ينفق في هذا الاحتفال يزيد عى ثلاث مئة ألف دينار.

واستمرت بعد ذلك هذه الاحتفالات إلى يومنا هذا، بل توسعوا فيها حتى امتدت إلى الاحتفال بمولد كل عظيم في نظر العامة وإن كان من الملحدين بحجة أنه من الأولياء. إلى أن قال:

إن حقيقة الحفاوة بذكرى مولد الرسول عليه السلام تتركز في اتباع ما جاء به وإحياء سنته، وإن هذه الذكرى الطيبة ليست مؤقتة بزمن وليست محددة بشهر ربيع الأول، بل ينبغي أن نحييها ونحتفي بها في كل لحظة من لحظات حياتنا وفي كل بقعة حللنا بها، وذلك باتباع سنته والسير على نهجها وما أظن أن مسلماً يجهل أن الاحتفال بفكرة المولد النبوي أو غير ذلك من الموالد فكرة مبتدعة جاءتنا متأخرة، وفيها تشبه باليهود والنصارى الذين لا يعرفون من الدين إلا الاحتفالات على رأس السنة بعيد ميلاد المسيح عليه السلام أو غيره الذي دس عليهم وليس من دينهم، فنحن قد قلدناهم في هذا العمل كما قلدناهم في أمور كثيرة انتهى.

وأما كونها بدعة حسنة. فلس في الإسلام بدعة وهي حسنة لأن البدعة في الدين ما استحدث ولم تكن موجودة قط.

وحديث من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة معناه من أحياها كما يظهر ذلك جلياً من سبب ورود الحديث. وتقسيم البدعة إلى أنواع غير صحيح.

وانظر مقدمة الطبعة الرابعة من كتاب فقه السيرة للأستاذ محمد الغزالي.

وانظر أيضاً رسالة «شعورنا في ذكرى مولد أفضل الخلق» التي أصدرها بيت التوحيد في حلب بتاريخ ١٢/ ٣/ ١٩٧٥).

ورسالة العلامة عبدالعزيز بن باز حول ذلك، والحاوي (١/ ٢٩٢ ـ ٣٠٥).

ولقد أطنب ابن الحاج المالكي في المدخل في الإنكار على ذلك فالله يثيبه انتهى[٢٣١].

ومما جرّب كما قال الإمام الشمس ابن الجوزي من خواص عمل المولد المذكور: أنه أمان تام في ذلك العام وبشرى نبيل ما يبتغى ويرام، ولو لم يكن في ذلك إلاّ إرغام الشيطان، وسرور أهل الإيمان لكفاه فضلاً.

وإذا كان أهل الصليب اتخذوا مولد نبيهم عيداً أكبر فأهل الإسلام أولى بذلك[٢٣٢].

قال الغيطي: وأكثر الناس عناية بذلك أهل مكة المكرمة المحروسة ثم أهل المدينة المنورة، ثم أهل مصر خصوصاً في السنين الماضية ثم غيرهم تقبّل الله تعالى منهم[٢٣٣].

وقد كان للملك المظفر نور الله مرقده صاحب إربل، اهتمام عظيم بشأن المولد جاوز الغاية فيه، بحيث أثنى عليه بسببه الإمام العلامة أبو شامة.

وقال في مرآة الزمان: حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض المواليد أنه عد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم مشوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى.

وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق العطية، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار.

وقال ابن خلكان: لما اجتاز الحافظ أبو الخطاب بن دحية بإربل ووجد ملكها

---

(٢٣١) أنظر المدخل (٢/ ٣ - ٣٥) لابن الحاج فإنه أفاد وأجاد.

(٢٣٢) هذا هو بيت القصيد، وظهر جلياً ما قاله الأستاذ السحيمي من أننا قلدنا أهل الصليب في ذلك.

(٢٣٣) مولد الغيطي (١١/ ٢).

المظفر يعتني بالمولد الشريف صنّف له كتاب « التنوير في مولد البشير النذير » وقرأه عليه بنفسه ، فأجازه على ذلك بألف دينار فرحمها الله تعالى وأثابهما الجنة [٢٣٤] .

وقد خرّج شيخ مشايخنا الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في فعل المولد المذكور على أصل ثابت معتبر ، وهو ما في الصحيحين من أنه ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا : هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ، ونجى موسى عليه السلام فنحن نصومه شكراً لله تعالى فقال : « أنا أحق بموسى منكم » فصامه وأمر بصيامه [٢٣٥] .

فيستفاد منه فعل الشكر على إسداء نعمة ودفع نقمة في يوم معين ، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر يحصل بأنواع القربات ، وأيّ نعمة أعظم من بروز هذا النبي الكريم نبي الرحمة ﷺ في ذلك اليوم انتهى كلام الغيطي [٢٣٦] . قلت وقد ظهر لي تخريج عمل المولد على أصل آخر أوضح في

---

(٢٣٤) أنظر وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٩) .

(٢٣٥) رواه البخاري (٢٠٠٤ و ٣٣٩٧ و ٣٩٤٣ و ٤٦٨٠ و ٤٧٣٧) ومسلم (١١٣٠) وهذا يطابق ما سيأتي من أمره بصيام يوم الاثنين ، وشرع الصوم بأمر رسول الله ﷺ الذي لا يشرع ولا يأمر إلا بوحي .

(٢٣٦) مولد الغيطي (١١/ ٢ - ١٢/ ١) وزاد وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه ، فإن ولد ليلاً فليقع الشكر بما يناسب الليل كالإطعام ، وإن كان ولد نهاراً وهو الأصح فبما يناسبه كالصيام والصدقة .

ولا بد أن يكون ذلك اليوم بعينه من عدد أيام ذلك الشهر بعينه حتى يطابق قصة موسى عليه السلام في يوم عاشوراء .

ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر ، بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه انتهى .

قلت : بل أصبح اسم المولد للنذور والصدقات في أي يوم ومن أي شهر تراهم يقولون : اليوم في بيت فلان مولد . فهذه بدعة أقبح .

الدلالة على ذلك وهو ما رواه مسلم أنه ﷺ سئل عن صوم الإثنين فقال: « فيه ولدت وفيه أُنزل عليّ النبوة »[٢٣٧].

فقد نص الصادق ﷺ على أن الإثنين يعظّم بالصوم لكونه ولد فيه فيقاس به سائر العبادات من الصدقات وغيرها، وإذا كان مطلق الاثنين تعظّم لمشاركتها في الاسم مع الإثنين الذي ولد فيه ﷺ، وهو ثاني عشر ربيع الأول على الصحيح فكيف بنفس ذلك اليوم الذي ولد فيه ﷺ[٢٣٨]؟ وقد خرّجه الحافظ السيوطي على أصل آخر يطول بذكره[٢٣٩].

(وأرضعته) ﷺ (بعدها) أم كبشة (حليمة) بنت أبي ذؤيب السعدية نسبةً إلى سعد بن بكر، ونسبت إليه مع أنه الجدُّ التاسع لأنه أشهر، وبه عرفت القبيلة وزوجها منهم، وأرضعت معه ﷺ ابن عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بلبنِ ابنها عبدالله أخ أنيسة وجذامة التي تسمى الشيماء بفتح الشين

---

(٢٣٧) رواه مسلم (١١٦٢) وتقدم في التعليق (١٦٤) وليس فيه كلمة النبوة كما تقدم.

(٢٣٨) وهذا الاستدلال ظاهر البطلان لوجوه كثيرة منها:

إن المطلوب في هذا اليوم هو الصوم اقتداء بالرسول ﷺ، بينما نرى أصحاب تلك الموالد يخصصون ذلك اليوم الذي عينوه للأكل والشرب والطرب فضلاً عما أحدثوه من أذكار وهتافات لا نجد لها برهاناً ولا هدى ولا حجة صحيحة.

ثانياً: إن الذي أمر به النبي ﷺ هو صوم يوم الاثنين من كل أسبوع دائماً، ولم يقيد ذلك بسنة أو شهر أو أسبوع بعينه، بينما هؤلاء يخصصون يوماً واحداً في السنة هو التاسع أو الثاني عشر من ربيع الأول على اختلاف بينهم حتى وإن لم يوافق هذا اليوم يوم الإثنين، وبذلك يتضح وجه مخالفتهم أمر النبي ﷺ.

ثالثاً: إن صيام يوم الإثنين له خصوصية أخرى إضافة إلى ما ذكر في هذا الحديث وذكر أنه تعرض فيه الأعمال على الله تعالى، فندب النبي ﷺ إلى صومه كي تعرض أعمال العبد على ربه وهو صائم، وذلك أحرى لقبولها.

قاله الأستاذ السحيمي.

(٢٣٩) هذا الأصل الذي بنى عليه السيوطي في الحاوي (١/ ٣٠٣) حديث أنس أن النبي عق عن نفسه بعد النبوة وهو حديث باطل انظر تلخيص الحبير (٤/ ١٤٧) لابن حجر الحافظ.

والياء بعدها، والثلاثة أولاد الحارث بن عبدالعزى بن رفاعة السعدي، وقد قيل إنه أسلم بمكة وجزم به الطبري، وكان عمه ﷺ حمزة مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يوماً عند حليمة، فصار حمزة رضيع النبي ﷺ من جهة ثويبة ومن جهة حليمة.

قال العز بن جماعة: واختلف في إسلام حليمة أيضاً.

وقال الغيطي: ذكرها جماعة في الصحابيات، وذكر الحافظ ابن سيد الناس في سيرته الكبرى أنها أسلمت، ثم قال: ومن الناس مَن ينكر إسلامها، قال بعضهم: والظاهر أنه أشار إلى شيخه الحافظ شرف الدين الدمياطي حيث قال: حليمة لا تعرف لها صحبة ولا إسلام.

قلت المثبت مقدم على النافي، وإسلامها هو الظاهر من أحوالها العلية لا سيما وفي إسلامها زيادة منقبة له ﷺ فرضي الله تعالى عنها.

وقد ألف الحافظ أبو سعيد علاء الدين مغلطاي جزءاً في إسلامها، وقال في سيرته: وصحح ابن حبان وغيره حديثاً دلّ على إسلامها [٢٤٠].

وأحاديث قدومها مكة مع نسوة يلتمسن الرضعاء ومعها أتانها وزوجها وما وقع لها في أخذها إياه ﷺ مذكورة في كتب الحفاظ.

وعاشت إلى أن قدمت على النبي ﷺ بمكة وقد تزوّج ﷺ خديجة رضي الله عنها فشكت إليه جدب البلاد فكلّمت خديجة لها فأعطاها أربعين شاةً وبعيراً وانصرفت إلى أهلها [٢٤١].

---

(٢٤٠) إلى هنا في مولد الغيطي (١/١٣) والحديث عند ابن حبان (٢٠٩٤) وانظر ما بعده.

(٢٤١) هو عند الطبراني (ج ٢٤ رقم ٥٤٥) وهو نفس حديث ابن حبان (٢٠٩٤) وانظر تعليقنا على المعجم الكبير.

قال الحافظ الغيطي: وقدمت على النبي ﷺ أيضاً يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه الشريف فجلست عليه وقضى ما طلبت، فلما توفي ﷺ قدمت على أبي بكر رضي الله عنه فصنع بها مثل ذلك.

قال وأما تجويز الذهبي أن القادمة عليه ثويبة مولاة أبي لهب فنظر فيه بأن ثويبة توفيت سنة سبع من الهجرة وحنين كانت في سنة ثمان انتهى (٢٤٢).

وقال الدمياطي: القادمة التي بسط لها رداءه هي الشيماء لا أمّها.

وفي كتاب الترقيص لأبي عبدالله محمد الأزدي أن من شعر حليمة مما كانت ترقص به النبي ﷺ:

يـا رب إذ أعطيتـه فـابقـه ... وأعلِـهِ إلى العُلى وأرقِـهِ

وادحض أباطيل العدى بحقه.

وكانت الشيماء أخته من الرضاعة ترقصه أيضاً بقولها:

هـذا أخ لي لم تلـده أمـي ... وليس مـن نسـل أبي وعمـي

فديته من فحول معمّم. انتهى

والشيماء هذه الأصح أنها بنت حليمة لا أختها، وهي صحابية، وكانت تحضنه ﷺ مع أمها، وهي التي قدمت عليه في وفد هوازن كما سيأتي إن شاء الله تعالى (٢٤٣).

---

(٢٤٢) مولد الغيطي (١٣/ ١ ـ ٢) في نسختي ونسخة القاضي وقضى حاجتها وهو الموافق لما في مولد الغيطي.

والذي رواه أبو داود (٥١٤٤) والبخاري في الأدب المفرد (١٢٩٥) والحاكم (٣/ ٦١٨ ـ ٦١٩) أن ذلك كان بالجعرانة، وفي سنده من لا يعرف، وهو من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة.

(٢٤٣) أنظر ترجمتها في الإصابة حيث لا تصح رواية من تلك الروايات.

(تنبيه) صرح العروضيون بأن هاء التأنيث المتحرك ما قبلها كما في نحو طلحة وظلمة لا تكون روياً للبيت، والروي حرف يبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، فيقال قصيدة لامية أو رائية أو همزية أو نحوها، فإذا اشتمل البيت عليها وجب اعتبار ما قبلها لكونه روياً.

ففي كلام الناظم إذا لم يعتبر الهاء فما قبلها في الشطر الأول الباء في ثويبة وفي الثاني الميم في حليمة فلم يشتمل البيت على روي، ومثله كثير في ذات الشفاء، لا يقال: إن كل شطر بيت برأسه كما هو الأصح في مشطور الرجز، لأنا نقول: صرحوا أيضاً بأن المختار في الأراجيز المشطورة المزدوجة أن كل شطر (٢٤٤) من ذلك بيت على حدته، على أن الناظم صرّح آخراً في قوله « أبياتها جاءت ثوان كمُلا » بأن كل شطرين من ذات الشفاء بيت واحد، ويمكن أن يقال: إن بحر الرجز لكثرة استعماله في نظم العلوم قد توسعوا فجوزوا فيه جعل هاء التأنيث روياً، وإن لم يستعمله العرب، وقد كثر جعل ذلك روياً في كلام المتأخرين كالحافظ العراقي في ألفيته وكابن رسلان والغزي والسيوطي وغيرهم مع أنهم عارفون بالعروض وبقي كلام طويناه لضيق المقام.

وثَمَّةَ شُقَّ صَدْرُه وَبانا حظ اللّعينِ وَمُلي إيمانا

(وثمة) بفتح المثلثة أي عند حليمة (شق) بالبناء للمجهول للعلم بفاعله أي شق الملك (صدره) أولاً ثم شق قلبه كما في الأحاديث وقد ورد في الأحاديث المبينة في محالّها تكرار شق صدره الشريف أربع مرات، وقيل خمساً مبالغة في التطهير والتخليص من الأغبار ولم يحصل لأحد نظير ذلك ولا ما يقاربه، وذكرتها في منظومتي المسماة بنظم المحاسن فقلت (٢٤٥):

---

(٢٤٤) في نسخة القاضي أن كل شطرين.

(٢٤٥) وعلقت على قوله في المنظومة المذكورة: قد شق قلبه مراراً الخ: شق صدره ﷺ وهو غلام رواه مسلم (١٦٢) والبيهقي (١/ ٣٥٠ - ٣٥١) من حديث أنس.. ورواه أحمد =

قـد شـق قلبـه مـراراً أربعـاً ... وقـت الصبـا وحين كـان يـانعـا
وعنـد بعـث وأسرى لـربـه ... وقيـل خـامس ولا تعبـأ بـه

(وبانا) بألف الإطلاق أي خرج وانفصل منه (حظ) أي نصيب الشيطان (اللعين) أي المطرود من رحمة الله تعالى، وحظه قطعة دم مثل العلقة [٢٤٦] يطعن فيها بالصفات المذمومة من نحو الغل والحسد كما دلّت عليه الأحاديث، ولعلّ ذلك كان سبباً لإسلام قرينه كما رواه البزّار [٢٤٧]. (وملي) مجهول ملأ وخفف الهمزة بقلبها ياء وسكنت للوزن أي مليء صدره يعني قلبه الذي فيه (إيمانا) ونور حكمة ونبوة ورحمة للصغير ورأفة للكبير كما ورد ذلك في عدة أحاديث منها ما رواه أبو نعيم وأبو يعلى وابن عساكر عن شداد بن أوس عن رجل من بني عامر أن رسول الله ﷺ قال: «كنت مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فبينا أنا ذات يوم مع أتراب من الصبيان إذا أنا برهط ثلاثة معهم طشت من ذهب

= (٤/ ١٨٤ - ١٨٥) والدارمي (١٣) والحاكم (٢/ ٦١٦) والبيهقي (١/ ٣٥٢ - ٣٥٣) من حديث عتبة بن عبد.

وحديث شق صدره وهو يافع ابن عشر حجج رواه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٣٩) من حديث أبي بن كعب قال في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٣) رجاله ثقات وثقهم ابن حبان، ورواه أيضاً أبو نعيم في الدلائل (ص ١٧٥).

وشق صدره أول ما بدىء بالوحي رواه أبو داود الطيالسي (٢٣١٨) من حديث عائشة.

وشق صدره للإسراء رواه البخاري (٣٤٩ و ١٦٣٦ و ٣٣٤٢) ومسلم (١٦٣) وغيرهما من حديث أبي ذر.

وهو في الصحيح أيضاً من حديث أنس ومالك بن صعصعة.

قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٦٠) وروي مرة أخرى خامسة ولا تثبت.

وفي نسختي وشق قلبه وهو مخالف لما في المنظومة التي فيها قد شق.

(٢٤٦) في نسختي ونسخة القاضي شبه العلقة.

(٢٤٧) حديث إسلام قرينه رواه مسلم (٢٨١٤) من حديث ابن مسعود و (٢١١٥) من حديث عائشة. ورواه البزار (٢٤٣٩) من حديث شريك بن طارق وهو عند الطبراني في الكبير (٧٢٢٢ و ٧٢٢٣) وابن حبان (٢١٠١).

مليء ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي وانطلق الصبيان هراباً مسرعين إلى الحي، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعاً لطيفاً، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر اليه لم أجد لذلك مسّاً، ثم أخرج أحشاء بطني، ثم غسلها بذلك الثلج فانعمّ غسلها بذلك الثلج، ثم أعادها مكانها، ثم قام الثاني فقال لصاحبه: تنح، ثم أدخل يده في جوفي وأخرج قلبي وأنا أنظر اليه، فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، ثم قال: أي أشار بيده يمنة ويسرة كأنّه يتناول شيئاً، فإذا بخاتم من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ نوراً، وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعاده مكانه، فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثم قال الثالث لصاحبه: تنح، فأمرَّ يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي والتأم ذلك الشقّ بإذن الله تعالى، ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً.. الحديث (٢٤٨).

(فائدة) جميع ما ورد في الأحاديث من الشق وإخراج القلب وغيرهما من كل ما كان للرسول ﷺ يجب الإيمان به وإن كان خارقاً للعادة، ولا يجوز تأويله لصلاحية قدرته تعالى لذلك كما عليه أهل السنة. ثم في وضع الإيمان والحكمة في القلب دليل لما عليه أكثر أهل السنة أن محل العقل هو القلب كما دلت عليه الآيات لا الدّماغ.

حضانته وموت أبيه ﷺ

وَحَضَنَتْـهُ أمُّ أيمَـنْ بَـرَكَـة　　وَعَـنْ أبيـه انتَقَلَـتْ بـالمَلَكَـة

(وحضنته) من حضن الصبي حضناً وحضاناً وحضانةً بكسر أولها أي ربّاه أو وضعه في حضنه كاحتضنه، والمعنى وربّته ﷺ مع أمه وبعد موتها (أم أيمن) بسكون النون إجراء للوصل مجرى الوقف للوزن، واسم أم أيمن الفاضلة الجليلة

---

(٢٤٨) تقدم الكلام عليه في التعليق (١٥٢) وأنه حديث موضوع.

(بركة) الحبشية بنت ثعلبة بن حصن بن مالك، اشتهرت بكنيتها بابنها أيمن الحبشي (وعن أبيه) عبدالله (انتقلت) إليه ﷺ بعد موته (بالْمَلَكَة) بفتح الميم واللاّم بمعنى الرّق، ويقال طال مكلتُهُ أي رقه، يعني أنها كانت رقيقة لأبيه ﷺ، فورثها منه. فكأن الرّق سبب لانتقالها إليه ﷺ، وقيل كانت لأمه فورثها منها.

وَهِـيَ الَّتـي أعتقَهـا لَمّـا كَبُـر   زَوَّجَهـا مَـولاه زيـداً فـادَّكِـر

(وهي) بسكون الهاء أي أم أيمن المذكورة (التي أعْتَقَها) فهي مولاته ﷺ (لما كبر) ﷺ، وهو بوزن فرِح بمعنى طعن في السن، وأمّا كَبُرْ ككرُم فهو نقيض صغر. (زوّجها مولاه) أي عتيقه (زيداً) بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد فهي أم أسامة بن زيد هاجرت هجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وكان ﷺ يقول: «أم أيمن أمّي بعد أمّي» (٢٤٩) وتوفيت رضي الله عنها بعد عمر رضي الله عنه بعشرين يوماً (فاذكر) أي تذكّر وأصله اذتكر قلبت التاء دالاً مهملةً. ثم قلبت الذال المعجمة إليها وأدغمت، وهو تتميم البيت.

فَـإنَّـهُ مُـذْ مـاتَ كـان حَمـلا   وَقيـلَ لَمَا مـاتَ كـانَ طِفلا

(فإنه) علّة لما فهم عما سبق من تقدم موت أبيه ﷺ، والضمير في أنه عائد إليه ﷺ. ويجوز عوده إلى أبيه.

[مُذ مات] أي حين موت أبيه بطيبة المنوّرة عند أخواله بني النجار لما رجع من الشام مع تجار قريش، وقد مضى من عمره نحو ثمان عشرة سنة كما صحح الحافظ صلاح الدين العلائي وأقره الحافظ السيوطي، ولكن جزم الغيطي نقلاً عن الحاكم بأنه لما مات كان ابن ثلاثين سنة (٢٥١)، وقيل مات بالأبواء بفتح الهمزة

(٢٤٩) أنظر الإصابة (٨/ ١٦٩) حيث أن شيخ ابن أبي خيثمة قال قال رسول الله ﷺ ذلك وبينه وبين الرسول مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل.

(٢٥٠) أنظر مولد الغيطي (٤/ ٢ ـ ٥/ ١).

محل قريب من رابع . [كان] ﷺ [حملاً] بفتح الحاء هو الولد في بطن أمه . وأمّا بكسرها فهو ما حمل على ظهر أو رأس وقد مضى عليه ﷺ حين موت أبيه شهران على الصحيح وقيل سبعة أشهر [وقيل لَمّا مات] أبوه [كان] ﷺ [طفلاً] أي مولوداً في المهد ، وهو مردود ، وكأنه ذكره لقوة الخلاف عنده ، وإلاّ فقد شرط في الديباجة أن ينظم على الصحيح من الخلاف فقط .

وخلف أبوه جاريته أم أيمن وخمسة جمال وقطعة غنم فورث ﷺ جميعها ، ونقل الإمام أبو حيان في تفسيره [المسمى بالبحر] أن جعفر الصادق سئل : لم يتم ﷺ من أبويه ؟ قال : لئلا يكون للمخلوق عليه منّة وزاد عليه ، وليظهر أن العزيز من أعزّه الله تعالى وليس العزة بالآباء والأمهات ، وليرحم الأيتام والفقراء .

موت أمه ﷺ وكفالة جده ثم عمه أبي طالب :

وَمَاتَتْ أُمُّهُ وَقَدْ كَمُلَ لَهُ أَرْبَعُ أو سِتٌ وَبَعدُ كَفَلَه

[وماتت أمه] ﷺ بنقل حركة الهمزة إلى تاء التأنيث للوزن ، وموتها بالأبواء [المذكورة] ، وقيل بالحجون . ويدلّ له خبر إحيائها له ﷺ عند عقبة الحجون حتى آمنت به في حجة الوداع كما مرّ تقريره(٢٥١) . وفي القاموس دار رابعة بمكة مدفن آمنة أمه ﷺ انتهى . وقد عاشت نحو عشرين سنة كما ذكره السيوطي .

[وقد كمل له] ﷺ [أربع] سنين أو خمس [أو ست] أو سبع أو تسع أو اثنتا عشرة وشهراً ، أو عشرة أيام أقوال حكيت في المواهب وغيره . وروى أبو نعيم بسند ضعيف من طريق الزهري عن أسماء بنت أبي رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة أم النبي ﷺ في علّتها التي ماتت فيها ومحمد ﷺ غلام يقع له

---

(٢٥١) هو حديث موضوع والصحيح كما ورد في الصحيح أنها ماتت بالأبواء .

خمس سنين عند رأسها، فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بــارك فيــك الله مــن غلام   يـا ابـن الذي مـن حومـة الحمام
نجـا بعـون الملـك المنعـام   فؤادي[٢٥٢] غداة الضرب بالسهام
بمائـة مـن إبـل سـوام   إن صـح مـا أبصرتُ في المنـام
فـأنـت مبعـوث إلى الأنـام   مـن عنـد ذي الجلال والإكـرام
تبعـث في الحـل وفي الحـرام   تبعـث بـالتخفيـف والإسلام
ديـن أبيـك البـر أبـراهـام   فـالله أنهاك عـن الأصنـام
أن لا تواليها مع الأقوام.

ثم قالت: كل حيّ ميت، وكل جديد بال، وأنا ميت وذكري باق، وقد تركت خيراً وولدت طهراً ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها[٢٥٣]. وهذا يعضد ما بسطنا الكلام عليه سابقاً من نجاتها بل وإسلامها لأن هذا الكلام منها صريح في النهي من موالاة الأصنام مع الأقوام والاعتراف بدين ابراهيم عليه السلام، وببعث ولدها إلى الأنام من عند ذي الجلال والإكرام بالإسلام، ومن تأمل ما في الأخبار من إتيان البشارات إليها وقت حملها وولادتها ورؤيتها الأنوار وسماع أصوات الملائكة وغير ذلك من الآيات، جزم بإيمانها وتوحيدها لأن ما يترتب على البشارات إمّا في الدنيا وهي لم تعش، وإما في الآخرة فإذا لم تنج فيها فأي بشارة لها[٢٥٤]؟ (وبعد) بالضم أي بعد موت أمه (كفّله) أي تولّى أمره.

أبـو أبيـهِ ثُـمَّ مـاتَ وَهُـوَ   ابْـنُ ثمانٍ مع شَهْـرَيْـنِ سَـوا

(أبو أبيه) ﷺ وهو جده عبدالمطلب (ثم مات) جدّه وكافله عبدالمطلب

---

(٢٥٢) في نسخة القاضي فؤدّي.

(٢٥٣) لا شك في كذب هذه الرواية لأن رواتها المذكورين مجهولون فكيف بمن لم يذكر.

(٢٥٤) هذا باطل لأنه مبني على باطل.

(وهوا) بألف الإطلاق أي النبي ﷺ (ابن ثمان) سنين (مع شهرين سَوى) بالقصر للوزن أي كاملين وسواء في الأصل مصدر بمعنى مستو، ويستوي فيه التثنية وغيرها، وقيل: هو ابن تسع سنين وقيل عشر وقيل: ست ثم كفّله عمه شقيق أبيه أبو طالب بوصية عبدالمطلب له بذلك.

وصوله إلى بصرىٰ وقول الراهب وغيره:

وَعِنْدَمٰا صٰارَ لَـهُ اثنىٰ عَشْـرا مَـعْ عَمِـهِ راحَ لأرض بُصْـرىٰ
فَحينمَـا أبْصَـرَهُ بَحيـرا أحْصٰاهُ إذ كـان بـه خَبيرا

(وعندما) مصدرية (صار) وتم (له) ﷺ من العمر (اثني عشرا) بسكون الشين وزيادة ألف الإطلاق، وتمييزه محذوف لدلالة السياق عليه وهو عاماً لا سنةً لتذكير اسم العدد ههنا، وعبارة الأكثرين: ولما بلغ ﷺ اثنتى عشرة سنة خرج مع عمه إلى الشام ويوافقه كلام الناظم، لكن عبارة أصله: اثنتى عشرة سنة[٢٥٥] وشهرين وعشرة أيام، ولا دلالة في كلام الناظم على هذه الزيادة، وقيل: سنه إذ ذاك تسع سنين حكاه العز بن جماعة (مع) بسكون العين (عمه) أبي طالب (راح) أي ذهب (لأرض) أي إلى أرض الشام حتى وصل (بُصرىٰ) بضم الباء من أرض الشام كما مرّ تفصيله، وقد مرّ أيضاً أن بقربها كنيسة بحيرا الراهب فرأى النبي ﷺ لما مرّ به (فحين ما) زائدة (أبصره) ورآه (بحيرا) بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورة واسمه جرجيس كما في المواهب (أحصاه) أي ضبطه وعرفه بصفته (إذ كان) بحيرا قبل ذلك (به) ﷺ متعلق بقوله (خبيراً) أي عالماً به وبأوصافه المسطورة في الكتب.

(٢٥٥) في نسخة القاضي ولما بلغ اثنتا عشرة سنة.

فجـــاءه مُقَبِّلاً منـــه اليَـــدا وَقـــال أهلاً بـــالنبي أحْمَـــدا
هٰـذا رَسُـــولُ اللهِ مُجلي الغُمَّـــة يَبْعَثُـــهُ للعـــالَمينَ رَحْمَـــة

(فجاءه) أي جاء بحيرا إليه ﷺ فأخذ بيده حال كونه (مُقبِّلاً) اسم فاعل من التقبيل (منه) ﷺ أي مقبلاً بعض بدنه الشريف، وقوله (اليدا) بيان لذلك البعض أو بدل منه، وإنما أولته بالبعض ولم أجعل منه نعتاً مقدماً لليد لتصريحهم بأن النعت لا يتقدم على المنعوت ولو في الضرورة (وقال) بحيرا وهو أخذ بيده ﷺ (أهلاً) مفعول حذف عامله سماعاً والباء في قوله (بالنبي) ﷺ للتعدية متعلق بالعامل المحذوف نحو أوتي أو جيء والمعنى جيء بالنبي ﷺ أهلاً لا أجانب، أو مكاناً مأهولاً أي معموراً، (أحمدا) بألف الإطلاق بيان للنبي ثم قال بحيرا: (هذا) أي هذا الذي أخذت بيده سيد العالمين ، (رسول الله) في علمه تعالى إلى كافة الناس كما وجدناه في كتبنا، (مُجْلي) اسم فاعل أي كاشف (الغمة) بضم الغين المعجمة أي الكرب والشدة في الدنيا والآخرة (يبعثه) الله تعالى بعد ما مضى من عمره أربعون سنة (للعالمين) أي الإنس والجن اتفاقاً، وغيرهم على خلاف مرّ (رحمة) فهو رحمة للمؤمنين في الدنيا بالهداية وفي الآخرة بالنجاة، وللمنافقين بالأمان من القتل والسبي، وللكافرين بتأخير العذاب، ولسائر الحيوانات بأن يرزقهم الله تعالى بسببه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو رحمة للبر والفاجر، لأن كل نبي إذا كذّبه قومه أهلكهم الله تعالى و (نبينا) محمد ﷺ أخّرَ من كذّبه إلى الموت أو إلى يوم القيامة، وفي الشفاء: وحكي أنه ﷺ قال لجبرائيل عليه السلام: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ فقال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لما بعثت انتهى.

ولما أخبر بحيرا بأوصافه ﷺ المذكورة، قيل له: وما أعلمك بذلك؟ فقال:

يـا مَعْشَـرَ الْعَـرَبِ مُـذْ أقْبَلْتُـمْ رَقَبْتُكُـمْ إلى هنـا نَـزَلْتُـمْ
لم يَبْقَ ما أبْصِـرُه مـن حَجَـرْ إلاَّ يَخِـرَّ سـاجِـداً وَشَجَـرِ

وليس يسجدان إلا للنبي وإننا نجده في الكتب
ثم نهاه عن دُخولِ الشامِ لا تغتاله يهودها فيقتلا

(يا معشر العرب مذ) أي حين (أقبلتم) في مجيئكم وأشرفتم به ﷺ من العقبة، (رقبتكم) أي انتظرتكم (حتى) أي إلى أن (هنا) ظرف لقوله (نزلتم ولم يبق ما أبصره) بضم الهمزة وكسر الصاد، وقوله (من حجر) بيان ما، وقوله: (إلا يخرّ) أي خرّ أي سقط من علوٍ إلى أسفل حال كونه (ساجداً) مستثنى قبل تمام الكلام، لأن قوله: (وشجر) بالجر عطف على قوله حجر (وليس يسجدن) أي الشجر والحجر (إلاّ لنبي) بحذف إحدى اليائين للوزن، وإني أعرفه بخاتم النبوة عند غطروف كتفه مثل التفاحة، (وإننا نجده) كذلك في (الكتب) أي في كتبنا (ثم نهاه) أي نهى بحيرا النبي ﷺ (عن دخول الشام) أي بقية الشام سوى أرض بصرى، وسأل أبا طالب أن يردّه لأن (لا يغتاله) بالنصب بأن المقدرة مع لام الجر كما قدرته، أي تقتله بخداع، يقال اغتاله أي خدعه، فذهب إلى موضع فقتله، لكن المراد هنا مجرد الخداع والاحتيال لقوله الآتي: فيقتلا والمعنى: لأن لا تحتال عليه (يهودها) أي يهود الشام (فيقتلا) بالنصب مع ألف الإطلاق، أي فأن يقتلا، وما ذكره الناظم: رواية ابن أبي شيبة مع بعض زيادات ألحقتها به، وروى جماعة على شرط الشيخين(٢٥٦) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن أبا طالب خرج به ﷺ إلى الشام في أشياخ من قريش فمرّوا ببحيرا، فخرج إليهم على خلاف عادته، فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقال: هذا سيّد العالمين، زاد البيهقي: ورسول رب العالمين، هذا يبعثه الله تعالى رحمةً للعالمين، فقالوا: وما أعلمك؟ قال: إنكم حين أشرفتم من الثنية لم يبق شجر ولا حجر إلاّ خرّ ساجداً، ولا يسجدان إلاّ لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غطروف كتفه، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما

(٢٥٦) في نسختي وفي نسخة القاضي على شرط الصحيحين.

أتاهم به كان ﷺ في رعية الإبل فقال: أرسلوا إليه، أقبل وعليه غمامة تظلّه، فلما دنا من القوم[٢٥٧] وجدهم قد سبقوا إلى فيء الشجرة فلما جلس ﷺ، مال فيء الشجرة إليه، (فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال إليه) الحديث، قال الأئمة هذا الحديث إما أن يكون تلقّاه أبو موسى عنه ﷺ فيكون أبلغ، أو عن بعض كبار الصحابة، أو [كان] مشهوراً بطريق الاستفاضة وخرّج الترمذي وحسّنه، والحاكم وصحّحه[٢٥٨]، أن في هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله ﷺ، فاستقبلهم بحيرا فقال: ما جاء بكم، قالوا: إنّ هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلاّ بعث إليها بأناس، فقال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد أن يردّه؟ فقالوا: لا، قال: فبايعوه، فأقاموا معه، فردّه أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالاً[٢٥٩]، فقال البيهقي: هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي، انتهى[٢٦٠]. وضعّف الذهبي الحديث لقوله في آخره: وبعث معه أبو بكر بلالاً، فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن شاهداً ولا اشترى بلالاً.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة، فيحمل على أنها مدرجة في بعض روايته وهماً.

تنبيهات، أولها ذكر الحافظ ابن منده وأبو نعيم: أن بحيرا كان من الصحابة[٢٦١] وهو مبني على أن الشرط في الصحابي رؤيته ﷺ، والإيمان به، ولو قبل البعثة.

ثانيها: من أنكر تقديم المعجزة على زمان دعوى النبوة كأكثر أهل الأصول

---

(٢٥٧) في نسخة القاضي إلى القوم.

(٢٥٨) تقدم الكلام عليه في التعليق (٥٣) وأنه لا ذكر في الحديث لاسم بحيرا ولا ذكر تقبيل اليد ولا بعض البدن.

(٢٥٩) هذه الزيادة منكرة في الحديث والصواب بعث معه رجلاً كما في رواية البزار.

(٢٦٠) دلائل النبوة (١/ ٣٧٢) للبيهقي.

(٢٦١) أنظر الإصابة (١/ ٢٢) حيث إن الذي ذكره ابن منده غير هذا.

جعل ما وقع قبله من الخوارق كالشقّ وتظليل الغمامة وسجود الحجر والشجر، إرهاصاً وتأسيساً للنبوة لا معجزةً.

ثالثها: ما صح عن بحيرا أن الشجر والحجر لا يسجدان إلاّ لنبي أي لا لوليّ وغيره، يؤيد قول الإمام العارف القشيري ومن تبعه بتخصيص عموم قول الأئمة: ما جاز أن تكون معجزة لنبي جاز أن تكون كرامةً لوليّ، لا فارق بينهما إلاّ التحدي، وقد بسطت الكلام على ذلك في حواشي شرح الهمزية (خروجه ﷺ إلى بصرى ثاني مرة بتجارة خديجة مع غلامها ميسرة).

ثم لبصرى رَاحَ ثـــاني مَـــرَّة   بِمَتْجَـرٍ وَكـــان مَـعَ مَيْسَـرة

(ثم) لما بلغ [عمره] ﷺ خمساً وعشرين سنةً (لبصرى راح) أي ذهب إلى بصرى المذكورة ذهاباً (ثاني مرة) أي ثانياً من المرّة، والمرة الفعلة الواحدة، فيكون ثاني نعتاً لمصدر محذوف، وإسكان يائه للوزن، وحقه الفتح، ويجوز جعله حالاً من المستتر في راح، أي حال كونه ﷺ ثاني مرة، أي ثانياً في مرّته وفعلته، وهي رواحه إلى بصرى، وأخرج ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين، وهم يريدون الشام في تجارة، حتى نزلا منزلاً فيه سدرة فقعد في ظلّها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له: بحيرا يسأله عن شيء فقال له: مَن الرجل الذي في ظل الشجرة؟ فقال: محمد بن عبدالله ابن عبدالمطلب، قال: والله هذا نبيّ ما استظل تحتها بعد عيسى إلاّ محمد ﷺ، ووقع ذلك في قلب أبي بكر، فلما بعث ﷺ آمن به قبل غيره، قال أبو الفضل الحافظ ابن حجر في الإصابة: إن صحت هذه القصة فهي سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب. انتهى.

قلت فعلى صحتها يكون ما سمّاه الناظم كغيره ثاني مرة، ثالث مرة، (بمتجر) بفتح الميم والجيم بينهما تاء ساكنة، مصدر ميمي بمعنى التجارة، وهي

البيع والشراء للربح، وعبارة أصله كغير: خرج مرة ثانية إلى الشام في تجارة لخديجة، فيمكن جعل الباء في كلام الناظم بمعنى في كما في قوله تعالى: ﴿ونجيناهم بسحر﴾ الجار والمجرور حالاً من ضمير راح أي راغباً في تجارة لها، لكن لا وجه حينئذ للعدول عن في إلى الباء لصحة الوزن معه أيضاً، فهي للسببية أو للمصاحبة أي بقصد تجارة أو معه، (وكان) ﷺ (مع) بسكون العين على ما مرّ (ميسرة) وهي في الأصل مثلثة السين بمعنى السهولة والغنى.

عَبـدِ خَدِيْجَةَ قُبَيْـلَ تَنْكِحُـهُ بما لها يَـرْبحهـا تَـربَحُـهُ

ثم جعل علماً (عبد) بالجر بيان لميسرة (خديجة) بالدال المهملة، ووهم بعض العوام في تصحيفها (قبيل) تصغير قبل لتقليل المدة ظرف لراح، أو لمتجر، أو لكان، (تنكحه) ﷺ وهو مضاف إليه بتأويله بالاسم، أي قبيل نكاحها إياه (بمالها) متعلق بمتجر، أو حال، أي ملتبساً بمال خديجة، أو متعلق بربحها المقدر أو المؤخر (بربحها) الظاهر أنه من باب علم على الحذف والإيصال أي بربح لها (و) هي أيضاً (تربحه) أي يريد كل منهما الربح للآخر ولو استعمل: أربحه في باب الإفعال على معنى أعطاه الربح، أو حصل له الربح، أو أفاده له لم يحتج إلى الحذف والإيصال.

وأصل ذلك ما رواه ابن السعد في طبقاته(٢٦٢) قال: لما بلغ ﷺ: خمساً وعشرين سنة قال له أبو طالب: أنا رجل لا مال لي، وقد اشتدّ الزمان علينا، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد، تبعث رجالاً من قومك في عيرها، فلو جئتها وعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك، وبلغ ذلك خديجة، فأرسلت إليه وقالت: أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من

(٢٦٢) رواه ابن سعد (١/ ١٢٩ - ١٣١) ومن طريقه أبو نعيم في الدلائل (١/ ٢١٩ - ٢٢٢) وفيه محمد بن عمر الواقدي وهو متروك كذبه بعضهم. وموسى بن شيبة قال الحافظ لين الحديث. ولم أر ترجمة لعميرة بنت عبدالله أبو عبيدالله.

قومك، وفي رواية: أتاها أبو طالب فقال: هل لك أن تستأجري محمداً، فقد بلغنا أنك استأجرت فلاناً ببكرين، ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات، فقالت: لو سألت ذلك لـ [حبيب] قريب فعلنا، فكيف وقد سألت لحبيب، قال أبو طالب هذا رزق ساقه الله إليك، فخرج مع غلامها ميسرة حتى قدما بصرى في أرض الشام فنزلا في ظل شجرة. الحديث. وإليه أشار الناظم بقوله:

لما أتــى نــزل تحت الشجـــرة بِالقُرْب مِنْ صَومَعَـةِ المُنَصَّرَة
فقـال راهـب بِهـا مـا يَنـزِلُ أي هُنَـا إلا نَبِـيٌّ مُـرْسَـلُ

(لما أتى) ﷺ (نزل تحت) ظل (شجرة) وهي شجرة السدر على ما في رواية (بالقرب) أي بموضع قريب (من صومعة) بفتح فسكون ففتح، بيت للنصارى كما في القاموس: (منصّرة) اسم مفعول من باب التفضيل بمعنى منسوبة إلى النصارى، صفة كاشفة له (فقال راهب) وهو مشهور بين أهل الشام اسمه نسطورا بضم النون وفتحها، والراهب في اللغة بمعنى الخائف غلب على الواحد من رهبان النصارى، ومصدره الرهبة والرهبانية، وفي الحديث: (لا رهبانية في الإسلام) (٢٦٣) وكان النصارى يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا وترك ملاذّها والزهد فيها والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقّها، حتى أن منهم من كان يختص ويضع السلسلة في عنقه، ويلبس المسوح، ولا يأكل اللحم وغير ذلك، فنفاه النبي ﷺ عن الإسلام ونهى المسلمين عنها. (بها) أي في تلك الصومعة (ما ينزل، أي ههنا) تفسير للمكان الذي نزل فيه، وهو إشارة إلى تحت الشجرة (إلاّ نبي مرسلٌ) ولفظ الحديث كما في رواية ابن سعد وأبي نعيم وغيرها، قال نسطور الراهب:

ما نزل تحت ظل هذه الشجرة قطّ إلاّ نبي، وقال السهيلي: يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبيّ، ولم يرد: ما نزل تحتها أحدٌ إلاّ نبيّ، لبعد العهد بالأنبياء،

---

(٢٦٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ١١١): لم أره بهذا اللفظ.

والشجرة لا تعمّر في العادة هذا العمر الطويل، إلا إن صحّت رواية من قال: لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى عليه السلام، والشجرة على هذا مختصة بهذا العمر، انتهى.

ولو قال الناظم (فقال راهب بها ما نزل في ظلها إلاّ نبيّ مرسلا) لكان أوضح وأوفقَ للفظ الحديث، ثم قال الراهب لميسرة: أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم، قال لا تفارقه هو نبيّ وهو آخر الأنبياء، وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلاّن رسول الله ﷺ، فاشتدّ حبه لرسول الله ﷺ.

ثم باعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كان يربحون، فلما رجعوا وكانوا بمرّ الظهران، تقدم ﷺ وأخبر خديجة بالربح، ثم قدم ميسرة فأخبرها بذلك أيضاً، وبما قال الراهب وبما شاهد منه ﷺ في تظليل الملكين، وإلى الأخير أشار الناظم بقوله:

وكانَ مِنْ قَوْلِ الغُلامِ المَيْسَرَة كان لدى الحَرِّ وَعِنْدَ الهاجِرَة
ينــزل مــن يظلــه شخصــان صَــدَّقَ مــن مَلائِـكِ الرَّحمٰنِ

(وكان في قول الغلام) أي حكاية لخديجة وغيرها (ميسرة) بيان للغلام (كان) الشأن (لدى الحرّ) أي عنده (وعند الهاجرة) وهي شدة الحر أو نصف النهار عند زوال الشمس لأن الناس يسكنون في بيوتهم فيه، فكأنهم تهاجروا في ذلك الوقت (فسمي الوقت) هاجرة توسعاً (ينزل) من السماء (مِن) يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع وغيرها (يظله) ﷺ أي يُلقي ظله (عليه) وهو من باب الإفعال صلة من، وقوله (شخصان) بدل من الموصول والشخص سواد تراه من بعد أعمّ من أن يكون لإنسان أو غيره (صدق) ميسرة، وهي جملة معترضة في كلام الناظم (من ملائك الرحمٰن) بيان لقوله شخصان من تتمة كلام ميسرة كما يشعر به عبارة أصله، وكان ميسرة يقول: إذا كانت الهاجرة واشتدّ الحرّ نزل ملكان يظلان، انتهت.

ويحتمل أن يكون من كلام الناظم أيضاً، وأن ميسرة إنما علم أنهما شخصان لا ملكان فتأمله.

وروى أبو نعيم: أنهم لما رجعوا إلى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها، رأت رسول الله ﷺ وهو على بعير وملكان يظلان عليه، فأرت خديجة ذلك نساءً عندها، فعجبن من ذلك.

زواجه ﷺ بخديجة، وبنيان الكعبة:

وَعِنْدَمَا رَدَّ تَزَوَّجَتْ بِهِ وَعُمْرُهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ وَهِي

[وعندما] مصدرية [ردّ] ﷺ تجارة خديجة بربحها وأخبرها ميسرة بجميع ما رأى منه ﷺ أدركت بقوة ذكائها وكمال تفرّسها أنه ﷺ كنز سعادة الدنيا والآخرة لها، ومن ثم نالت من الفضل والسبق ما لم تنله امرأة في هذه الأمة، إذ هي على الأصح أفضل أمهات المؤمنين وكانت رضي الله عنها ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر، وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، فعرضت نفسها عليه، فقالت: يا ابن عمي إني رغبت في نكاحك لما رأيته وعلمته(٢٦٤) منك، وكانت تزوجت قبله ﷺ برجلين يأتي ذكرهما في بحث زوجاته ﷺ، فذكر ﷺ ذلك لأعمامه، فخرج منهم حمزة رضي الله عنه معه ﷺ، حتى دخل على أبيها خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب فخطبها له، فأجاب. فتزوجها ﷺ. وأصدقها عشرين بكرة بعدما مضى من رجوعه من سفر التجارة ثلاثة أشهر كما قاله الغيطي. أو إلا خمسة أيام كما في المواهب. وحضر هناك أبو بكر ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب فقال كما في المواهب وغيره: [الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضيء معدّ وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً، فجعلنا(٢٦٥) الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن

(٢٦٥) في نسختي وجعلنا.

برجل إلا رجّح به، فإذا كان[٢٦٦] في المال قلّ فإن المال ظل زائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد. وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له بناء عظيم وخطر جليل، فزوجها أبوها منه] وذكر الدولابي وغيره: أنه ﷺ أصدقها ثنتي عشرة أوقية ذهباً ونصف أوقية، قالوا: وكانت كل أوقية [إذ ذاك] أربعون درهماً.

وإنما قال الناظم: [تزوجت به] فنسب التزويج إليها، لأنها الداعية والباعثة على ذلك كما عرفت، [وعمره] ﷺ [خمس وعشرون] سنة على الأشهر وقيل: إحدى وعشرون، وقيل: ثلاثون، [وهي] بإسكان الياء، أي خديجة.

أسَنّ كانَت بـرةٌ ومحسنـة وعنـد خمس وثلاثين سنـة
بنت قريش البيت عند مشهَدِة ووضع الحجر فيها بيـده

[أسنّ] أفعل التفضيل، أي هي أكبر منه ﷺ سناً بالكسر وهو مقدار العمر، [كانت برّةً] بفتح الباء فسره بقوله: [مُحسِنة] متصدِقة ذات شرف وحسب ومال، وتسمى في الجاهلية بالطاهرة كما مر. وعمرها حين التزوج أربعون سنةً على الأشهر.

[وعند] [خمس وعشرين] كما صحّحه النووي في الإيضاح[٢٦٧] وقيل: [خمس وثلاثين سنة] من عمره ﷺ [بنت] من البناء [قريش] بحذف التنوين للوزن أي قبيلة قريش، وقد مرّ أن قريشاً اسم فهر بن مالك وإليه تنسب قريش فمن فوقه. فكنانيٌّ لا قريشي على الأصح، [البيت] أي الكعبة المعظمة، وهو مفعول لقوله بنت. وذلك لأن بابها كان ملصقاً بالأرض، وكانت السيول تدخله فانصدع، وسرق طيب الكعبة فخافوا أن تهدمها السيول، فأمروا بأقوم

(٢٦٦) في نسختي فإن كان.
(٢٦٧) الإيضاح (ص ٢٠٩) مع حاشية ابن حجر الهيثمي.

النجار القبطي أن يبني البيت الشريف، وكان ذلك [عند مشهده] بفتح الميم والهاء، مصدر ميمي، أي عند حضوره ﷺ، وكان ينقل معهم الحجارة للبناء، فلما وصلوا في البناء إلى الموضع الذي يوضع فيه الحجر الأسود اختلفوا وقالت كل قبيلة: نحن أحق بوضعه حتى همّوا بالقتال، ثم اتفقوا على أن يجعلوا أول من يدخل المسجد من باب بني شيبة حاكماً يقضي بينهم، وكان ﷺ أول داخل، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا بقضائه، وكانوا يَدْعونه قبل النبوة الأمين، فأخبروه بذلك فوضع ﷺ رداءه وبسط على الأرض ثم وضع الحجر فيه وأمر رئيس كل قبيلة أن يأخذوا بطرف الرداء ثم يرفعوه ففعلوا ذلك إلى أن بلغوا به موضعه فأخذه ﷺ ووضعه في موضعه بيده الكريمة وإلى ذلك أشار الناظم بقوله [ووضع الحجر] الأسود الذي نزل من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم كما صحّ به الحديث [فيها] أي البيت وتأنيث الضمير باعتبار الكعبة [بيده] الكريمة ﷺ.

فائدة ـ ورد أن أول من بنى الكعبة الملائكة ثم آدم عليه السلام ثم بنوه ثم ابراهيم عليه السلام بعد أن وقعت زمن الطوفان فكان جبريل يعلمه معالمها حتى بناها فجعل عرضها في الأرض اثنين وثلاثين ذراعاً من الحجر الاسود إلى الركن الذي يلي الباب، وجعل عرض ما بين الركنين الشاميين اثنين وعشرين، وما بين الغربي واليماني إحدى وثلاثين، وما بين اليمانيين عشرين وجعل طوله في السماء تسعة أذرع، وجعل الحِجر بكسر الحاء إلى جنبها عريشاً من أراك تقتحمه الغنم، فكان موضعاً لغنم إسماعيل عليه السلام، ولم يسقفها ابراهيم عليه السلام، ثم بناها قصيّ بن كلاب وسقفها بجريد النخل وغيره، ثم العمالقة، ثم جرهم، ثم قريش ورسول الله ﷺ إذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة على الأصح كما مر تقريره، فزادوا في طولها في السماء تسعة أذرع ونقصوا من عرضها في الأرض ستة أذرع وشبراً تركوها في الحجر ورفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من أرادوه، ثم بناها عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما فهدمها وبناها على قواعد ابراهيم عليه السلام

وجعل بابها الشرقي لاصقاً بالأرض، وفتح بابها الغربي، وزاد طولها في السماء تسعة أذرع أخرى فصار سبعة وعشرين، ثم الحجاج ولم يهدم من بناء عبدالله بن الزبير إلا ناصية الحجر وأخرج منها ما كان أدخله ابن الزبير رضي الله عنه وترك بقيتها على بنائه، وهذا البناء هو الموجود اليوم.

قال الحافظ والذي صح من هذه المرات العشر بناء ابراهيم عليه السلام وقريش وابن الزبير رضي الله تعالى عنه والحجاج.

مبعثه ﷺ:

وعنـــدمــا بلــغ أربعينــا بعــث للأنــام أجمعينــا

[وعندما] مصدرية [بلغ] ﷺ [أربعينا] بألف الإطلاق أي أربعين سنة كاملة، كما حكاه الغيطي وغيره. وقيل: وأربعين يوماً، وقيل: وعشرة أيام، وقيل: وشهرين، [بعث] ﷺ يوم الإثنين كما نص عليه حديث مسلم لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، وقيل: لسبع، وقيل: لأربع وعشرين ليلة.

وقال ابن عبدالبر: بعث يوم الإثنين لثمان من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الفيل، وقيل: في أول شهر ربيع الأول، وقيل: في السابع والعشرين من رجب.

قال الحافظ الغيطي وغيره: وجمع بين القول بأنه بعث في شهر ربيع الأول، والقول: بأنه في شهر رمضان، بأن ابتداء نزول جبرائيل بالوحي كان على رأس الأربعين في شهر ربيع الأول مناماً [لئلا يفجئه الملك بصريح النبوة بعثة فلا يتحملها القوى البشرية] وكأن ابتداء الوحي الرؤيا الصالحة الصادقة التي جاءت مثل فلق الصبح كما في صحيح البخاري، ثم نزل عليه الوحي يقظةً بعد ستة أشهر مدة الرؤيا الصادقة في شهر رمضان انتهى. وسكت عن حكاية القول في رجب وحكاه غير واحد [للأنام] أي الخلق [أجمعينا] إما إلى كافة الثقلين فبالإجماع،

وإما إلى سائر الخلق فعند بعض المحققين كما سبق، ويؤيده حديث مسلم [وأرسلت إلى الخلق كافة].

تنبيه : اختلفوا في أن الرسالة والنبوة في زمان واحد (وهو) وقت بلوغه أربعين أو في زمانين، وظاهر كلام الناظم والأكثرين هو الأول.

وروى الإمام أحمد في تأريخه بسند صحيح، ويعقوب بن سفيان عن عامر الشعبي، أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة أو الشيء، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبرائيل فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة [٢٦٨].

وكذا رواه ابن سعد والبيهقي [٢٦٩]، فظهر من أن نبوته ﷺ كانت متقدمة على رسالته، كما صرح به أبو عمرو وغيره، حكاه أبو أمامة ابن النقاش.

قال الغيطي وغيره: وعليه يحمل قول صاحب جامع الأصول: الصحيح عند أهل العلم بالأثر أنه ﷺ بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة انتهى [٢٧٠].

قالوا: فكان في نزول اقرأ أولاً نبوته، وفي نزول سورة المدّثّر بعد فترة الوحي ثلاث سنين، فيما جزم به ابن إسحاق رسالته بالإنزال والتّبْشير والتشريع، وأخذ من مرسل الشعبي الذي رواه الإمام أحمد: أن اجتماع إسرافيل به ﷺ كان في مدة فترة الوحي ليؤنسه ويقويه على تحمل أثقال ما سينزل عليه ﷺ، ولكن أنكر الواقدي ذلك، واعتمده بعضهم، فقال إنه لم يقرن به من الملائكة إلا جبرائيل واستند إلى أحاديث صحيحة وحسنة، تدل على أن إسرافيل لم ينزل عليه في أول النبوة وإنما نزل عليه بعد ذلك في أشياء خاصّة.

---

(٢٦٨) أورده ابن كثير في السيرة (١/ ٣٨٨) عن الإمام أحمد ثم قال: فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي، وانظر الفتح (١/ ٢٧) وهو مرسل والمرسل من أقسام الضعيف.

(٢٦٩) رواه ابن سعد (١/ ١٩١) والبيهقي في الدلائل (١/ ٣٩١).

(٢٧٠) مولد الغيطي (١٤/ ٢).

وقال العلامة الحلبي في سيرته، وردّ بعضهم تأخر الرسالة عن النبوة بمدة فترة الوحي، وهي ثلاثة أعوام، بأنه ورد أنه كان في زمن فترة الوحي، يدعو إلى دين الإسلام، وكيف يدعو من لم يرسل إليه، انتهى.

وفي التحفة السنية: وعلى هذا فنبوته ورسالته في آن واحد، وهو الذي سمعنا تصحيحه من مشايخنا انتهى.

فَجاءَهُ جبريل في غَارِ حِرا قالَ لَهُ اقرَأْ ثُمَّ غَطَّ فَقَرا

(فجاءه) الفاء لتفصيل البعث المجمل قبله، لا للتعقيب، ومثله: الفاء في قولهم: توضأ فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه وغسل قدميه، أي جاء إليه ﷺ بالوحي (جبريل) بكسر الجيم لغة في جبرائيل بوزن عندليب، وهو أمين الوحي وصاحب السر المخصوص بالرسالة إلى الأنبياء والرسل، والقائم بخدمتهم وتربيتهم، ومن ثم قيل: إنه أفضل من جميع الملائكة، وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء بن سائب قال: أول من يحاسب جبرائيل لأنه كان أمين الله على رسله، وقيل: إن اسرافيل أفضل لأنه صاحب سرّ الخلائق أجمعين، إذ اللوح المحفوظ في جهته لا يطلع عليه غيره، وجبرائيل وغيره إنما يتلقون ما فيه عنه، وهو صاحب الصور القائم ملتقماً له ينتظر الساعة والأمر به لينفخ فيه.

قال الشهاب ابن حجر: والخلاف قوي لتعارض الأدلة، (في غار حرا) والإضافة فيه بمعنى في، أي في غار في جبل حراء، في القاموس: وحراء ككتاب وكَعَلى عن عياض يونث ويمنع جبل بمكة فيه غار، تحنث أي تعبد فيه النبي ﷺ انتهى.

فعليه ينبغي أن يقرأ في النظم حَرا بالفتح والقصر حتى لا يحتاج إلى ارتكاب قصر الممدود للضرورة، ولكن في النهاية حِراء بالكسر والمد جبل من جبال مكة معروف، ومنهم من يؤنثه ويصرفه، وكثير من المحدثين يغلطون فيه فيفتحونه ويقصرونه، انتهى.

وكان ﷺ قبل ذلك يختلي ويتعبد فيه لياليَ متعددة ويتزود لها ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق وهو فيه كما في صحيح البخاري (٢٧١) (قال) جبرائيل عليه السلام (له) ﷺ (اقرأ) أي أوجد القراءة من نفسك من غير تعلق بمفعول مخصوص. قال ﷺ: ما أنا بقارىء، فغطّه جبرائيل عليه السلام أي ضغطه وعصره بشدة حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله وقال له: اقرأ فقال: ما أنا بقارىء، فغطه كذلك ثم أرسله وقال له: اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله: ما لم يعلم، كل ذلك في صحيح البخاري وغيره، و(ما) في (ما أنا بقارىء) نافية في الثلاثة وجوّز بعضهم كون الأولى للامتناع من القراءة، لأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، والثانية نافية للأخبار بالواقع، والثالثة استفهامية، أي ما الذي أقرأه؟ وأقره الشهاب ابن حجر كالغيطي وغيره. وغلّطهم الكرماني بأن الباء الزائدة لا تدخل على خبر ما الاستفهامية، واحتج من قال إنها استفهامية بأنه جاء في رواية: ما أقرؤه؟ (٢٧٢)

مِـنْ أَوَّلِ الْقَلَـمِ ثُـمَّ جـاءَ   خَـديجةَ قـالَ لَهـا الإِنْبـاءَ

قال النووي: ولا دلالة فيها لاحتمال كون ما فيها نافية أيضاً (٢٧٣)، وحكمة غطّه ﷺ ثم تكريره: زيادة التأهل إلى لقاء الملك، لما بين البشرية والملكية من التباين، وليستفرغ تمام قوته فيتم توجهه إليه، ويشتد اجتهاده، وإلى ما ذكرنا أشار الناظم رحمه الله بقوله (ثم غُطّ) ﷺ بالبناء للمجهول للعلم بفاعله، أي غطه الملك ثلاث مرات كما مرّ (فقرأه)، بتسهيل الهمزة ألفاً في المرة الثالثة، وسكت الناظم رحمه الله عن التفصيل المذكور لاستشهاده في الأحاديث (من أول) سورة العلق التي فيها ذكر (القلم) إلى قوله: ما لم يعلم كما مرّ، ولو قال من

---

(٢٧١) رواه البخاري (٣) وانظر شرح الفتح عليه.

(٢٧٢) مولد الغيطي (١٤/ ١).

(٢٧٣) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٩٩) فإنه ليس نص كلام النووي.

أول العلق لكان أولى إذ السورة مشهورة بسورة العلق، لا سورة القلم، (ثم جاءا) بألف بعد الهمزة للإطلاق، ومثله ما بعده، أي ثم رجع وفؤاده ﷺ يرجف ويضطرب، قيل: بسبب تلك الضغطة، وفي المواهب: لم تكن الرجفة خوفاً من جبرائيل، فإنه ﷺ أجلّ من ذلك، بل غبطةً بحاله وخوفاً من أن يشتغل بغير الله تعالى عن الله حتى أتى (خديجة) بالتنوين للوزن. فقال: زمّلوني زمّلوني فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، ثم (قال) يا خديجة ما لي وذكر (لها الأنباء) بفتح الهمزة جمع نبأ، أي الأخبار، والتي رآها وعلمها، ثم قال: لقد خشيت على نفسي:

فقالت أبْشِرْ لَسْتَ تُخزى أبَداً ۝ لِما جَمَعْتَ مِن صفات السَّعَدا

(فقالت) له كلاّ (أبشر) أي سُرَّ وافرح من بشر يبشر كعلم يعلم وضرب يضرب بمعنى فرح كما في القاموس والنهاية، فوالله (لست تخزى) مجهول للمخاطب، من الخِزي بمعنى الهلاك (أبداً) ولفظ الحديث: فوالله لا يخزيك الله أبداً، (لما جمعت) وعائد ما الموصولة محذوف أي جمعته (من) بيان لما (صفات السعدا) بالقصر للوزن فعدّت مكارمه ﷺ فقالت: إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ بفتح الكاف، أي ترفع الثقل أو تعين الضعيف المنقطع، والكل من لا يستقل بأمره، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق أي حوادث الحق، لا الباطل، وقد تكلم العلماء في معنى قوله ﷺ: لقد خشيت على نفسي، فقيل معناه خشيت أن لا أقدر على حمل أعباء الرسالة، أي أثقالها، وقيل: خشيت أن يقتلني قومي ولا بِدعَ في ذلك، فإنه بشر يخشى من الأذية كما يخشى البشر، وقال الاسماعيلي: خشيته كانت قبل أن يحصل له العلم الضروري بأن الجائي إليه ملك من عند الله وكان أشق شيء عليه أن يقال إنه: مجنون، فإن قلت: كيف علم ﷺ أن الجائي إليه جبريل لا جنّي، أجيب بأن الله تعالى أظهر على يدي جبرائيل عليه السلام معجزات عرفه ﷺ بها، كما أظهر الله تعالى على

يديه ﷺ معجزات عرفناه بها ، وبأن الله تعالى خلق فيه ﷺ علماً ضرورياً بأنه جبريل من عند الله تعالى ، لا جنّي ولا شيطان ، كما أنه تعالى خلق علماً ضرورياً في جبريل بأن المتكلم معه والمرسل له ربّه تعالى لا غير ، ألا يرى أن النائم كثيراً ما يرى في النوم شخصاً ويقع في قلبه علم ضروري أنه فلان من غير أن يقول له أحد ذلك ، وروي أن جبريل بدا له ﷺ في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال : يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك : أنت رسول الله إلى الإنس والجن فادعهم إلى قول لا إله إلا الله ، ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبرائيل ، ثم أمره أن يتوضأ ، وقام جبرائيل يصلي وأمره أن يصليّ معه ، فعلّمه الوضوء والصلاة ، ثم عرج إلى السماء ورجع ﷺ ، لا يمرّ بحجر ولا شجر ولا مدر إلاّ وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله ، حتى أتى إلى خديجة فأخبرها بذلك ، فغشي عليها من الفرح ، ثم أمرها فتوضأت فصلى بها كما صلى به جبرائيل ، فكان ذلك أول فرضها ركعتين ثم أنه تعالى أقرها كذلك في السفر وأتمها في الحضر (٢٧٤) .

ثُمَّ تَوجّهت بِهِ لَوَرقة أخْبَرَهُ بما رأى فَصَدّقَه

(ثم توجهت) أي انطلقت (به) ﷺ خديجة حتى أتت به (لورقة) ابن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصيّ ، وهو ابن عم خديجة أخ أبيها ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، وهو ممن تنصر في الجاهلية من العرب ، وعرف الإنجيل وكتب [منه] بالعربية ما شاء ، فقالت له خديجة : يا ابن العم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ثم (أخبره) النبي ﷺ : (بما رأى فصدقه) وآمن به ومن ثمة قيل : إنه أول من أسلم من الرجال ، ومن يمنع ذلك يدعي أنه أدرك نبوته ﷺ ، لا رسالته ، لكن جاء في السير وهو في رواية أبي نعيم أنه قال :

---

(٢٧٤) هذا غير صحيح لأنه يخالف الأحاديث الصحيحة التي فيها ذكر الإسراء والمعراج وذلك بعد الإسراء والمعراج بكثير.

أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به عيسى بن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى وأنك نبي مرسل، وأنك تُستأمَرُ بالجهاد [٢٧٥]، وإن أدرك ذلك لأجاهدنّ معك، فهذا تصريح منه بتصديقه برسالته ﷺ، وقال شيخ الإسلام السراج عمر البلقيني: إنه أول من آمَنَ به من الرجال لنزول الوحي في حياته وإيمانه به ﷺ، وتصديقه برسالته، صريحاً كما جاء في الأحاديث وجرى على ذلك الحافظ الزين العراقي، وعدّه جماعة من الأئمة في الصحابة كابن منده وغيره [٢٧٦].

فَقالَ ذا النامُوسَ جا لموسىٰ وَسائِرِ الرُّسُلِ حتى عيسىٰ

(فقال) ورقة: (ذا) أي هذا الذي جاءك هو (الناموس) الذي (جاء) بالقصر للوزن (لموسى، و) إلي (سائر الرسل حتى عيسى) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الناموس صاحب سر الملك الذي يطلعه على باطن أمره ويخصصه بما يستره عن غيره.

وقيل: الناموس صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سرّ الشرّ، والمراد به في الأحاديث جبرائيل عليه السلام، لأن الله تعالى خصّه بالوحي والغيب اللذين لا يطّلع عليهما غيرُه كما في النهاية وقد يقال له: الناموس الأكبر، كما في الحديث: إنه ليأتيه الناموس الأكبر، قيل: أهل الكتاب يسمون جبرائيل بالناموس أيضاً.

ثم تمنى ورقة كونه شاباً يبالغ في نصرته، حين يخرجه ﷺ قومه من مكة، فلم يمكث أن توفي وفتر الوحي فترة، حتى حزن ﷺ، وتكرر ذهابه إلى رؤوس شواهق الجبال ليرمي نفسه فيبرز له جبريل فيقول له: يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه أي قلبه، وتقر نفسه فيرجع.

(٢٧٥) في نسخة القاضي استؤمر بالجهاد وهو خطأ.

(٢٧٦) أنظر ترجمة ورقة بن نوفل من الإصابة.

قال الأئمة: وحكمة الفترة ذهاب الروع الذي وجده، ومزيد تهيجه إلى الاشتياق للعود، وذكر أصحاب السير: أنه ﷺ لما أخبر خديجة رضي الله عنها قالت: أتستطيع أن تخبرني بهذا الذي يأتيك إذا جاءك، قال: نعم، أي أرادت أن تضم المشاهدة وعين اليقين إلى علم اليقين، كما في قضية: أرني كيف تحي الموتى، وإلاّ فهي كانت على يقين فيه ﷺ أنه لا يخزيه الله أبداً كما مرّ، فلما جاء جبرائيل أخبرها به فقالت له ﷺ: اجلس على فخذي الأيسر ففعل، فقالت: أتراه؟ قال: نعم فقالت: فاجلس على الأيمن ففعل فقالت: أتراه؟ قال: نعم، فقالت: فاجلس في حجري، ففعل فقالت: أتراه؟ قال: نعم فألقت خمارها ثم قالت: أتراه؟ قال: لا، قالت: أثبت وأبشر فوالله إنه لملك ما هذا شيطان [٢٧٧].

فوائد: الأولى أخرج الشيخان وغيرهما أنه ﷺ قال: جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري، هبطت فنوديت فنظرت فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً لم أثبت له، فأثبت خديجة فقلت: دثروني دثروني، وصبّوا عليّ ماءاً بارداً فنزلت: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ الآية [٢٧٨]، وهذا كما قال الأئمة بعد نزول: اقرأ، وبعد فترة الوحي، إذ أول ما نزل: اقرأ، على الصحيح، كما صح ذلك عن عائشة رضي الله عنها، وروي عن أبي موسى الأشعري وعبيد بن عمير، قال النووي وهو الصواب الذي عليه جماهير السلف والخلف وأمّا ما روي عن جابر وغيره أن أول ما نزل ﴿يا أيها المدثر﴾ فقال النووي: هو ضعيف بل باطل، وإنما نزلت بعد فترة الوحي، وأما حديث البيهقي: أنه الفاتحة كقول بعض المفسرين، فقال البيهقي: إنه منقطع، فإن صح فأوليته بعد اقرأ، ويا أيها

---

(٢٧٧) وهذا أيضاً من الخرافات التي لا تصح ولا ذكر الشارح من رواه وأين رواه ومن هم رجال إسناده.

(٢٧٨) رواه البخاري (٤٩٢٢) ومسلم (١٦١) وغيرهما. أنظر الصحيح المسند من أسباب النزول، للأخ مقبل بن هادي الوادعي (ص ١٦٦ - ١٦٧).

المدثر (٢٨٠)، وقال النووي بعد نقله لهذا القول: بطلانه أظهر من أن يذكر (٢٧٩).

الثانية ـ أخرج ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري قال: لم ينزل وحي إلاّ بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه، ذكره السيوطي في الإتقان، قلت: وهو غريب وعندي فيه توقف.

الثالثة ـ الوحي الذي كان يأتيه ﷺ على أقسام:

أ ـ الرؤيا الصادقة كما سبق.

ب ـ ما يلقيه الملك في روعه بضم الراء أي قلبه من غير أن يراه، لما صحّ أن روح القدس نفث في روعي؛ لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب (٢٨١).

جـ ـ تمثل الملك له رجلاً فيخاطبه، وصح أنه كان يأتيه في صورة دحية، أي لأنه كان جميلاً جداً، إذا قدم من نحو تجارة خرجت النساء ذوات

---

(٢٧٩) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٩٩ و ٢٠٨).

(٢٨٠) دلائل النبوة (١/ ٤١٣).

(٢٨١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٦ ـ ٢٧) من حديث أبي أمامة وكذلك الطبراني في الكبير (٧٦٩٤) وفي إسناده عفير بن معدان وهو ضعيف.
ورواه البغوي في شرح السنة (٤١١٢) والقضاعي في مسند الشهاب (١١٥١) من حديث عبدالله بن مسعود وفي إسناده من لم يسم.
لكن رواه من حديثه الحاكم (٢/ ٤) والبيهقي (٥/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ و ٢٦٥) وأبو نعيم (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٧ و ٧/ ١٥٨) بإسناد صحح أحدهما على شرط الشيخين والإسناد الآخر على شرط مسلم. ورواه البغوي في شرح السنة (٤١١١ و ٤١١٣) والقضاعي في مسند الشهاب (١١٥٢).
ورواه البزار (١٢٥٣) من حديث حذيفة.
قال شيخنا في تخريج أحاديث فقه السيرة (ص ٩٦) فهذه طرق يقوي بعضها بعضاً، ولهذا ـ والله أعلم ـ جزم ابن القيم في زاد المعاد بنسبة الحديث إليه.

الخدور للنظر إليه، فإن قلت: كيف تشكل جبرائيل مع عظم صورته، وأنّ له ستمائة جناح كما ورد في الحديث في صورة رجل كدحية هل يموت الجسد العظيم، أو يبقى خالياً من الروح (حياً) عند الانتقال إلى صورة ذلك الرجل أجيب: بأن صورته الأصلية باقية على حالها، وصورة الرجل صورة أخرى له، وروحه متعلقة بها، أي كما في الأبدال الذين تتعدد صورهم في الوجود، وروحهم واحدة والتكليف حينئذ يتعلق بأي صورة أرادها الإنسان، وهذا أولى من قول بعضهم: إن انتقال روحه إلى الجسد الثاني كانتقال أرواح الشهداء إلى أجواف طير خضر، وموت الجسد بمفارقة الروح ليس بواجب عقلاً، بل بعادة أجراها الله في بني آدم، فلا يلزم في غيرهم.

قال بعضهم: والأولى في الجواب أن يقال: إن الأجسام النورانية تقبل الانضمام حتى تصغر الصورة جداً كما أن القطن يقبل الانكباس فتصير الصورة الكبيرة منه صغيرة.

د ـ أن يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه حتى أن راحلته لتبرك به في الأرض. وحتى أن جبينه ليتفصد عرقاً، في اليوم الشديد البرد كما في الحديث.

هـ ـ أن يأتيه في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح، ووقع له ذلك مرتين كما في سورة النجم.

و ـ كلام الله تعالى له بلا واسطة، كموسى وكما وقع ليلة المعراج، وإنما اختص موسى عليه السلام بالتكليم لأن ذلك وقع له وهو بالأرض، ونبينا إنما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين أو أدنى، وزاد شيخ الإسلام الولي العراقي: نزول إسرافيل إليه ﷺ بكلمات من الوحي قبل جبرائيل بثلاث سنين، كما صح بطرق عن عامر الشعبي، انتهى.

وقد تقدم الكلام عليه ، وزاد غيره أقساماً أُخر ، وكلها في الحقيقة مدرجة فيما ذكرنا من الأقسام .

[أول من آمن به ﷺ وما كان بعد ذلك]

وَأَوَّلُ الْخَلْــقِ اسْتَجَــابَ لِلنَّبِيِّ خَــدِيجَةُ الصِّــدِيــقُ زَيْــدٌ وَعَلِي

ولما بعث ﷺ [إلى الناس] ، قام يدعو إلى الله عزّ وجلّ ، وتوحيده ، فدخـل في الإسلام رجال ونساء حتى كمل السابقون الأولون (وأول الخلق) الذين دعاهم ﷺ إلى الإسلام (استجاب) لدعوته ﷺ وهو نعت لقوله : أول المرفوع على الابتداء ، كما اشتهر إعرابه في النسخ ، لكونه في قوة النكرة لإضافته إلى الجنس ، فلا يرد أن المعارف لا توصف بالجمل ، ويجوز جعله صلةً لموصول محذوف ، لأن حذفه جائز في الضرورة كما هو مقرّر ، أي وأول الخلق الذي استجاب ، والأولى أن يعرب أول بالنصب ظرفاً لاستجاب والتقدير ، واستجاب (للنبي) بحذف إحدى اليائين للوزن ، وجعل الأخرى رويّ البيت أي أول الخلق على الإطلاق (خديجة) أم المؤمنين ذات المكارم والشيم ، وأما كون بحيرا المذكور أول من آمن به كما سبق فهو قبل البعثة ، وكلامنا فيما بعدها ، وأسلم بعد خديجة من الرجال الأحرار أبو بكر (الصديق) وبعده (زيدٌ) ابن حارثة من الموالي وأسقط الناظم العاطف هنا وفيما قبله للضرورة (و) بعده من الصبيان (علي) بحذف إحدى اليائين للوزن ، وعمره إذ ذاك عشر سنين كما حكاه الطبراني (٢٨٢) ، وقيل : غير ذلك ، وصح إسلامه مع صباه ، لأن الأحكام حينئذ كانت منوطةً بالتمييز ، وبما قررنا تجتمع الأقوال المتباينة في أول من أسلم ، فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن أبا بكر أول الناس إسلاماً لقول حسان فيه :

وأول الناس قـدمـاً صـدق الرسلا ، وروي عـن سلمان وأبي ذر والمقـداد وغيرهم : أن علياً أول من أسلم ، ويشهد له قوله في أبيات :

(٢٨٢) الذي عند الطبراني ثلاثة أقوال ليس منها هذا القول.

سبقتكــم بــالإسلام[٢٨٣] طــرّاً   صبيـاً مــا بلغــت أوان حلمــي

واتفقوا على أن خديجة أول من أسلم مطلقاً، والخلاف إنما هو فيمن بعدها، قال الطبراني: الأولى الجمع بين الروايات كلّها فيقال: أول من أسلم مطلقاً خديجة، ومن الرجال البالغين الأحرار، أبو بكر، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن الصبيان علي، انتهى.

وقال ابن الصلاح: هذا الجمع هو الورع، نعم سبق أن ورقة أول مَن آمن به ﷺ وصدّق برسالته من الرجال كما في حديث [أحاديث] قصة بدء الوحي وغيرها، فلعل الناظم كغيره اعتبر ما بعد استقرار أمره ﷺ ودعائه الناس إلى الإسلام.

وَبَعـدَ ذا تَتـابَعَ الوَحْـيُ وَمَـنْ   يُسْلِـمْ وَالنَّبِـيُّ لا يَـدْ عَلَـنْ
عثمان والزبير وابــن عــوف   طلحـة سعـد آمنـوا مـن خـوف
إذ آمنــوا بـدعـوة الصديــق   كذا ابن مظعـون بـذا الطـريـق

(وبعد ذا) أي بعد إسلام من ذكر (تتابع الوحي) إليه ﷺ (و) تتابع أيضاً (من يسلم) من الناس فأسلم كما في المواهب وغيره، بعد زيد بن حارثة عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله، بدعاء أبي بكر إياهم إلى الإسلام، رضي الله عنهم، فجاء بهم إليه ﷺ حين استجابوا له، فأسلموا، وصلّوا ثم أسلم أبو عُبيدة عامر بن الجراح، وأبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد بعد تسعة أنفس، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون، وأخواه قدامة وعبدالله وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب وغيرهم من الرجال والنساء (والنبي) ﷺ في هذه الحالة (لا يدعو) إلى

(٢٨٣) في نسختي وفي نسخة القاضي إلى الإسلام.

التوحيد والإيمان برسول الله ﷺ [٢٨٤]، وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان لأن أول ما وجب الأنذار والدعاء إلى التوحيد فقط، وقوله: (عَلَن) بفتح العين واللام مصدر عَلَنَ الأمر كنصر وضرب، وفرح وكرُم أي ظهر، نائب عن المفعول المطلق بتأويله باسم الفاعل، أو بحذف المضاف، أي لا يدعو دعاءً ظاهراً أو ذا ظهور، ووقف عليه بالسكون على لغة ربيعة فإنهم يحذفون الألف المبدلة من التنوين في النصب فيقولون: رأيت زيداً مثلاً.

وَهُـــمْ على السِرِّ بدارِ الأرقـــمِ حتى اسْتَجـاب عُمَـــرُ وَأَسلَـــمِ

(وهم) أي النبي ﷺ وأصحابه (على السرّ) في إخفاء أمرهم [٢٨٥]، قال أبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود: ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ أي تكلم جهاراً بالدعوة إلى الله تعالى، فجهر هو وأصحابه.

وفي المواهب قالوا: وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة، وهي المدة التي أخفى ﷺ فيها أمره، إلى أن أمره الله تعالى بإظهاره، فدعى قومه إلى الإسلام، وصدع به كما أمر الله تعالى ولم يبعد منه قومه، ولا ردّوه عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها، وكان ذلك كله في سنة أربع كما قاله العُتَقي، فأجمعوا على عداوته [٢٨٦]، إلاّ من عصمهم الله تعالى منهم، انتهى.

وجزم بذلك العز بن جماعة، والحافظ الغيطي، والشهاب بن حجر، (بدار الأرقم) بن أبي الأرقم المخزومي وهي بيت في أسفل الصفا، كما في رواية (حتى استجاب) لدعوته ﷺ (عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (وأسلم) بسكون الميم فسماه النبي ﷺ بالفاروق، وسببه كما في رواية أبي نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سأله عن سبب تسميته بالفاروق، فذكر: أنه

---

(٢٨٤) في نسخة القاضي إلى توحيد الله تعالى والإيمان برسوله.

(٢٨٥) في نسختي من إخفاء أمرهم.

(٢٨٦) في نسخة القاضي على عداوتهم.

كان بالمسجد يوماً ، فسبّ أبو جهل عدو الله النبي ﷺ ، فأخبروا حمزة بذلك ، فجاء رضي الله عنه آخذاً قوسه فضرب أحد خَدَّيْ أبي جهل فقطعه ، فسالت الدماء فأصلحت بينهما قريش مخافة الفتنة ، والنبي ﷺ مختف بدار الأرقم ، فانطلق حمزة فأسلم ، قال عمر رضي الله عنه ثم بعد ثلاثة أيام أنكرت على شخص أسلم فقال لي : إن ختنك أي سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرة ، وأختك قد أسلما ، فجئت فضربت رأس أختي فسال الدم فقالت لي : أسلمت على رغم أنفك ، فاستحييت حين رأيت الدم ، فجلست وسألتها : أن تريني الكتاب ، فقالت : [لا يمسّه إلاّ المطهّرون] فاغتسلتُ وأخرجت لي صحيفةً فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ الآيات فعظمت في صدري ، فقال لي خباب : وكان أرسله النبي ﷺ ليعلم أختي وزوجها : [إني لأرجو ان يكون الله تعالى خصّك بدعوة نبيّه ﷺ] فـإني سمعته يقول : [اللهم أعزّ الإسلام بعمرو بن هشام أو عمر بن الخطاب] ، فقلت : دُلّني عليه ، فتوشحت سيفي وذهبت إلى النبي ﷺ ، فضربت الباب ، فاستجمع القوم فقال لهم حمزة رضي الله عنه ما لكم؟ قالوا : عمر ، قال : وعمر افتحوا الباب فإن أقبل قبلناه وإن أدبر قتلناه فسمع ذلك النبي ﷺ ، فخرج فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وكبّر أهل البيت تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت : يا رسول الله ألسنا على الحق ، قال : بلى ، قلت : ففيم الاختفاء فخرجنا صفين أنا في أحدهما ، وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد ، فنظرت قريش إليّ وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة ، فسمّاني رسول الله ﷺ : الفاروق يومئذ ، ففرق الله بي بين الحق والباطل (٢٨٧) .

ووردت في كيفية إسلامه روايات أخر متقاربة ، وفي رواية : أنه لما أظهر إسلامه صاروا يضربونه ويضربهم ، حتى أجاره خاله فكشفوا عنه ، ثم ردّ عليه

---

(٢٨٧) رواه أبو نعيم (١/ ٣١٥ - ٣١٧) وفي إسناده إسحاق بن أبي فروة وهو متروك .

جواره، فصار يَضرب ويُضرب حتى أعزّ الله تعالى به الإسلام.

وروى الحاكم وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أسلم عمر نزل جبريل فقال:

يا محمد قد استبشر أهل السماء بإسلام عمر [٢٨٨]. والبزار والحاكم وصححه عنه أيضاً قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم اليوم منا ونزلت: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ [٢٨٩].

والبخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزةً منذ أسلم عمر [٢٩٠]. وابن سعد عنه أيضاً: كان إسلامه فتحاً، وهجرته نصراً، وإمامته رحمة، ولقد رأيتنا ما نستطيع أن نصل إلى البيت حتى أسلم عمر، فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا [٢٩١]. والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند حسن: أول من جهر بالإسلام: عمر بن الخطاب رضي الله عنه [٢٩٢]. وابن سعد عن صهيب قال: لما أسلم عمر، ظهر الإسلام، ودعي إليه علانية، الحديث [٢٩٣].

وَأَصبَحَ الإِسلامُ ظاهِراً وَما — عَلى قُرَيْشٍ مِنْ فَريقٍ أَسلَما

(وأصبح الإسلام ظاهراً) بعد إسلام عمر كما تقرر آنفاً، قال الذهبي: أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، وكان إسلامه بعد أربعين

---

(٢٨٨) رواه ابن ماجه (١٠٣) والحاكم (٣/ ٨٤) وفي إسناده عبدالله بن خراش وهو ضعيف ومنهم من كذبه. وكذلك رواه الطبراني (١١١٠٩) وابن حبان (٢١٨٢).

(٢٨٩) رواه البزار (٢٤٩٥) بهذا اللفظ، ورواه الطبراني (١١٦٥٩) والحاكم (٣/ ٨٥) وصححه ووافقه الذهبي مع أنه ذكر النضر أبو عمر في الميزان وذكر أقوال النقاد في حقه، وهو متروك كما قال الحافظ.

(٢٩٠) رواه البخاري (٣٨٦٣) والطبراني (٨٨٢١ و ٨٨٢٢ و ٨٨٢٣).

(٢٩١) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧٠).

(٢٩٢) رواه الطبراني (١٠٨٩٠).

(٢٩٣) الطبقات (٣/ ٢٦٩).

رجلاً، أو تسعة وثلاثين، أو خمسة وأربعين، وإحدى عشرة امرأة، أو ثلاث وعشرين، ففرح به المسلمون، وظهر الإسلام بمكة عقب إسلامه انتهى. وأقره الشهاب ابن حجر في صواعقه وغيره[٢٩٤]. وفي المواهب: وكان إسلام حمزة فيما قاله العتقي سنة ست من النبوة، فعزّ به ﷺ، وكفّ عنه قريش قليلاً، وذكر أيضاً أن إسلام عمر بعده بثلاثة أيام كما في حديث أبي نعيم وغيره.

قلت: فحصل من كلامهم إشكال لم أر من نبه عليه، وهو أنهم أقرّوا كما مرّ: أن إسلام عمر رضي الله عنه في سنة ست، وقد صرحت الأحاديث السابقة بأن الإسلام لم يظهر إلا بعد إسلامه، وفي بعضها أنه أول من جهر بالإسلام وقد صرحوا أيضاً كما سبق بأنه ﷺ أعلن بالدعوة إلى الإسلام وعاب آلهتهم وسفّه أحلامهم لما أنزلت: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ وأن ذلك كان في سنة أربع من النبوة، إلاّ أن يحمل ظهور الإسلام بعد إيمان عمر رضي الله عنه على نوع من الظهور فتأمله.

وظاهر كلام الناظم تقدم إسلامه على تلك المدة، لأنه فرّع عليه ظهور الإسلام في القوم والعيب على آلهتهم، وتعذيب صحبه، والإذن للهجرة إلى الحبشة مع أنها كانت سنة خمس كما ياتي: ولما أعلن ﷺ بالدعوة كما أمره الله تعالى كان يطوف على الناس في منازلهم ويقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً.

وأبو لهب كان وراءه يحذر الناس منه ويأمرهم بالثبات على دينهم[٢٩٦]، ورموه ﷺ بالسحر والشعر والكهانة والجنون[٢٩٧]، ومنهم من يحثو التراب على

---

(٢٩٤) أنظر الصواعق (ص ٩١).

(٢٩٦) رواه أحمد (٣/ ٤٩٢ و ٤/ ٣٤١) وابنه في زيادات المسند (٣/ ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤/ ٣٤١ - ٣٤٢) والطبراني (٤٥٨٢ و٤٥٨٣ و ٤٥٨٤ و ٤٥٨٥ و ٤٥٨٦ و ٤٥٨٧ و ٤٥٨٨ و ٤٥٨٩ و ٤٥٩٠) والبيهقي في الدلائل (١/ ٤٣٤ - ٤٣٥) من حديث ربيعة الدؤلي.

(٢٩٧) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٢٩٥ - ٢٩٧) ومن طريقه عبد بن حميد في المنتخب =

رأسه [٢٩٨]، ويجعل الدم على بابه [٢٩٩] واشتد الأمر عليهم، ثم تآمرت قريش على من أسلم منهم، يعذبونهم، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: (وما) نافية (على قريش) متعلق بأسلم بعده أي على خوف من قريش (من) زائدة (فريق) اسم ما مرفوع في المعنى و (أسلما) بألف الإطلاق خبر ما، والتقدير: وما فريق أسلم على خوف من قريش أن يفتنوهم ويعذبوهم لكن بقي أن الفريق كالفرقة والفرق، مدلوله جمع أكثر من مدلول الطائفة فينبغي أن يقول: أسلموا إلاّ أن يحمل على الضرورة، أو يؤوّل الفريق بكل واحد منهم، والأحسن أن يجعل ما عطفاً على الإسلام، ومن تعليلية أي وأصبح ما على قريش من الغيظ والعداوة ظاهراً من أجل فريق أسلم، ويحتمل أن تجعل استفهامية للتعظيم فافهم.

فعـــاب آلِهَتَهُــمْ وأنكـــروا وعَذَّبُوا مِنْ صَحْبِهِ مَـن قَـدَّدوا

(فعاب) ﷺ (آلهتهم) أي آلهة قريش، فقال: هي معبودات باطلة لا تضرّ ولا تنفع، فهي إفك من آبائهم فقلدهم السفهاء (وأنكروا) عليه ﷺ ذلك، وأجمعوا على عداوته وبالغوا في إيذائه، ورموه بأنه ساحر مجنون شاعر كاهن إلى غير ذلك.

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما كما في البخاري [بينما النبي ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، فلفّ ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ]

= من المسند وأبو يعلي في مسنده (١٨١٨) وفي إسناده من هو متكلم فيه. وهو من حديث جابر. ورواه أبو نعيم (١/ ٢٩٩ - ٣٠١) من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة فاشتبه الأمر على محقق مسند أبي يعلي فقال من طريق أبي بكر بن أبي شيبة فأخطأ.

(٢٩٨) أنظر سيرة ابن هشام (١/ ٢٥٨) حيث إن ابن أبي معيط قذف سلى جزور على ظهر النبي ﷺ.

(٢٩٩) انظر صحيح البخاري (٣٨٥٤) حيث إن ابن أبي معيط قذف سلى جزور على ظهر النبي ﷺ.

وفي رواية: ثم قال أبو بكر: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربّي الله[٣٠٠]، وقد ذكر العلماء: أن أبا بكر أفضل من مؤمن آل فرعون، فإنه اقتصر في نصره موسى عليه السلام على القول، أما أبو بكر رضي الله عنه فنصر بالقول والفعل، ثم رقّ عليه ﷺ عمه أبو طالب فقام دونه ومنعه منهم ووافقه على ذلك بنو هاشم إلاّ أبا لهب[٣٠١]، وبنو المطلب، ولعزته ﷺ بمن ذكروا كان يطوف على الناس في منازلهم يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وأبو لهب وراءه يقول: يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم.

وفي المواهب قال مقاتل: كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام فاجتمعت قريش عند أبي طالب يريدون بالنبي ﷺ سوءاً فقال أبو طالب: حين تروح الإبل، فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم، وقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتّى أوَسَّدَ بالتُراب دَفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر وَقرّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديناً لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سُبّة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا[٣٠٢]

ولما عجزوا عن أمره ﷺ قالوا له يوماً كما ذكره الحافظ مغلطاي: إن كنت تطلب الشرفَ فينا سودناك علينا، أو الملك ملكناك علينا، وإن كان الذي

(٣٠٠) رواه البخاري (٣٦٧٨ و ٣٨٥٦ و ٤٨١٥) وهذا اللفظ هو في رواية البخاري الأخيرة والحديث من رواية عبدالله بن عمرو بن العاص، وفي كل النسخ عن ابن عمر وهو خطأ ورواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٠ ـ ٥٢).

(٣٠١) في نسختي إلا أبو لهب.

(٣٠٢) أورده البيهقي في الدلائل (١/ ٤٣٧) في غير هذه المناسبة التي ذكرها مقاتل.

يأتيك رِئياً قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طِبك حتى نبرئك. فقال ﷺ لهم: ما بي ما تقولون، ولكن الله تعالى بعثني رسولاً وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم(٣٠٣)، (وعذبوا) أي المشركون من قريش (من صحبه) ﷺ، (مَن قد رووا) عليه.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر رضي الله عنه(٣٠٤): كان أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله وأبو بكر وعمّار وأمّه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله تعالى أي عن القتل بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله تعالى من القتل بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدْراعَ الحديد وصهروهم في الشمس وإن بلالاً هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فأخذوه وأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد وعن مجاهد مثله، وزاد في قصة بلال وجعلوا في عنقه حبلاً ودفعوه إلى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل في عنقه، وقد خرج بلال بقوله أحد أحد حين الإكراه على الكفر مرارة العذاب بحلاوة الإيمان وهو نظير ما وقع له عند الموت إذ قالت امرأته: واحزناه، وهو يقول: واطرباه، غداً ألقى الأحبة محمداً ﷺ وحزبه، فخرج مرارة الموت بحلاوة اللّقاء، ولقد شفى الله تعالى قلب بلال من معذبه اللعين أمية بن خلف، فإن عبدالرحمن بن عوف أسّره يوم بدرٍ وأراد استبقاءه لأخوّة كانت بينهم في الجاهلية، فلما رآه بلال رضي الله عنه معه صاح بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفرة أمية بن خلف، لا نجوت إن

---

(٣٠٣) تقدم حديث جابر في التعليق (٢٩٧).

(٣٠٤) بل رواه عن عبدالله بن مسعود (٣٨٣٢) ورواه أيضاً ابن ماجه (١٥٠) والحاكم (٣/ ٢٥٤) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٦).

نجا، فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه وإلى هذا أشار بعضهم في أبيات حيث قال:

لاقى بلال بلاءً من أمية قد أحله الصبر فيه أكرم النزول

إلى أن قال:

إن قدّ ظهر ولّى الله من دبر قد قدّ قلب عدو الله من قبل

ومرّ أبو جهل اللعين بسمية أم عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها، وأخرج البيهقي عن عروة: أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب، في الله سبعةً منهم الزِنيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة، فعميت فقالوا: ما أعماها إلاّ اللات، فقالت: كلا والله ما هو كذلك فردّ الله تعالى عليها بصرها (٣٠٥).

فَأذِنَ النَّبِيُّ حتى هاجَروا لِلْحَبَشِ ثُمَّ بَعدَ هذا حاصَروا

(فأذن النبي) ﷺ لَمّا كثر المسلمون اشتد عليهم الأذى في الهجرة إلى أرض الحبشة، وضاق عليهم أرض مكة (حتى هاجروا) أي من شاء منهم أن يهاجر إذ لم يهاجر كلهم، وذلك كان في رجب سنة خمس من النبوة كما جزم به في المواهب والعز بن جماعة وغيرهما (للحبش) هو بفتحتين في الأصل كالحبشة أي إلى أرض الحبشة، فسكون الباء للوزن. قال المؤرخون: بلاد الحبشة أرض واسعة جداً وبها كان النجاشي، وبها عدة أقاليم كان لكل إقليم ملك تحت يد سلطانهم الأعظم، وعدة ملوكهم مائة، وجميع بلادهم تزرع على المطر في السنة مرتين، والحر بها شديد، وسواد لونهم لشدة الاحتراق، وأكثر أهلها نصارى وهم من أكثر الناس عدداً وأكثرهم أرضاً، انتهى.

وعدة من هاجر إليها أحد عشر أو اثني عشر رجلاً وفيهم أربع نسوة، وقيل

---

(٣٠٥) أنظر الإصابة ترجمة الزنيرة. ورواه البيهقي (٢/ ٥٧).

خمس، وقيل امرأتان ومنهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه، وأميرهم عثمان بن مظعون، وأنكره الزهري وقال: لم يكن لهم أمير، وكان أول من خرج: عثمان بن عفان رضي الله عنه مع امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأخرج يعقوب بن سفيان عن أنس رضي الله عنه قال:

أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقدمت امرأة فقالت: قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار، فقال ﷺ: إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط [٣٠٦]، ولما استقروا بالحبشة أرسلت قريش عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة بتحف وهدايا إلى النجاشي واسمه أصحِمَة ليردّهم إلى قومهم فأبى ذلك وردّهما خائبين بهديتهما ثم أقاموا عنده في أحسن جوار [٣٠٧]، وبلغهم أن قريشاً أسلمت وكان ذلك الخبر كذباً، فرجعوا إلى مكة ودخلوها إلاّ ابن مسعود رضي الله عنه، فإنه رجع إلى أرض الحبشة ولم يدخل مكة.

قال العز بن جماعة: وكان خروجهم إلى الحبشة في رجب في السنة الخامسة من النبوة، وقدومهم مكة في شوال في هذه السنة، فلقوا من قريش شدة، وأذىً عظيماً، فأذن الله لهم في الهجرة إلى الحبشة مرة ثانية، فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون [رجلاً] إن كان فيهم عمار بن ياسر، وثمان عشرة امرأة، وأقاموا عند النجاشي على أحسن حال، وبلغ ذلك قريشاً بمكة فكبر عليهم وغضبوا على رسول الله ﷺ فَحَصروه، انتهى.

وظاهر قول الناظم (ثم بعد هذا) أي بعد الإذن للهجرة إلى الحبشة سواء كانت الأولى أم الثانية إن المحاصرة كانت بعد الهجرتين إليها كما جزم به العز

---

(٣٠٦) أنظر المعرفة والتاريخ للفسوي (٣/ ٢٥٥) ورواه الطبراني (١٤٣) والبيهقي (٢/ ٦٦).

(٣٠٧) رواه أحمد (٤٤٠٠) عن عبدالله بن مسعود بإسناد حسن كما قال الحافظ في الفتح (٧/ ١٨٩) ورواه أبو داود الطيالسي (٢٣٢٥) وسقط سنده من المطبوعة ومن طريقه رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٦٦ - ٦٧) وقال ابن كثير في السيرة (٢/ ١١) هذا إسناد جيد قوي وسياق حسن.

ابن جماعة آنفاً خلاف ما في المواهب، وتبعه الشهاب بن حجر من أن الهجرة الثانية الى الحبشة كقدومهم من الحبشة الى مكة لسماعهم خبر إسلام قريش لما قرأ عليهم سورة النجم، وسجد المشركون معه كانت في مدة المحاصرة (حاصروا) أي المشركون من قريش، أي ضيّقوا وحبسوا.

هـاشِمُهُـم مَـعَ بَني المُطَّلِـبِ   في الشِعْبِ إذ سِتٌ مَضَيْنَ لِلنَّبي

(هاشمهم) يعني بني هاشم الذين هم قبيلة من قريش ومن ثمة أضافهم إليهم (مع بني المطلب) وقد تقدم أن هاشماً والمطلب أخوان يلقبان بالبدرين لجمالهما، ولهما أخوان آخران وهما نوفل وعبد شمس، والأربعة أولاد عبد مناف، وآله ﷺ: الذين حرّمت عليهم الزكاة، بنو الهاشم وبنـو المطلب لا بنو نوفل وعبد شمس (في الشعب) بكسر الشين أي شعب أبي طالب وهو المُحَصَّب ويسمى بخيف بني كنانة أيضاً وهو الشعب الذي مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنى كما في النهاية، وفي القاموس: الشعب بالكسر الطريق في الجبل ومسيل الماء في بطن الأرض (إذ) ظرف لحاصروا (ست) أي ست سنين كاملة، وفي المواهب وغيره: كان ابتداء الحصار هلال المحرم سنة سبع من النبوة (مضين للنبي ﷺ من نبوته)، وخلاصة قصة المحاصرة:

أن قريشاً لما رأوا عزة النبي ﷺ بأصحابه وفشا الإسلام في القبائل، ورأوا عزّة أصحابه أيضاً بالحبشة، أجمعوا على أن يقتلوه ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب، فأتوا إليه بعمادة بن الوليد، كان أعزّ فتىً فيهم وقالوا له: أعطنا ابنك نقتله، يعنون النبي ﷺ، وخذ هذا الولد مكانه، فأبى، وقال: لا أعطيكم ابني تقتلونه وآخذ ابنكم أكفله لكم، ثم جمع بني هاشم وبني المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله، فأجابوه لذلك حتى كفارهم حمية على عادة الجاهلية وانتصاراً للرحم فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا واتفق رأيهم على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا

إليهم ولا ينكحهم، ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلت يده لمبالغته في قطيعة الرّحم، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع، فانحاز بنـو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه إلاّ أبا لهب فكان مع قريش.

فَمَكَثُـوا ثَلاثَـةً وَفُـرِجُـوا بَعـدَ النُّبُـوَّةِ بِتِسْعٍ خَـرَجُـوا

(فمكثوا) في الحصار (ثلاثة) من الأعوام وقيل سنتين حتى جهدوا، وكان لا يصل إليهم شيء إلاّ سرّاً حتى كانت قريش يسمعون صياح صغارهم من شدة الجوع فلا يرفعون لهم بشيء من الطعام كل ذلك مبالغةً في قطيعة رحمهم وقرابتهم بل قصدوا أنهم: لو ماتوا عن آخرهم بذلك الشعب ما أغاثوهم بكسرة خبز ولا بشربة ماء فلما مضت تلك المدة سعى جماعة في نقض تلك الصحيفة، رأسهم هشام بن الحارث لعزّتِهِ بعمه لأمه الذي هو أخو عبدالمطلب، فوافقه في ذلك زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي وأبو البحتري وزمعة بن الأسود، فاجتمعوا بالحجون، وأجمعوا على نقضها فقال لهم زهير: وأنا أول من يتكلم، فلما أصبحوا غدا زهير بحلة، فطاف سبعاً ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة إنّا نأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم فيما ترون، والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة الظالمة القاطعة للرحم فقال له أبو جهل: كذبت والله لا تشقّ فقال زمعة أنت والله أكذبُ ما رضينا كتابتها حيث كتبت، فقال أبو البحتري: صدق زمعة وما نرضى ما كتبت فيها، ولا نقرّ به، وقال المطعم صدقتما وكذب من قال: غير ذلك نبرأ إلى الله تعالى منها، فقال أبو جهل هذا أمر مكرتموه بليل، وأبو طالب جالس في ذلك المجلس، فأخبرهم رسول الله ﷺ بعد أن أطلعه الله عليها بأن الأرضة أكلت جميع ما فيها إلاّ باسمك اللهم، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقّها فوجدوها كما أخبر به ﷺ (وفرجوا) بالبناء للمفعول مع

تخفيف الراء أو تشديدها من فرج الله الغمّ أي كشفه (بعد النبوة) ظرف لخرجوا الآتي (بتسع) متعلق بقوله (خرجوا) والباء للمصاحبة كقوله تعالى: إهبط بسلام أي معه أو للمجاوزة كما في قوله تعالى: يوم تشقق السماء بالغمام، والمعنى خرجوا من الحصر [٣٠٨] متجاوزين من تسع سنين بعد النبوة، وإنما لم يجعل الباء للظرفية لما في المواهب وغيره: أن الخروج من الحصار في أول السنة العاشرة انتهى.

ومن قال يكون المكث فيه سنتين قال بالخروج في أول سنة تسع، وجملة خرجوا تفسير لقوله فرجوا أو بدل منه.

موت عمّه أبي طالب وخديجة رضي الله عنها:

وَبَعْدَ سِتِ اشْهُرٍ مَاتَ أبو طالِبِ العَمُّ الشَّفوقُ الأقربُ

(وبعد ست أشهر) وفي المواهب: بعد ثمانية أشهر وعشرة أيام (مات أبو طالب) وله سبع وثمانون سنة، وقيل مات في النصف من شوال في السنة العاشرة، ومات على الشرك بعد أن قرب من الإسلام، وإنما تركه خوف العار، كما اعترف هو بذلك في الأبيات السابقة وغيرها وفيه قول إنه مات مسلماً ويوافقه رواية ضعيفة عن العباس رضي الله عنه أنه أسرّ إليه بالإسلام عند موته [٣٠٩]، وقوله ﷺ في حديث البيهقي في قصة الاستسقاء: لله درّ أبي طالب لو كان حياً لقرّت عيناه [٣١٠]، يؤيد ذلك، لكن صرائح الأحاديث الصحيحة ترد ذلك. منها: ما صح عن العباس أنه قال لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب كان يحوطك

(٣٠٨) في نسخة القاضي من الحصار.

(٣٠٩) هي رواية غير صحيحة وفي صحيح البخاري سؤال العباس رسول الله عن حاله وفي قصة إسلام أبي قحافة ما يكذب ذلك، فانظر ترجمة أبي طالب في الإصابة والفتح (٧/ ١٩٤).

(٣٠١) في إسناده مسلم بن كيسان الملائي ضعيف كما قال الحافظ وسعيد بن خيثم الهلالي قال الحافظ صدوق رمي بالتشيع له أغاليط، فهو حديث ضعيف.

وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك. قال: وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح منها وقوله: (العم الشفوق) بيان لقوله: أبو طالب ووفود شفقته معه ﷺ معلوم من الأحاديث السابقة وغيرها (الأقرب) لأنه كان شقيق أبيه.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ ثلاثَةٍ مَضَتْ زوجَتُهُ خَدِيجَة تُوُفِّيَتْ

(وبعد أيام ثلاثة مضت) بعد موت أبي طالب، وقيل: بعد خمسة أيام (زوجته خديجة) بالتنوين للوزن (توفيت) رضي الله عنها وقيل: ولأجل تلك المصيبة كان ﷺ يسمي ذلك العام [عام الحزن][٣١١] وكان مدة إقامتها معه ﷺ: خمساً وعشرين سنة على الأصح، ثم بعد أيام تزوّج سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

[خروجه ﷺ للطائف مستأمناً وإسلام الجن]

وظهر الضعف فراح الطائفا فلم يجدهم يؤمنون خائفا

(وظهر الضعف) بفتح الضاد المعجمة وضمها ضد القوة، فنالت قريش منه ﷺ بعد موت أبي طالب وخديجة ما لم تكن تناله في حياة أبي طالب من الأذى (فراح) أي ذهب ماشياً أواخر شوال بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة رضي الله عنها على ما في المواهب ومعه ﷺ مولاه زيد (الطائفا) بألف الإطلاق أي أهلها وهو مفعول به لراح، يقال: رحت القوم ورحت إليهم أي ذهبت إليهم رواحاً، والطائف بلدة معروفة في الحجاز كثيرة الفواكه وهي على جبل غزوان، وهو أبرد مكان في الحجاز، وربما جمد الماء فيها، وهي بلدة طيبة الهواء (فلم يجدهم) أي أهل الطائف (يؤمنون) في محل النصب على أنه مفعول ثانٍ

(٣١١) ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية وقال: فيما ذكره صاعد وقال الزرقاني في شرحه (١/ ٢٤٤) هو صاعد بن عبيد العجلي، وهو لين الحديث كما قاله الحافظ إذا لم يتابع.
وهذا يشعر بأنه ذكره معلقاً فيكون معضلاً فيكون ضعيفاً لا يصح. وانظر «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة (ص ١٨ - ١٩) لشيخنا الألباني.

ليجدهم، أي فلم يجدهم يجيرون ويجعلون ذا أمن (خائفاً) دخل في جوارهم وأمانهم إشارة إلى سوء أدبهم مع رسول الله ﷺ، فإنه خرج من مكة لما ناله من قريش، فلما وصل إلى الطائف آذوه أشدّ الإيذاء.

أقامَ شهراً ثُمَّ عاد مأمنه وَعُمُرُهُ إحدى وخمسونَ سَنَة

(أقام) ﷺ بالطائف (شهراً) يدعو أشراف ثقيف إلى الله عز وجل فلم يجيبوه بل أغرَوْا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه [٣١٢]، قال موسى بن عقبة: رجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نَعْلاهُ بالدماء، زاد غيره وكان ﷺ إذا أذلقته الحجارة، قعد إلى الأرض فيأخذونه بعضده، فإذا مشى رجموه، وهم يضحكون، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاج، وفي البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم أشدّ من يوم أحد قال: لقد لقيت من قومك، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل أي بتحتيين بينهما لام مكسورة، كان من أكابر أهل الطائف من ثقيف بن عبد كُلال أي بضم الكاف وتخفيف اللام، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلاّ وأنا بقرن الثعالب، وهو ميقات أهل نجد المشهور، ويقال أيضاً: قرن المنازل، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك، وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت. فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين قال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً [٣١٣]، وما ذكره الناظم كغيره من أنه ﷺ

(٣١٢) في نسخة القاضي يسبونهم.

(٣١٣) رواه البخاري (٣٢٣١ و ٣٧٨٩) ومسلم (١٧٩٥) والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٦٠ - ١٦١).

أقام فيهم شهراً ينافي ما قاله ابن سعد: وكانت مدة إقامته ﷺ بالطائف عشرة أيام [٣١٤] وأجيب بإمكان الجمع بينهما بأن العشرة في نفس الطائف والعشرين فيما حواليها وطريقها (ثم عاد) ورجع من الطائف حزيناً ودخل (مأمنه) أي مكة في جوار المطعم بن عدي بعد أن أرسل ﷺ إلى الأخنس فقال له: هل أنت مجيري فأبى وإلى سهيل بن عمرو فأبى، وإلى المطعم فقال نعم (وعمره) ﷺ حين العود (إحدى وخمسون سنة) والأصح كما في المواهب وغيره وجزم به العز بن جماعة، لأن رجوعه من الطائف في آخر شوال سنة عشر من النبوة فلم يبلغ إحدى وخمسين (وفي طريقه) ﷺ وقت انصرافه من الطائف مرّ بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائط لهما، فلما رأيا ما لقي ﷺ تحركت له رحمهما فبعثا له ﷺ مع غلام نصراني لهما قطف عنب فلما وضع يده ﷺ في القطف قال: بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر النصراني إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له ﷺ: من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ فقال: نصراني من نينون، فقال ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى، فقال وما يدريك؟ قال: ذاك أخي وهو نبي مثلي، فأكبّ النصراني على يديه ورأسه ورجليه يقبّلها، وأسلم [٣١٥].

وفي طَـريقِـهِ أتـى في نَخْلَـة جِـنُّ نصيبين وَأسْلَمـوا لَـه

(وفي طريقه) أيضاً (أتى) إليه ﷺ (في) وادي (نخلة) المشهور اليوم بالمضيق (جن) فاعل أتى، وعددهم سبعة، من جنّ (نصيبين مدينة بالشام كما في المواهب وغيره. ذكر المؤرخون أن نصيبين أربع مواضع **الأول** مدينة عامرة بقرب سنجار وهي قاعدة ديار ربيعة، وفي شمالها جبل الجودي، مستقر السفينة وهي كثيرة المياه والبساتين مسورة، ذكر أن لها ولقراها أربعين ألف بستان لكنها

(٣١٤) رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢١٢) عن الواقدي وهو متروك.

(٣١٥) أنظر الإصابة (٤/ ٤٦٦ - ٤٦٨) ترجمة عداس، وهو اسم هذا النصراني.

وخمة لكثرة مياهها ومن خواصها: أنها لا تقبل العدل البتة، بل سوق الظلم بها قائمة، ولو كان واليها كسرى أنو شيروان ويضرب بِعَقارِبِها المثل وكذا بلصوصها.

والثاني مدينة على شاطىء الفرات كبيرة تعرف بنصيبين الروم بينها وبين آمد أربعة أيام.

والثالث والرابع قريتان من قرى حلب الشام انتهى.

فقام ﷺ يصلي في جوف الليل فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن (وأسلموا له) وفي الصحيح أن الذي أعلمه ﷺ بالجن ليلة الجن شجرة[٣١٦] وأنهم سألوه الزاد فقال ﷺ: كلّ عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدكم أوفر ما يكون لحماً،، وكلّ بعر علف لدوابكم وفي هذا ردّ على من زعم: أن الجن لا يأكل ولا يشرب، وما ذكره الناظم كغيره من أن استماع الجن لقراءته حين انصرف من الطائف وبات بنخلة هو رواية ابن إسحاق، واعترض عليه الحافظ ابن كثير: بأن الأحاديث تقتضي أن ذلك كان قبل ذلك، وأجيب بأنه لا مانع من تكرار استماعهم ولو في سورة واحدة.

المعراج وفرض الصلاة

إعلم أن قصة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات وأظهر البراهين والبينات وأقوى الحجج وأعظم الآيات ومن ثمة قال بعض المفسرين: إنها أفضل من ليلة القدر بالنسبة له ﷺ لأنه أعطي في ليلة الإسراء ما لا يحيط به الحدود ولذا كان الإسراء بالجسم في اليقظة من خصائص نبيّنا ﷺ قال ابن حجر: وخالف في كونه بالجسم وكونه في اليقظة من لا يعتد بخلافه وزعم تعدد الإسراء لتباين

(٣١٦) رواه البخاري (٣٨٥٩) ومسلم (٤٥٠) وفي مسند إسحاق بن راهوية سمرة.

الروايات فيه تبايناً منتشراً وعدم إمكان الجمع بينهما إلاّ بدعوى التعدد بالجسم تارةً والروح أخرى مردودٌ والأصح أنه إسراء واحد بالجسم والروح في اليقظة وأنّ ما خالف الجادة من الروايات(٣١٧) إن أمكن تأويله تعيّن وإلا حكم عليه بأنه وهم في الراوي كرواية إن الإسراء قبل البعثة فإن الإجماع على أنه بعدها على أنها أوّلت انتهى.

وفي الشفاء ذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم على أنّ رؤيا الأنبياء حق ووحي وإلى هذا ذهب معاوية وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهو الحق وعليه تدلّ الآية وصحيح الأخبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل(٣١٨) إلاّ عند الاستحالة ولا استحالة في الإسراء بجسده وحال يقظته كيف ولو كان مناماً لما كانت فيه معجزة ولما استبعده الكفّار ولا كذّبوه ولا ارتدّ به ضعفاء مَن أسلم لأن مثله من المنامات لا ينكر فلم يكن ذلك منهم إلا لعلمهم بأن خبره إنما كان عن جسمه وفي حال يقظته انتهى.

وقال التفتازاني في كتبه الكلامية: دلّ الكتاب على معراجه ﷺ إلى المسجد الأقصى وإجماع القرن الثاني على أنه في اليقظة وبالجسد والخبر المستفيض على كونه إلى السماء وخبر الواحد إلى الجنة أو العرش أو طرف العالم انتهى.

وَبَعْدَ تِسْعِ أَشْهُرٍ أُسْرِي بِه ... لِلْمَسْجِدِ الأقصى وكَانَ مُنْتَبِهْ

(وبعد تسع أشهر) مع إحدى وخمسين سنة المذكورة كما في مختصر ابن سيّد الناس أو بعد اثنتين وخمسين سنة كما جزم به العز بن جماعة ورجّحه الغيطي وغيره فعليه يكون الإسراء قبل الهجرة بسنة، وبالغ ابن حزم فادّعى فيه الإجماع

(٣١٧) في نسختي ونسخة القاضي من الراوي.

(٣١٨) في نسخة القاضي إلى تأويل.

وقيل كان قبلها بسنة وخمسة أشهر حكاه غير واحد عن السّديّ وقيل بسنة وثلاثة أشهر وقيل قبلها بثلاث سنين ذكره ابن الأثير كما في المواهب وأمّا ما حكاه القاضي عياض عن الزهري من أن الإسراء كان بعد المبعث بخمس سنين ورجّحه النووي كالقرطبي محتجاً بأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه الخمس ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث وإما بخمس سنين وإن فرض الصلاة كانت ليلة الإسراء فردّوه بأن الصحيح أن موتها بعد المبعث بعشر سنين في رمضان وذلك قبل أن تفرض الصلوات كما في حديث عائشة ويلزم منه أن يكون موتها قبل الإسراء وهو المعتمد وأما تردّده في سنة وفاتها فيردّه جزم عائشة رضي الله تعالى عنها بأنها ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني[٣١٩] (أسري) بالبناء للمجهول للعلم بفاعله (به) نائب الفاعل يقال: سرى وأسرى بمعنىً، والسرى السير بالليل أي أسرى به الله سبحانه وتعالى ليلاً وهي ليلة الإثنين أو الجمعة أو السبت من شهر رمضان أو شوال أو رجب وبه جزم النووي في الروضة، أو ذي الحجة أو ثالث عشر ربيع الآخر وجرى عليه النووي في فتاواه، أو ومن شهر ربيع الأول وجرى عليه في شرح مسلم، والحكمة في كونه ليلاً هي: أنه محل خلوة الحبيبين عادة وليحصل فضيلة الإيمان بالغيب للمؤمن والافتتان للكافر، من المسجد الحرام بعد أن جاءه جبريل عليه السلام بالحطيم، أو شعب أبي طالب أو بيته أو بيت أم هانىء، روايات جمع بينها بأنه بات في بيت أم هانى، وبيتها عند شعب أبي طالب وأضيف إليه لأنه كان يسكنه[٣٢٠] ولم يأته جبريل من باب البيت بل انفرج له سقف البيت حين انصبّ من السماء انصبابةً واحدةً بإزاء محله الذي هو فيه مبالغة في المفاجأة وتنبيها على شدة الطلب فأخرجه ﷺ جبريل من البيت إلى المسجد فاضطجع لأثر نعاس كان به ثم أخذه فأخرجه ﷺ من المسجد فأركبه البراق

(٣١٩) أنظر الفتح (٧/ ٢٠٣).

(٣٢٠) أنظر فتح الباري (٧/ ٢٠٤).

معه حتى وصلا (للمسجد الأقصى) أي البيت المقدس سمّي أقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام أو لأنه لم يكن وراءه مسجد يُعْبَدُ فيه، وقيل: لبعده من الأقذار والخبائث.

وروي أن عبدالله بن سلام قال للنبيّ ﷺ لما تلى قوله تعالى ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ لم سمّاه الأقصى؟ قال: لأنه وسط الدنيا لا أزيد ولا أنقص. قال: صدقت (٣٢١). وقد جمع له صاحب كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد، سبعة عشر اسماً وكثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمّى، منها: المسجد الأقصى، ومسجد ايلياء ككبرياء وقد يقصر، والبيت المقدس على وزن اسم المفعول، من الإفعال أو التفعيل، وبفتح الميم وسكون القاف، وبيت القُدُس بضمتين، أو ضم فسكون، والقدس الطهارة والتطهير سمّي به لأنه مكان يُتَطَهَّر فيه من الذنوب (٣٢٢).

وفضائله لا تحصر، وأكثر من أن تسطر ويكفي فيها آية: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ لأنه إذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة، ولحيازته ﷺ فضل البيتين وشرفهما جعل تعالى وتقدس طريقه ﷺ في العروج إلى السماء عليه وتبييناً لفضائله، وإلاّ فالطريق من البيت الحرام إلى السماء كالطريق من البيت المقدس إليها (وكان) ﷺ حين أسري به (مُنتَبِه) بالوقف بالسكون على لغة ربيعة كما تقدم، أي مستيقظاً، ردّ على من زعم أن الإسراء بالروح كما مرّ تقريره.

على البُـراقِ ثُـمَّ لِلسَّبْـعِ العُلَـى   ثُـمَّ إلى سِـدْرَةِ أعْلَى المنتهـى

(على البراق) خبر بعد خبر لكان أو حال أي مستوياً ومستقراً على البراق،

---

(٣٢١) لا أظنه يصح.

(٣٢٢) أنظر كتاب إعلام الساجد (ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩).

وهو كما في حديث مسلم: دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض طويل يضع حظوه عند أقصى طرفه [٣٢٣]، وسمّي بذلك من البرق لسرعة سيره، أو من البريق أو من قولهم شاة برقاء إذا كان في خلال بياضها سواد [٣٢٤]. ومعنى يضع حظوه الخ أنه يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره أي يقطع ما انتهى إليه بصره في خطوة واحدة.

وفي رواية صحيحة أنه أتي به مُسرَّجاً ملجماً فاستصعب عليه فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال: فارفضّ عرقاً [٣٢٥]. وظاهرها كصريح رواية النسائي وابن مردويه أن الأنبياء كانوا يركبونها قبله فلعل من نفى ركوب غيره ﷺ عليها لم يطلع عليه وإنما استصعب عليه لبعد عهده بالأنبياء لطول الفترة أو ليظهر له جبريل منزلته ﷺ [٣٢٦]. وقيل: للفرح والفخر بركوبه ﷺ وصحّ أن جبريل حمله على البراق رديفاً له ورواه الإمام أحمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا إلى بيت المقدس [٣٢٧]. وصح أنهما لما مرّا بيثرب أمره بالنزول وبالصلاة فيها وكذلك لما مرّا بمدين عند شجرة موسى عليه السلام وببيت اللّحم الذي ولد فيه عيسى عليه السلام [٣٢٨]، وأراه

---

(٣٢٣) رواه مسلم (١٦٢).

(٣٢٤) أنظر فتح الباري (٧/ ٢٠٦).

(٣٢٥) رواه أحمد (٣/ ١٦٤) والترمذي (٥١٣٨) والطبري في تفسيره (١٥/ ١٥) وابن حبان في صحيحه (٤٦) وهو حديث صحيح، وفي نسخة القاضي أكرم عند الله وهو خطأ.

(٣٢٦) أنظر فتح الباري (٧/ ٢٠٧).

(٣٢٧) رواه أحمد (٥/ ٣٩٢ و ٣٩٤) من حديث حذيفة وفيه من هو متكلم فيه وانظر الفتح (٧/ ٢٠٧) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٤٦٠ - ٤٦١ و ١٤/ ٣٠٦ - ٣٠٧).

(٣٢٨) رواه الطبراني في الكبير (٧١٤٢) ومسند الشاميين (١٨٩٤) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٠٧ - ١٠٩) وقال: هذا إسناد صحيح، وروى ذلك مفرقاً في أحدايث غيره، ونحن نذكر من ذلك إن شاء الله تعالى ما حضرنا، ثم ساق أحاديث كثيرة في الإسراء كالشاهد لهذا. =

عجائب أخرى مذكورة في أحاديث الإسراء فلما وصلا بيت المقدس نزلا وربطه ﷺ كما في رواية[٣٢٩]، أو جبريل كما في أخرى[٣٣٠]، وجمع بأنهما ربطاه معاً بالحلقة التي كانت الأنبياء تربطه بها ثم دخل المسجد وبعث الله تعالى له آدم عليه السلام فمن دونه من الأنبياء كما في حديث البيهقي عن أنس[٣٣١] وحديث البزار والطبراني ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقاموا صفوفاً فأخذ جبريل بيده ﷺ فقدّمه فصلى بهم[٣٣٢]. وفي حديث ما يدلّ على أنه ﷺ صلى بهم في بيت المقدس من بعد العروج أيضاً، وتلك الصلاة قيل: هي صلاة الصبح، أي بناء على أنه صلى فيه بعد العروج، وقيل: العشاء بناء على أنه صلى فيه قبله. وقال صاحب السيرة الشامية: وهذان القولان ساقطان سواء قلنا: صلى بهم قبل العروج

= قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٤) وقد روي هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الإمام أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي، ولا شك أن هذا الحديث أعني الحديث المروي عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي، ومنها ما هو منكر كالصلاة في بيت لحم وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم.

ورواه البزار (٥٣) وفي إسناده إسحاق بن إبراهيم وهو متكلم فيه ومنهم من أطلق عليه الكذب.

(٣٢٩) رواه أحمد (٣/ ١٤٨) ومسلم (١٦٢).

(٣٣٠) رواه الترمذي (٥١٣٩) وابن حبان (٤٧) والحاكم (٢/٣٦٠) وصححه ووافقه الذهبي من حديث بريدة. وفيه فخرق جبريل الصخرة بإصبعيه وشد بها البراق. وورد في أحاديث أخرى.

(٣٣١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٦) والبيهقي في الدلائل (٢/ ١١٣ - ١١٤) من حديث أنس. قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥) في بعض ألفاظه نكارة وغرابة. ورواه النسائي (١/ ٢٢١ - ٢٢٣) من طريق آخر عن أنس وبلفظ آخر.

قال ابن كثير (٣/ ٥) وفيها غرابة ونكارة جداً.

(٣٣٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٦ - ٧) من حديث أنس أيضاً.

قال ابن كثير (٣/ ٧) هذا سياق فيه غرائب عجيبة.

وانظر فتح الباري (٧/ ٢٠٨ - ٢٠٩).

أم بعده، لأن أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ من الخمس مطلقاً: الظهر بمكة بالاتفاق، فالظاهر أنها كانت من النفل المطلق، أو من المفروضة عليه بالعشي قبل الإسراء، وفي فتاوى النووي ما يؤيد الثاني، انتهى.

(ثم) لما فرغ من إمامته لهم عرج به (للسبع) من السماوات (العلى) إما على البراق أيضاً كما هو ظاهر رواية البخاري، وإما بأن نصب له المعراج كما اشتهر وصحت به روايات من أنه استمر على البراق إلى بيت المقدس، ثم نصب له المعراج فارتقى فيه (٣٣٣)، وكلام الناظم يحتمل الأمرين وحمله على الثاني أولى، والمعراج مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب فوضع له ﷺ، وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة إعلاماً برفعة قدره ﷺ (٣٣٤)، ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا إلى باب السماء الدنيا فاستفتحه جبريل، فقيل له من أنت؟ قال جبريل: قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ قيل: أوَقَدْ بُعث إليه قال: وقد بعث إليه (٣٣٥)، ففتح له وهكذا إلى السماء السابعة، ورأى في السماء الدنيا (٣٣٦) آدم عليه السلام، وعن يمينه أرواح المؤمنين فإذا نظر إليهم ضحك أي لأنه يكشف له عنهم وهم في الجنة التي هي مستقر أرواحهم، وعن يساره أرواح بنيه الكفار فإذا نظر إليهم بكى أي لكونه يكشف له أنهم في النار (٣٣٧). وفي الثانية يحي وعيسى عليهما السلام وفي الثالثة يوسف، وفي حديث البيهقي وغيره، فإذا أنا برجل أي يوسف أحسن ما خلق الله قد فُضِّل الناسَ بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب (٣٣٨)، والمراد غير نبيّنا ﷺ لحديث الترمذي [ما بعث الله نبيّاً إلاّ

---

(٣٣٣) أنظر فتح الباري (٧/ ٢٠٨).

(٣٣٤) أنظر الفتح حيث ذكر ذلك عن كتاب شرف المصطفى لأبي سعيد (٧/ ٢٠٨).

(٣٣٥) في نسخة القاضي قد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه.

(٣٣٦) في نسخة القاضي في السماء الأولى.

(٣٣٧) رواه البخاري (٣٤٩ و ١٦٣٦ و ٣٣٤٢) من حديث أبي ذر.

(٣٣٨) رواه البيهقي (٢/ ١٣٦ - ١٤٢) ورواه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١١ - ١٤) بلفظ =

حَسَنُ الوجه حسنُ الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً][٣٣٩].

وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذه أرجح الرّوايات الصحيحة في بيان منازلهم، على أنه جُمِعَ بين الروايات المختلفة في ذلك: بأنه رآهم في الصعود على كيفيات، وفي الهبوط على كيفيات، وحكمة تخصيص هؤلاء باللقاء كما في المواهب وغيره الإشارة إلى ما سيقع له ﷺ مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم.

فهجرته من مكة إلى المدينة والعود إليها، نظير إخراج آدم عليه السلام من الجنة مع العود إليها، بجامع ما لكل منهما من المشقة وكراهة فراق الوطن ومعادات اليهود له أوائل الهجرة وإرادتهم قتله كمعاداتهم لعيسى ويحيى عليهما السلام، ومعادات أهله له من قريش بنصب الحرب وإرادة الإهلاك كمعادات إخوة يوسف له، ورفيع منزلته عند الله تعالى كرفيع منزلة ادريس بل أعلى،

آخر. من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه أبو هارون العبدي وأسماه عمارة بن جوين وهو متروك ومنهم من كذبه.

ورواه البزار (٥٥) من حديث أبي هريرة وفيه مجهول. ونسبه الحافظ في الفتح (٧/ ٢١٠) إلى الطبراني ولم أره عنده في معاجمه الثلاثة، ثم ظهر لي أن الكلمة محرفة من الطبري. حيث رواه (١٥/ ٦ - ١١).

(٣٣٩) رواه الترمذي في الشمائل (٣١٩) عن قتيبة بن سعيد عن نوح بن قيس الحراني عن حسام ابن مصك عن قتادة من قوله.

قال الحافظ المزي في تحفة الأطراف: ورواه العباس بن يزيد البحراني عن نوح عن حسام عن قتادة عن أنس فذكره.

وفي إسناده حسام بن مصك وهو ضعيف يكاد أن يترك كما قال الحافظ. وعده الحافظ الذهبي من منكراته في الميزان.

ويظهر أن الشارح تبع الحافظ في الفتح (٧/٢١٠) في نسبة أثر أنس إلى الترمذي وهو وهم، حيث عنده من قول قتادة لا أنس.

ورجوع قومه ﷺ إلى صحبته ومحبته بعد النفرة عنه كرجوع قوم هارون إلى صحبته بعد النفرة عنه وقت ميقات الكليم، ومعالجته لقومه كمعالجة موسى لقومه، وتمكنه ﷺ من مكة والكعبة وتمتعه بها كما وقع لابراهيم عليه السلام، ومن ثم رآه ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور كما في حديث مالك بن صعصعة[٣٤٠]. وهو بحذاء الكعبة. وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا: أن النبي ﷺ قال: البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة لو خرّ لخرّ على الكعبة يدخله سبعون ألف ملك كل يوم، إذا خرجوا منه لم يعودوا[٣٤١]. وهذا الوجه لتخصيصهم باللّقاء أولى مما قيل فيه: إن الأنبياء أمروا بملاقاته ﷺ، فمنهم من أدركه في أول وهلة، ومنهم من تأخر فلحقه، ومنهم من فاته. وذكر العارف ابن أبي حمزة في وجه اختصاص كل منهم بسماء ما يطول ذكره (ثم) أسري به على ظهر السماء السابعة حتى وصل (إلى سدرة المنتهى) كما في حديث مسلم عن أنس: ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة جمع فيل، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشّاها من أمر الله ما غشّى تغيّرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها[٣٤٢].

وفي رواية عند البخاري: فغشيها ألوان لا أدري ما هي[٣٤٣]. قال تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشىٰ﴾ قال: فراش من ذهب كما في رواية مسلم[٣٤٤]، وفي رواية جراد من ذهب، قال البيضاوي: وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل

---

(٣٤٠) أنظر فتح الباري (٧/ ٢١٠ - ٢١١) ولم يروه مالك بن صعصعة وإنما هو عن أنس عند مسلم (١٦٢) ومن طريقه البغوي في شرح السنة (٣٧٥٣) ورواه أحمد (٣/ ١٤٨ - ١٤٩).

(٣٤١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٧/ ١٧) وفي النسخ الثلاث الطبراني وهو خطأ.

(٣٤٢) رواه مسلم (١٦٢).

(٣٤٣) هو في حديث أبي ذر وتقدم في التعليق (٣٣٧).

(٣٤٤) رواه مسلم (١٧٣) من حديث ابن مسعود.

لأن من شأن الشجر أن يسقط عليها الجراد أو شبيهه أو جعلها من الذهب حقيقة[٣٤٥]. والقدرة صالحة لذلك، وفي رواية: فغشيها نور وغشي الملائكة عليها، قال ابن دَحية: واختيرت السدرة لأن فيها ثلاثة أوصاف، ظل ممدود وطعم لذيذ، ورائحة ذكية، فكانت بمنزلة الإيمان يجمع القول والعمل والنية، فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول[٣٤٦]. وقال العارف ابن أبي حمزة وهل الشجر مغروسة في محل من أرض الجنة أو غيرها، أو مستقرة في الهواء، كل محتمل والقدرة الباهرة صالحة لكليهما انتهى.

وكلام الأئمة يؤيد الأول، ففي النهاية: السدرة شجرة النبق، وسدرة المنتهى شجرة في أقصى الجنة ينتهي إليها علم الأولين والآخرين ولا يتعداها، انتهى[٣٤٧].

وفي حديث البخاري قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان ونهران ظاهران قال: أمّا الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، وفي رواية عند البخاري أيضاً: فإذا في أصلها أي سدرة المنتهى، وعند مسلم يخرج من أصلها أربعة أنهار، وجمعوا بينها وبين حديث مسلم عن أبي هريرة أربعة أنهار من الجنة: النيل والفرات وسيحان وجيحان فاحتمال أن تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة، والأنهار تخرج من أصلها، فيصح أنها في الجنة، وقد جاء في حديث مسلم سبب تسميتها بسدرة المنتهى، ولفظه:

لما أسري برسول الله ﷺ قال: انتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها؛ ولا تنافي بينه وبين ما دل عليه بقية الأحاديث من أنها

---

(٣٤٥) أنظر فتح الباري (٧/ ٢١٣).

(٣٤٦) أنظر الفتح (٧/٢١٣)

(٣٤٧) النهاية (٢/ ٣٥٣).

في السماء السابعة لأنه يحمل على أن أصل ساقها في السماء السادسة وأغصانها وفروعها في السابعة، إذ قد علم أنها في نهاية العظم قد أظلت الجنة والسموات، قاله النووي وذكره العسقلاني في فتح الباري[٣٤٨]. ثم أدخل الجنة وأحاط ﷺ بما فيها من الأنهار والأشجار والثمار والحور ثم عرض عليه النار بما فيها من التهويلات كما في أحاديث مشهورة، ثم أسري به إلى مكان (أعلى) من سدرة (المنتهى) كما في حديث البخاري، ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، الحديث[٣٤٩]. وفي المواهب: المستوى المصعد، وصريف الأقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حال الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى، والقدر المكتوب قديم وإنما الكتابة حادثة، وظاهر الأخبار: أن اللوح المحفوظ فرغٌ من كتابته، وجف القلم فيه بما قبل خلق السماوات والأرض، وإنما هذه الكتابة في صحف الملائكة، كالفروع المستنسخة من الأصل، وفيها المحو والإثبات كما في الآية، انتهى.

قال الشهاب ابن حجر: وفي رواية: لم تثبت كسائر الروايات الحجب، ثم زج بي أي رمي بي في النور زجاً فخرق بي سبعين ألف حجاب، كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دُلّي لي رفرف أي بساط أخضر ثم احتملني حتى وصلت إلى العرش، وهذه الحجب بفرض صحتها إنما هي بالنسبة للمخلوقين، وأما هو عز وجل فلا يحجبه شيء انتهى.

(تنبيه) علم بما قدرته في النظم أن سدرة مضاف إلى المنتهى المحذوف المنوي لفظه لدلالة ما بعده عليه على طريقة قوله ومن قبل نادى كل مولى قرابة أي ومن قبل ذلك وأن أعلى بإسقاط العاطف من ثم أو الواو بناءاً على قول ابن مالك في العمدة أن الحذف مختص بالواو من بين حروف العطف وإنما قدرته هكذا

---

(٣٤٨) انظر فتح الباري (٧/ ٢١٣).

(٣٤٩) هو في حديث أبي ذر المتقدم في التعليق (٣٣٧).

ليفيد كلامه أنواع المعاريج وأنه ﷺ جاوز سدرة المنتهى.

فقد قال بعض الأئمة المعاريج لليلة الإسراء عشرة، سبعة في السموات والثامن إلى سدرة المنتهى، والتاسع إلى المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام والعاشر إلى الرفرف والعرش والرؤية وسماع الخطاب انتهى.

ويجوز جعل سدرة مضافاً إلى المنتهى الملفوظ وأعلى نعتاً متوسطاً كما في قوله (في ابن أبي شيخ الأباطح طالب) أي من ابن أبي طالب شيخ الأباطح، ففصل بينهما بالنعت والتقدير هنا: إلى سدرة المنتهى أعلى المقامات بالنسبة لما تحتها لكنه خالٍ عن الفائدة المذكورة وأما جعل أعلى المنتهى نعتاً لسدرة فلا يظهر له وجه كما لا يخفى على العارف بالقواعد ولو قال: ثم إلى السدرة أعني المنتهى لخلا عن التكلّف وأفاد أن إضافة سدرة المنتهى في الآية والأحاديث بيانية كما هو ظاهر كلامهم فافهم.

وكَـانَ بَيْنَـهُ وَبَيْـنَ رَبِّـهِ ما كَـانَ مِـنْ كلامِـهِ وَقُـرْبِـهِ

[وكان بينه] ﷺ [وبين ربّه] عز وجل في ذلك المقام الأرفع [ما كان] أي الذي كان وإبهامه للتفخيم كما في قوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ ثم بين بعض ما أبهم بقوله [من كلامه] تعالى معه وإنما اختص موسى عليه السلام باسم الكليم لأنه سمعه وهو في الأرض قاله الغيطي[٣٥٠] وغيره ورأى ﷺ في هذا المقام الذي لم يصل إليه مخلوق غيره، ربّه عز وجل بعين رأسه على الوجه الذي وعده الله تعالى به لعباده في الجنة ولا يعلم كيفيته كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه رآه عز وجل بعين بصره[٣٥١]، وجاء عن أنس بإسناد

(٣٥٠) مولد الغيطي (١٥/ ١).

(٣٥١) هذا غير صحيح عن ابن عباس بل الذي جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما نوعان منه ما هو مطلق ليس فيه أنه رآه بعينه، ومنه ما هو مقيد بأنه رآه بفؤاده وبقلبه، قال الحافظ في الفتح (٨/ ٦٠٨) فيجب حمل مطلقها على مقيدها.

=

قوي: رأى محمد ﷺ ربّه عز وجل[٣٥٢].

وكان الحسن البصري يحلف أنه رأى ربّه وبذلك قال عروة وسائر أصحاب ابن عباس، وجزم به كعب الأحبار والزهري ومعمر وآخرون، وهو قول الأشعري وغالب أتباعه[٣٥٣].

قال الجلال المحلي وغيره وهو الصحيح وأنكرت عائشة رضي الله عنها وابن مسعود الرؤية، قال النووي: لكن خالفها غيرها من الصحابة. والصحابي إذا خولف لا يكون قوله حجةً اتفاقاً[٣٥٤].

وسئل الإمام أحمد عن قول عائشة: (من زعم أن محمداً رأى ربّه فقد أعظم على الله الفرية) بِمَ يُدفع قولها؟ قال: بقول النبي ﷺ: (رأيت ربي) وقول النبي ﷺ أكبر[٣٥٥] [وقربه] ودنوه تعالى المعنوي ببسط الإكرام وإعلاء المنزلة وإجابة الدعوة وتشريف الرتبة، لا الحسي المكاني للبراهين القطعية السمعية والعقلية على تنزهه تعالى عن المكان والجهة.

وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه: عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنى

= بل روى ابن مردويه عنه أنه قال: لم يره رسول الله ﷺ بعينه. كما يجمعوا بين إنكار عائشة وإثبات ابن عباس بأن عائشة أنكرت الرؤية بالبصر وأن ابن عباس أثبتها بالقلب والفؤاد.

(٣٥٢) إن كان يقصد حديث أنس عند ابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٠٩ - ٢١٠) والبزار (٥٨) وفيه ورأيت النور الأعظم وإذا دونه الحجاب، فليس فيه التصريح بأنه رأى ربه، وإن كان غير هذا الحديث فلم أره ولا أظنه يصح، ثم رأيته عند ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٩٩) وابن أبي عاصم في السنة (٤٣٢) وهو حديث ضعيف لأن في إسناده أبو يجز البكراوي وهو ضعيف.

(٣٥٣) هكذا هو في فتح الباري (٨/ ٦٠٨) وروى قول الحسن البصري ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٩٩ - ٢٠٠).

(٣٥٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٥).

(٣٥٥) انظر الفتح (٨/ ٦٠٨ - ٦٠٩).

الجبار رب العزة فتدلى[٣٥٦]. أي بالمعنى الذي ذكرناه آنفاً حتى كان منه قاب قوسين أي مسافة قربه المعنوي مثل قاب قوسين أي قدر قوسين كما قاله الجوهري. فأوحى اليه بما شاء وأوحى إليه خمسين صلاةً، الحديث.

وفي المواهب وغيره اعلم أن التدلي والدنو المذكور في حديث أنس وغيره من أحاديث المعراج غير التدلي والدنو في أول سورة نجم فإن هذا في حق جبريل كما صح تفسيره بذلك عنه ﷺ وصح عن عائشة رضي الله عنها سألتْ رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ثم دنى فتدلى﴾ الآية، فقال: ذلك جبريل لم أره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين.

(فائدة جليلة) اعلم أنه ورد النهي عن التفكر في ذاته تعالى وما أمرنا الله تعالى قط أن نعلم كيف ذاته؟ وإنما أمرنا أن نعلم أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له فلم يقف عن ذلك التفكر غالباً العقول بل يفكره إلى ما لا حاجة له إليه، فاعتقد كمال التنزيه ونفي التشبيه ليس كمثله شيء، فالحق وراء ما أدركه الخلق بأفهامهم وما أحسن قول الأئمة العارفين: كلّما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك لأن كلما خطر ببالك فهو شيء والله تعالى ليس كمثله شيء. فإن قلت فما الحكمة في خلق العرش وإضافته إليه تعالى، وإعلامه تعالى بأنه استوى عليه مع القطع بأنه ليس المراد بالاستواء الاستقرار[٣٥٧]؟ قلت: قال بعض العارفين: الحكمة في ذلك تقريب الطريق على عباده، وذلك أنه تعالى لما كان هو الملك العظيم ولا بد للملك من مكان يقصده فيه عباده لحوائجهم وإن كان ذاته تعالى لا تقبل المكان قطعاً، اقتضت المرتبة له تعالى أن يخلق عرشاً وأن يذكر لعباده أنه استوى عليه ليقصدوه بالدعاء وطلب الحوائج فكان ذلك من جملة رحمته بعباده والتنزل بعقولهم ولولا ذلك لبقي العبد حائراً لا يدري أين يتوجه بقلبه،

---

(٣٥٦) هو في صحيح البخاري (٧٥١٧) وانظر الفتح (١٣/ ٤٨٤ - ٤٨٥).

(٣٥٧) نقول كما قال كثير من السلف الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة.

فإن الله تعالى خلق العبد ذا جهة فلا يعقل إلاّ ما في جهة، ما دام عقله حاكماً عليه، فإذا منّ الله تعالى عليه بالكمال واندرج نور عقله في نور إيمانه تساوت عنده الجهات في جانب الحق تعالى وعلم أن الحق لا يقبل الجهة ولا التميّز، وأن العلويات كالسفليات في القرب منه تعالى، فعلم أن الشرع ورد تنزلاً لضعفاء العقول رحمة بهم انتهى.

قال بعضهم: ينبغي أن يكتب هذا النفاسة بأحداق العيون، قال بعض أهل الإشارات في أحاديث الإسراء، ولمّا انتهى ﷺ إلى العرش تمسك العرش بأذياله وناداه بلسان حاله: يا محمد ﷺ جعلني أعظم خلقه فكنت أشدهم منه خوفاً وهيبة، وأكثرهم فيه حيرةً فكنت على قائمتي لا إله إلا الله فزادت ارتعادي فكتب محمد [٣٥٨] ﷺ رسول الله فسكن روعي ببركة اسمك عليّ فكيف بجميل نظرك إليّ يا محمد ﷺ، أنت المرسل رحمةً للعالمين ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة، ونصيبي يا حبيبي: أن تشهد لي بالبراءة عما نسبه أهل الزور إليّ وتَقَوَّله أهل الغرور عليّ، زعموا أني أسمع من لا مثل له، وأحيط بمن لا كيفية له، من لا حد لذاته ولا عدّ لصفاته، كيف يكون مفتقراً إليّ أو محمولاً عليّ، فالرحمن اسمه، والغناء عن العالمين صفته أوجدني فضلاً ولو محقني كان عدلاً، فأنا محمول قدرته ومعمول حكمته كذا في المواهب ملخصاً.

وأنشد بعض العارفين:

العرش والله بالرحمن محمول وحامله وهذا القول معقول
وأي حول لمخلوق ومقدرة بذاك ما جاءنا عقل وتنزيل

ويشهد لذلك ما رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن لله مَلَكاً لو قيل له: التقم السموات السبع والأرضين بلقمةٍ واحدة لفعل، تسبيحه:

---

(٣٥٨) في نسختي ونسخة القاضي فازددت ارتعاداً فكتب رسول الله.

سبحانك حيث كنت[٣٥٩] أي بفتح التاء. قال العلامة المناوي: والمقصود بيان عظم أجرام الملائكة وأنه سبحانه وتعالى ليس بمتصل بهذا العالم كما أنه ليس بمنفصل عنه، فالحيثية والكينونية عليه محال لتعاليه عن الحلول في مكان انتهى[٣٦٠].

وهذا الاستطراد نافع جداً في هذا المقام الذي ذكر فيه الدنو والتدلي ومن ثمّ أطنبنا به.

وَفَرَضَ اللهُ الصَّلاةَ ثَمَّة وجاء جبريل غداً فَأَمَّهُ

[و] من جملة ما أوحى الله تعالى إليه أن [فرض الله] عليه وعلى أمته [الصلاة] أي خمسين صلاةً في كل يوم وليلة [ثم] أي في ذلك المقام الأعلى فرجع فمرّ على موسى عليه السلام فسأله عما فرض عليه وعلى أمته فأخبره به فأمره لإطلاعه على أحوال هذه الأمة في التوراة بالرجوع إلى ربه وسؤاله التخفيف لأمته فإنهم لا يطيقون ذلك فرجع وسأله فحط عنه خمساً وهكذا إلى أن بقيت خمس فأمره بالرجوع وقال إن بني إسرائيل فرض عليهم صلاتان فما قاموا بها[٣٦١] فقال ﷺ: استحييت من ربي. فقال تعالى هي خمس أي في الفريضة وخمسون أي في الثواب، لا يبدل القول لديّ.

قال الأئمة: وحكمة فرضها في هذه الليلة أنه ﷺ لما شاهد تعبد الملائكة ورأى بعضهم في القيام دائماً وبعضهم في الركوع وبعضهم في السجود وأعطاه الله تعالى ذلك كله لأمته في ركعة يصليها الواحد منهم بشروطها وآدابها. ثم عاد ﷺ من سفر الإسراء في الليلة فلما أصبح وحدث بذلك قريشاً كذّبوه وارتدّ

---

(٣٥٩) رواه الطبراني (١١٤٧٦) وفي الأوسط (١٠ مجمع البحرين) وفيه وهب بن رزق ولم أر من ترجمه فهو مجهول فالحديث ضعيف.

(٣٦٠) هذا مخالف لعقيدة السلف الصالح ومنهم الإمام ابو الحسن الأشعري رحمه الله.

(٣٦١) في نسختي فما قاموا بها.

ناس ممن كانوا أسلموا وذهب بعض المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا لهُ: إن صاحبك يخبر أنه ذهب إلى بيت المقدس وعاد في ليلة فقال: صدق فأنكروا عليه، فقال: إني لأصدّقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء في غدوة وروحة، فلذلك سمي الصديق رضي الله عنه رواه الحاكم في مستدركه وابن إسحاق (٣٦٢).

وسألوه ﷺ عن أوصاف البيت المقدس فرفعه الله إليه حتى ينظره كما في رواية البخاري (٣٦٣) فوصفه لهم كما سألوه فانقطع عنهم الحجة وهذا من جملة الحكم في الإسراء به إلى المسجد الأقصى وقد مَرّ بعض منها [وجاء جبريل غداً] أي في يوم تلك الليلة [فأمّه] في صلاة الظهر لأنها أول صلاة صلاّها ﷺ من الخمس بالاتفاق وفي التحفة وإنما لم يجب صبح ليلة الإسراء لعدم العلم بكيفيتها حتى جاءه جبريل فأمّه في صلاة الظهر، وتمام تفصيل أحاديث الإسراء يطلب في الكتب المبسوطة.

بدء إسلام الأنصار أوّلاً يوم العقبة

وَكُلَّ مَوسِمٍ يَجيءُ كُلَّ حَيْ   يَعرِضُ نَفسَهُ ليؤوه لِكَيْ

[وكل] بالنصب مفعول مقدم [موسم] أي وقت يجتمع فيه الحاج في كل سنة، وهو مفعل اسم زمان من الوسم كأنه وسِمَ بذلك الوسم [يجيء] ﷺ كما كان عادته وقت إقامته بمكة [كل حي] بحذف إحدى اليائين للوزن أي كل قبيلة من قبائل العرب حال كونه ﷺ [يعرض] من العرض [نفسه] عليهم ويدعوهم إلى الله تعالى [ليؤوه] أي ليضموه ويجمعوه إلى منازلهم من الإيواء وهو الردّ والضم إلى المأوى أي المنزلة يُقال أوى بالقصر آوى بالمد بمعنى واحد

---

(٣٦٢) رواه الحاكم (٣/ ٦٢ - ٦٣) وصححه ووافقه الذهبي من حديث عائشة.

(٣٦٣) رواه البخاري (٣٨٨٦ و ٤٧١٠) من حديث جابر بن عبدالله.

ويستعمل المقصور لازماً أيضاً بخلاف المحدود تقول أويت إلى المنزل وأويته إليه وآويته [لكي] علة الإيواء.

يُبْلِــغَ عــن الــهِ الكتــابــا وَلَهُــمُ الْجَنَّــةُ فَــاسْتَجــابَــا

[يبلغ] من الإبلاغ [عن إلهه الكتابا] بألف الإطلاق أي المنزل إليه [ولهم] أي للذين عرض ﷺ نفسه عليهم [الجنّة] دار البقاء إن استجابوا. وصح عند الحاكم وغيره: أقام ﷺ عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيره يقول: من يؤويني من ينصرني حتى أُبلغ رسالة ربي وله الجنة حتى بعث الله تعالى له من يثرب، الحديث (٣٦٤).

ولما لم يستجب له قبيلة وأراد الله تعالى إظهار دينه وإنجاز وعده ساقه إلى الأنصار لِما أراد الله تعالى بهم من الكرامة فانتهى إلى نفر منهم ستة وقيل ثمانية، وهم يَحلِقون رؤوسهم عند العقبة في الموسم فجلس إليهم (٣٦٥) ودعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ولرسوله ذكره العز بن جماعة.

وعبارة المواهب وغيره لقي ﷺ رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً فقال

---

(٣٦٤) رواه أحمد (٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣ و ٣٢٣ و ٣٣٩ - ٣٤٠) والبزار (١٧٥٦) وابن حبان (١٦٨٦) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٤ - ٦٢٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٩) ودلائل النبوة (٢/ ١٨١ - ١٨٣) وحسن الحافظ إسناده في الفتح (٧/٢٢٢) وصححه الحاكم وابن حبان ووافق الحاكم الذهبي في تلخيصه.

قال شيخنا في تخريج أحاديث فقه السيرة (ص ١٥٧) قلت: وفيه علة، وهي عنعنة أبي الزبير وكان مدلساً، وليس هو من رواية الليث بن سعد عنه، فلعل تصحيحه أو تحسينه بالنظر لشواهده والله أعلم.

قلت: صرح بالتحديث في رواية البيهقي في الدلائل حيث قال ابن خيثم عن أبي الزبير محمد ابن مسلم أنه حدثه جابر بن عبدالله. هذا إن لم يكن فيه تحريف أو نقص.

وفي نسخة القاضي بمنى وغيرها.

(٣٦٥) في نسخة القاضي فجلس عندهم.

لهم: ممن أنتم[٣٦٦]؟ قالوا: من الخزرج، قال ﷺ: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فأجابوه وآمنوا به لأنهم عرفوا نعته ﷺ من اليهود فبادروا إلى الإيمان به خوفاً من أن يسبقهم اليهود إلى ذلك، وإلى هذا أشار الناظم بقوله: [فاستجابا] بألف الإطلاق.

لَـهُ مِـنَ الأنصـارِ يَـوْمَ العَقَبَـة　　　سِتَـــةٌ أَوَّلاً بِنَفسٍ طَيِّبَـــة

[له] ﷺ [من الأنصار يوم العقبة] أي عقبة منى أو العقبة الثنية في الجبل وقيل: هي الطريق الصاعد فيه. [ستة أولاً] أي قبل أهل العقبة الثانية والثالثة وهؤلاء يسمون أهل العقبة الأولى، وهو فاعل فاستجاب وبه يتعلق قوله [بنفس طيبة] أي باختيارهم المحمود بلا إكراه. فقال لهم ﷺ: تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي. فقالوا يا رسول الله: إنما كانت بعاث في العام الأول يوم من أيامنا اقتتلنا به فدعنا حتى نرجع إلى قومنا لعلّ الله تعالى يصلح ذات بيننا وندعوهم إلى ما دعوتنا فإن أجابوا فلا أحد أعزّ منك، وموعدك الموسم العام القابل فانصرفوا إلى المدينة ودعوهم إلى الإسلام حتى فشى فيهم ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ فأول مسجد قُرِأ فيه القرآن مسجد بني زريق.

ثم أتـوْا ببعـض مَـن قَـدْ أسلَما　　　فَبـايعـوا وطلبـوا مُعَلِّما

[ثم أتوا] أي الستة المذكورة أي خمسة منهم كما جزم به العز بن جماعة وغيره، ونسبة الإتيان إلى الجميع تغليبٌ، في العام القابل مكة [ببعض من قد أسلما] من الأنصار وهم سبعة فصار المجموع إثنا عشر رجلاً خمسة من الستة المذكورة والبقية من الخزرج إلا رجلين فمن الأوس أيضاً[٣٦٧] [فبايعوا] رسول

(٣٦٦) في نسخة القاضي من أنتم.

(٣٦٧) في نسختي ونسخة القاضي من الخزرج أيضاً.

الله ﷺ على بيعة النساء عند العقبة ولم يفرض يومئذ القتال وقبلوا ما اشترطه عليهم، وهؤلاء يسمون أهل العقبة الثانية ثم رجعوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام بها، وكان أسعد بن زرارة يُجمّع بالمدينة بمن أسلم وهم أربعون ثم أرسلوا إليه ﷺ [وطلبوا] منه ﷺ [معلّماً] يعلمهم القرآن فبعث إليهم مصعب بن عمير.

فـــراح مصعـــب والإسلام اعتلى   في الأوس والخزرج ثم أقبـــلا
سبعـــون في الموسم بـايعـــوا النبي   فكـــان إذن هجـــرة ليثـــرب

[فراح مصعب] المذكور فأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار، منهم سيّد الأوس: سعد بن معاذ وابن عمه أُسيد بن حضير وتبعهما في يوم واحد جميع بني عبد الأشهل قبيلتهما، الرجال والنساء إلا واحداً اسمه عمرو تأخر إسلامه إلى يوم أُحد فأسلم واستشهد، ولم يسجد لله سجدةً وأخبر ﷺ: أنه من أهل الجنة وإلى ذلك أشار بقوله: (والإسلام اعتلى) أي ظهر وغلب (في الأوس والخزرج) أي قبيلتهما، والأوس والخزرج كانا أخوين وقع بينهما عداوة، ثم بين ذريتهما إلى أن أذهبها الله تعالى بالإسلام، (ثم أقبلا) بألف الإطلاق، أي قدم مكة في العام القابل (سبعون) رجلاً وقيل وخمسة وقيل وثلاثة، وامرأتان (في الموسم) أي موسم الحجّ وهو أيام التشريق فأسلموا (ثم بايعوا النبي) بالتخفيف والإسكان للوزن على أنهم يمنعونه ﷺ مما يمنعون منه نساءهم [وأنفسهم] وأبناءهم، وعلى حرب الأسود، والأبيض (٣٦٨)، واختار ﷺ عليهم اثني عشر نقيباً، فبايعهم ثانياً تأكيداً، وكان ذلك ليلاً سرّاً عن كفار قريش، وهؤلاء يسمون أهل العقبة الثانية (٣٦٩) وحضر العباس رضي الله عنه هذه المبايعة مستوثقاً لرسول الله ﷺ ومؤكداً على أهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه، وانصرفوا إلى المدينة.

---

(٣٦٨) في نسختي ونسخة القاضي وعلى حرب الأحمر والأسود.
(٣٦٩) في نسختي ونسخة القاضي العقبة الثالثة وهو خطأ.

ولما اشتد البلاء على المؤمنين بمكة من المشركين: استأذنوا رسول الله ﷺ في الهجرة إلى المدينة (فكان إذن هجرة) من النبي ﷺ لهم (ليثرب) بالجر للضرورة أي إلى يثرب وهو اسم قديم لمدينة النبي ﷺ، فغيره وسمّاه: المدينة وطيبة وطابة، كراهة للتثريبة(٣٧٠). وهو اللّوم والتعيير، وقيل: هو اسم أرضها، وقيل: سميت باسم رجل من العمالقة، فخرجوا إليها أرسالاً [لا] متسلسلين، وأقام ﷺ بمكة ينتظر الإذن له بالخروج كما ذكره ابن إسحاق وغيره، ويجوز أن يراد من قوله: فكان إذن هجرة، الإذن له ﷺ في الهجرة من الله تعالى، أو أعم له ولهم إعراضاً عن التفصيل، والأول أولى، وأنسب بفاء التعقيب، قيل: أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي قبل بيعة العقبة بسنة، قدم من الحبشة، إلى مكة فآذاه أهلها، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار، فخرج إليهم، وقيل: مصعب بن عمير، حكاهما ابن جماعة، وجزم بالأول في المواهب، ثم عامر بن ربيعة وامرأته ليلى ثم المسلمون أرسالاً، ثم عمر بن الخطاب وأخوه زيد، وعيّاش بن ربيعة في عشرين راكباً، رضي الله عنهم، فقدموا المدينة ونزلوا في العوالي أي قرى المدينة وكان الصديق رضي الله عنه، كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له:

لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً(٣٧١)، فطمع أبو بكر أن يكون هو (هجرته إلى المدينة وما كان بعد ذلك). ولما بلغ قريشاً: أنه ﷺ بويع، وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، وحصل لهم العزة بها اجتمعوا بدار الندوة، يتشاورون في ما يصنعون في أمره ﷺ، فاعترضهم إبليس عليه اللعنة عليهم في صورة شيخ نجدي، أي لا تهامي لأنهم كما قال أهل السير: منعوا دخول أهل تهامة معهم فيها لميلهم إليه ﷺ، وأظهر لهم أنه يريد نصحهم، وأمرهم أن

(٣٧٠) في نسختي ونسخة القاضي كراهة للتثريب.

(٣٧١) هو عند ابن إسحاق (٢/ ٢) بدون إسناد لكن معناه في صحيح البخاري (٣٩٠٥).

يعرضوا عليه آراءهم، ليختار أنفعها لهم فقيل: نحبسه، فقال إبليس: قد ينتزع منكم، فقيل: نخرجه، فقال: يأتيكم بما لا طاقة لكم به، فقال أبو جهل: أرى أن تأخذ من كل قبيلة غلاماً قوياً. ثم تعطيهم شفاراً فيضربه كل ضربةً فيتفرق دمّه في القبائل، فلم يقدر أهله على حرب قومهم، فيأخذون ديته، فقال إبليس: لله درّك هذا هو الرأي فأجمعوا عليه، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: لا تَبِتْ الليلة على فراشك، فلما جاء الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه، حتى ينام، فيثبوا عليه، فأمر ﷺ علياً أن ينام مكانه، ففعل وغطّى ببرد أخضر، فكان أول من باع نفسه لله تعالى، وفي ذلك يقول كما في المواهب:

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إلـهٍ خاف أن يمكروا بـه فنجاه ذو الطـول الإلّه من المكر(٣٧٣)

ثم خرج ﷺ، وهم جلوس على بابه، فأخذ الله تعالى على أبصارهم، فلم يره أحد بل أخذ كفاً من التراب فنثر على رؤوسهم، فأصاب كلاًّ منهم شيء من ذلك التراب، إشارة الى غاية ذلتهم وخيبتهم، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يسٓ﴾ إلى قوله ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾، ثم انصرف ﷺ فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمداً، قال: قد خيّبكم الله تعالى والله خرج محمد عليكم، ثم ما ترك منكم رجلاً إلاّ وضع على رأسه تراباً، وانطلق إلى صاحبه [حاجته] أفلا ترون ما بكم، فوضع كلّ رجل يده على رأسه فإذا عليه تراب.

وفي رواية أبي حاتم مما صححه الحاكم كما في المواهب من حديث ابن عباس

---

(٣٧٢) رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٢٧ - ٢٢٨) عن الواقدي بإسناده عن عدة من الصحابة والواقدي متروك اتهم بالكذب. وذكره ابن إسحاق في السيرة بإسناد فيه مجهول (٢/ ٩٣ - ٩٥) ولكن عند الشارح بعض الزيادات.

والبيتان من أبيات رواها الحاكم في المستدرك (٣/ ٤) عن علي بن الحسين لكن إسناده مسلسل بالضعفاء.

رضي الله عنها، ما أصاب رجلاً منهم حصاة إلاّ قتل يوم بدر كافراً، وفي هذا نزل قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾(٣٧٣) ثم أذن الله تعالى لنبيه ﷺ في الهجرة، فخرج بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة أشهر، يوم الإثنين كما قال الحاكم، تواترت الأخبار أن خروجه ﷺ يوم الاثنين، ودخوله المدينة كان يوم الإثنين، وقيل: خرج يوم الخميس وجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس، وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال: ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، وخرج [منه] أثناء ليلة الإثنين هلال شهر ربيع الأول كما جزم به ابن إسحاق وغيره، وقيل: صفر، وما ذكرنا تفصيل ما أجمله الناظم بقوله:

وهـاجـر النبي للمـدينـة   وعمـره ثلاث مـع خمسينـه
ومعـه الصديـق ثـاني اثنيـن   ونـزلا قبـاء في الاثنيـن

(وهاجر النبي) ﷺ من مكة التي هي مولده، ووطنه ووطن آبائه، وأحب أرض الله إلى الله وإلى رسوله كما صح عنه ﷺ: أنه حين خرج وقف على الحزورة، فنظر إلى الكعبة فقال لمكة: (إنك لأحب أرض الله إليّ، وإنّك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أهلك أخرجوني منكِ ما خرجت(٣٧٤)).

قال الشهاب ابن حجر: ولعل هذه [هذا] قبل مجيئه ﷺ إلى بيت أبي بكر، لأنها على ما روي: خرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ليلاً إلى

(٣٧٣) رواه أبو حاتم بن حبان (١٦٩١) والحاكم (٣/ ١٥٧) وصححه.

(٣٧٤) رواه أحمد (٤/ ٣٠٥) والترمذي (٤٠١٨) والنسائي في الكبرى وابن ماجه (٣١٠٨) وابن حبان (١٠٢٥) من حديث عبدالله بن عدي، ورواه الترمذي (٤٠١٩) وابن حبان (١٠٢٦) والحاكم (١/ ٤٨٦) من حديث ابن عباس ورواه أحمد (٤/ ٣٠٥) والنسائي في الكبرى من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد (٤/ ٣٠٥) من حديث بعضهم ولفظ المصنف مركب من الروايات المتعددة.

الغار، ولم يعلم بخروجه إلاّ علي وآل أبي بكر (للمدينة) المفضلة بهجرته إليها على جميع البقاع عند بعض المحققين، وإليه ذهب مالك رحمه الله تعالى لكن الجمهور على تفضيل مكة عليها، للحديث المتقدم، والخلاف في غير الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة ﷺ به من القبر المكرّم، فقد حكي الإجماع على أنه أفضل حتى من العرش[٣٧٥] (وعمره) ﷺ، إذ ذاك (ثلاث) بترك التنوين للضرورة (مع) بسكون العين لغة في تحريكها (خمسينه) سنة على الأصح كما قاله ابن جماعة وغيره، والهاء في خمسين زيدت للوقف اضطراراً (ومعه) ﷺ أبو بكر (الصديقُ) رضي الله عنه.

وصح أن جبريل عليه السلام أمره عند ارادة الخروج: أن يستصحب أبا بكر[٣٧٦] فأمر علياً رضي الله عنه أن يتخلف ليؤديَ للناس ما عنده من ودائعهم[٣٧٧]، ثم قدم ﷺ إلى بيت أبي بكر في حرِّ الظهيرة متقنعاً فقال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله مُتقَنِعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر

---

(٣٧٥) قال ابن عقيل في الفنون: الكعبة أفضل من مجرد الحجرة، فأما والنبي ﷺ فيها فلا والله ولا العرش وحملته والجنة لأن بالحجرة جسداً لو وزن به لرجح انتهى.
قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر في كتابه القيم مفيد الأنام (١/ ٢٣٩) تعليقاً على هذا القول: قلت: لا حاجة إلى هذا التكلف الذي ذكره ابن عقيل صاحب الفنون في حق نبينا محمد ﷺ، فإنه من الإطراء، وقد قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم».
قال شيخ الإسلام: لا يعرف أحد من العلماء فضل تراب القبر على الكعبة إلا القاضي عياض ولم يسبقه أحد إليه ولا وافقه أحد قط عليه.
وانظر مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٦ – ٣٨).
فظهر أن لا إجماع على أن موضع القبر أفضل من مكة ولا من العرش وأن من قال ذلك انفرد بأقوال لا دليل عليها.

(٣٧٦) لم أره بهذا اللفظ في الصحيح، اللهم إلا إذا كان غاية الشارح أن الرسول ﷺ حينما استبطأه كان عن وحي وأن جبريل أوحى إليه ذلك. ثم رأيته عند الحاكم (٣/ ٥).

(٣٧٧) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٩٨).

فدىً له أبي وأمّي والله ما جاء به في هذه الساعة إلاّ أمر، فلما جاء استأذن فأذن له فدخل فقال ﷺ لأبي بكر: أخرج مَن عندك لأخبرك بسرّ، هو: الإذن في الهجرة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله إنما هم أهلك أي عائشة، لأن أبا بكر أنكحها منه قبل ذلك ولم يدخل بها، قاله السهيلي.

فقال ﷺ: قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال: نعم، فقال: فخذ إحدى راحلتي، قال ﷺ: بالثمن لتكون هجرته إلى الله تعالى بنفسه، وماله، فتكون على أكمل الأحوال، وإلاّ أنفق ﷺ من مال أبي بكر ما هو أكثر [من هذا].

قالت عائشة رضي الله عنها: فجهزناهما أحث الجهاز، أي أسرعه، وصنعنا لهما سفرةً أي طعاماً في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعةً من نطاقها فربطت بها على فم الجراب، فسميت ذات النطاقين، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار ثور، وهو جبل بأسفل مكة على مسيرة ساعة. ولما فقدته قريش: شق عليهم خروجه وجزعوا منه، وجعلوا لمن ردّه مائة ناقة، وطلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا أثره في كل جهة، فوجد مَن ذهب قِبَل ثور أثره، فتبعه حتى انقطع لما انتهى إلى ثور.

وروي أنه ﷺ: لما دخل الغار أنبت الله تعالى على بابه شجرة أم غيلان، فحجبته عن أعينهم وأمر الله تعالى العنكبوت فنسجت على وجه الغار، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار أيضاً وباضتا عليه، وأن حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين (٣٧٩)، وأن ذلك مما صدّ المشركين، لأنهم لما نظروا قالوا: لو

(٣٧٨) رواه البخاري (٣٩٠٥).

(٣٧٩) رواه البزار (١٧٤١) والطبراني (ج ٢٠ رقم ١٠٨٢) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢١٣ - ٢١٤) من حديث زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك ﵁ وفيه من هو مجهول. وانظر حديث أسماء بنت أبي بكر في المعجم الكبير (ج ٢٤ رقم ٢٨٤) وانظر الدلائل (٢/ ٢٠٩ - ٢١٢).

دخله أحد لتكسر البيض، وتفسّخ نسج العنكبوت، وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود، وصح أن أبا بكر قال: يا رسول الله لو أنّ أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا فقال له ﷺ: ما ظنك باثنين الله ثالثهما، وإنما قال [أشار] الناظم بقوله: (ثاني اثنين) وهو حال بسكون الياء للوزن، كما قرىء به في الآية شاذاً على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الإعراب، إلى ما اختص به أبو بكر من الكرامة دون سائر الناس، فهو الثاني في الإسلام، وفي سفر الهجرة وفي بذل نفسه وماله وابنته لرسول الله ﷺ، ومن ثمة جوزي بكونه ثانياً وموازياً له ﷺ في قبره المكرّم، وما أحسن قول حسان رضي الله عنه:

وثـاني اثنين في الغـار المنيـف وقـد ... طاف العـدو بـه إذ صـاعـد الجبلا
وكان حب رسـول الله قـد علمـوا ... مـن الخلائـق لم يعـدل بـه بـدلا

ومعنى ثاني اثنين: واحد منهما أي لم يكن معه ﷺ في الغار غير أبي بكر، ولما اشتد خوفه على رسول الله ﷺ قال: إن قُتِلتُ فإنما أنا رجل واحد، وإن قُتِلتَ هلكت الأمة، قال ﷺ: لا تحزن إن الله معنا أي بالمعونة والنصر كما حكاه الله تعالى في الآية. وروي أن أبا بكر قال نظرت إلى قدمي رسول الله ﷺ في الغار وقد تقطّرتا دماً فاستبكيت وعلمت أنه لم يتعود الحفى والجفوة.

وروي أيضاً أنه دخل الغار قبله ﷺ ليقيه بنفسه، وأنه رأى فيه حُجراً فألقمه عقبه وقاية لرسول الله ﷺ، فجعلت الحيات والأفاعي يضربنه ويلسعنه، ودموعه تنحدر، وكان ﷺ نائماً على ركبته، فأصاب بعض دموعه الوجه الكريم، فقال ﷺ: ما لك يا أبا بكر؟ فقال: لُسِعْتُ فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله ﷺ فبرىء، ومدة مكثه ﷺ في الغار: ثلاث ليال، كما مرّ وهو المشهور، وقيل بضعة عشر يوماً.

وفي المواهب وغيره: واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر عبدالله بن الأريقط الليثي ليدلها على الطريق وحلف لهما فأتمناه وهو على الكفر، ولم يعرف له

إسلام، فدفعا إليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاهما براحلتيهما صبح الثالثة، وانطلق معهم: عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، فأخذ بهم الدليل على طريق سواحل البحر، ووقع له ﷺ في طريقه خوارق ليس هذا محل بسطها.

منها: أنه لما وصل إلى قديد، وهو محل قريب رابغ تعرض له سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي لأن قريشاً جعلت لمن يقتلها أو أسرهما ديتين من الإبل، قال سراقة: فركبت مستخفياً فلما دنوت منهما عثرت بي فرسي فحرزت ثم قمت وركبت حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يلتفت، ثم بكى أبو بكر وقال: يا رسول الله: أُتينا فقال ﷺ: كلاّ ودعى بدعوات فغاصت قوائم فرسي [فرسه] الأرض حتى بلغت الركبتين فخرّعتها ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج يداها، فطلب الأمان وقال: أعلم أنكما دعوتما عَلَيَّ، فادعوا لي ولكما، أن أردّ الناس عنكما ولا أضركما، قال: فوفيا لي فركبت فرسه حتى جئتها. قال: ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت: أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فأخبرتها بأخبار ما يريد بها الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يأخذا مني شيئاً، وقالا: إخف عنا، فسألته كتاباً آمن به، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب لي في رق من أدم، أخرجته له ﷺ يوم حنين، فنفذه ﷺ، وأمنني ومن يلوذ بي (٣٨٠).

ومنها: شاة أم معبد: عاتكة بنت خالد الخزاعية، ومسح ضرعها مع كونها في غاية الجهد، فدرت لبنها فسقوا حتى رَوَوا، كما سيأتي تفصيله، وذلك كما مرّ بقديد (٣٨١)، ولما سمع المسلمون بهجرته صاروا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه، فما يردهم إلاّ حر الظهيرة، فانتظروه يوماً وعادوا إلى بيوتهم، وصعد

(٣٨٠) انظر صحيح البخاري (٣٩٠٦).

(٣٨١) سيأتي الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى.

يهودي على موضع عال فرآه فنادى بأعلى صوته: هذا جدّكم أي حظكم يا بني قيْلَة أي الأوس والخزرج قد ظهر فخرجوا إليه مسرعين [سراعاً] بسلاحهم فتلقوه، الحديث كما في البخاري[٣٨٢]. (فنزلا) أي هو ﷺ وأبو بكر (في قباء) بالضم والمد مَوضِعٌ من قرى المدينة قريب منها. قال العز بن جماعة: لما انتهى ﷺ إلى بني عمرو بن عوف بقُباء نزل على كلثوم بن الهِدَم. وقيل: على سعد بن خيثمة والأول أثبت وذلك كان (في) يوم (الإثنين) ثاني عشر ربيع الأول على خلاف طويل فيه، وجزم بذلك النووي في الروضة وصحّحه ابن جماعة وغيره وأدركه علي كرّم الله وجهه بقباء، ولم يقم بعده ﷺ إلاّ ثلاثة أيام[٣٨٣]. ثم أمر ﷺ بالتاريخ فكتب من حين الهجرة[٣٨٤]، وقيل: إن عمر رضي الله عنه أول من أرّخ وجعله من المحرّم ذكره في المواهب، وتبعه ابن حجر[٣٨٥]، وقد مرّ أن بعضهم صحح الثاني، وأقام ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة كما في صحيح مسلم[٣٨٦] وأسس مسجدها وهو أول مسجد بني في الإسلام وصلّى فيه المسلمون عامة، ومن ثم كان الأصح أنه المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، وما ذكرنا في صحيح مسلم من مدة الإقامة يقدم على ما ذكره ابن إسحاق وهو المشهور عند أصحاب المغازي.

وخــرج الجمعــة جـــاء يثرب عنـد أبي أيـوب قبـل المغــرب

ويومىء إليه سياق كلام الناظم من أنه ﷺ، قام في قباء يوم الاثنين

---

(٣٨٢) رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٣٨٣) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ١١١).

(٣٨٤) رواه الحاكم في الإكليل من طريق ابن جريج عن أبي سلمة عن ابن شهاب أن النبي ﷺ أمر بالتاريخ فكتب في ربيع الأول، وهذا معضل والمشهور خلافه، كذا في الفتح (٧/ ٢٦٨).

(٣٨٥) انظر الفتح (٧/ ٢٦٨) وهو الصواب.

(٣٨٦) رواه البخاري (٣٩٣٢) ومسلم (٥٢٤).

والثلاثاء والأربعاء والخميس (وخرج) منها يوم (الجمعة) فأدركته صلاتها في الطريق فصلاّها في بني سالم بن عوف بمن كان معه من المسلمين وهم مائة في المسجد الذي في بطن الوادي وهو المشهور بمسجد الجمعة، فكانت أول جمعة صلاّها بالمدينة، فلما صلى ركب ناقته (وجاء يثرب) أي إلى المدينة فكلّما مرّ على دار من دور الأنصار يسألونه النزول عندهم ويأخذون بخطام الناقة [ناقته] ويقولون: يا رسول الله هلمّ إلينا، هلمّ إلى القوة والمنعة، فيقول ﷺ: خلّوا سبيلها يعني ناقتَهُ فإنها مأمورة، وقد أرخى زمامها، وما يحرّكها وهي تنظر يميناً وشمالاً حتى بركت على محل باب المسجد، وهو ﷺ عليها وما ينزل، ووثبت ثم سارت إلى أن بركت (عند) باب (أبي أيوب): خالد بن زيد الأنصار رئيس بني النجار أخوال جده: عبدالمطلب، ودور بني النجار كانت أوسط الانصار وأفضلها ثم سارت ومشت والتفتت خلفها ورجعت إلى مبركها الأول وألقت باطن عنقها بالأرض وصوتت من غير أن تفتح فاها فنزل عنها ﷺ وقال: هذا المنزل إن شاء الله تعالى فاحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته [قبل المغرب] ومعه زيد بن حارثة ثم أراده قوم في النزول عليهم فقال: المرء مع رحله (٣٨٧).

روى الحاكم وغيره أن أبا أيوب قال: نزل عليّ رسول الله ﷺ وكنت في العلو فلما خلوت إلى أم أيّوب قلت لها: رسول الله ﷺ أحق بالعلو منّا، تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فما بِتنا تلك الليلة، فلما أصبحنا قلت: يا رسول الله: ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب. قال ﷺ: لِمَ يا أبا أيوب؟ قلت: كنتَ أحق بالعلو مِنّا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي، لا والذي بعثك بالحق لنا علو سقيفة أنت تحتها أبداً الحديث (٣٨٨).

---

(٣٨٧) انظر الدلائل (٢/ ٢٢٥ - ٢٣٧).

(٣٨٨) رواه الطبراني (٣٨٥٥) والحاكم (٣/ ٤٦٠ - ٤٦١) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وفي المواهب قد ذكر أن هذا البيت الذي لأبي أيوب بناه تبع الأول له ﷺ لما مرّ بالمدينة وترك فيها أربع مئة عالم وكتب كتاباً للنبي ﷺ ودفعه إلى كبيرهم، وأمره أن يدفع للنبي ﷺ، فتداول الملاك الدار إلى أن صارت لأبي أيوب وهو من ولد ذلك العالم، والأنصار من أولاد أولئك العلماء فعلى هذا إنما نزل ﷺ إلا في منزل نفسه لا منزل غيره انتهى(٣٨٩).

وأخرج البيهقي عن أنس قال: لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرجت جوار من بني النجار بالدفوف يقلن:

نحن جوار من بني النجار   يا حبذا محمداً من جار

فقال ﷺ: أتحببني، قلن: نعم. وفي رواية الطبري، فقال ﷺ: الله يعلم أن قلبي يحبكم(٣٩٠)، وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون جاء رسول الله ﷺ فأشرقت المدينة بحلول المحبوب وسرى السرور إلى القلوب.

ولم يزل في بيته حتى بنا   مسجده الأعظم ثم المسكنا

[ولم يزل] ﷺ مقيماً [في بيته] أي أبي أيوب سبعة أشهر على الأصح [الصحيح] [حتى بنى مسجده الأعظم] الجامع الوارد في فضله أحاديث.

وكان ﷺ قبل بناء المسجد يصلي حيث أدركته الصلاة ولما أراد بناءه وكان موضعه مربداً لسهل وسهيل غلامين من بني مالك بن النجار طلب ﷺ اشتراءه

---

(٣٨٩) انظر الفتح (٧/ ٢٥٢).

(٣٩٠) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥) بإسنادين. أحدهما غير صحيح كما سيأتي، والثاني رواه أيضاً ابن ماجه (١٨٩٩) وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.
ورواه الطبراني في الصغير (١/ ٣٣) وهذه الزيادة التي نسبها إلى الطبراني عند الجميع.
وأما ما رواه المصنف فرواها البيهقي وفي إسنادها إبراهيم بن صرمة قال ابن معين في حقه: كذاب خبيث وضعفه غيره. وأما الرواية الصحيحة التي عند ابن ماجه والطبراني والبيهقي فليس فيها أن ذلك كان عند قدومه المدينة.

فامتنع بنو النجار من بيعه، وبذلوه لله عز وجل كما في الصحيح[٣٩١]، فأبى ﷺ واشتراها بعشرة دنانير أدّاها من مال أبي بكر رضي الله عنه وكان قد خرج من مكة بماله كله. قال أنس رضي الله عنه وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر المشركين فنبشت القبور وسويت الخرب وقطعت النخل بأمره ﷺ ثم أمر باتخاذ اللبن في بنائه فبناه بها وسقفه بالجريد وجعلت عمده من خشب النخل، وكان ﷺ ينقل معهم اللبن في بنائه[٣٩٢]. ثم جعل فيه موضعاً مظلّلاً سمي بالصّفّة ليأوي إليها فقراء الصحابة فسموا أهل الصفّة وكان ﷺ يفرقهم بالليل على أصحابه ويتعشى معه ﷺ طائفة منهم وجعل قبلة المسجد للقدس إلى أن تحولت [حولت] في السنة الثانية كما يأتي، وجعل له ثلاث أبواب، باب في مؤخره يسمى باب الرحمة وباب آخر يدخل منه وطوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مئة ذراع وفي الجانبين نحو ذلك، وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع [ثم] بنى [المسكنا] أي مساكن لأهله باللبن إلى جنب المسجد، وسقفها بجذوع النخل والجريد، ثم تحول ﷺ من دار أبي أيوب إلى مساكنه التي بناها وكان قد أرسل مولاه زيداً ومولاه أبا رافع إلى مكة فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأم أيمن، وخرج عبدالله بن أبي بكر معهم بعيال أبيه كما في المواهب وغيره.

وثمـــة زيـــد في صـــلاة الحضر   ونجـــل زيـــد الأذان قـــدري

(وثمة) أي في المدينة في السنة الأولى من الهجرة (زيد) بعد مقدمه ﷺ بشهر على الأصح، وجزم به الغيطي[٣٩٣]. وقيل: بعد الهجرة بعام أو نحوه [في صلاة الحضر] ركعتان وأقرت صلاة السفر ولم يزد في صلاة الفجر لطول

---

(٣٩١) انظر الفتح (٧/ ٢٤٦).

(٣٩٢) رواه البخاري (٤٢٨) ومسلم (٥٢٤).

((٣٩٣) مولد الغيطي (١٦/ ٢).

القراءة فيها، وفي صلاة المغرب لأنها وتر، وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها: فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر ﷺ إلى المدينة ففرض أربعاً وتركت صلاة السفر على الفريضة الأولى[٣٩٤]، وقيل: إنما فرضت أربعاً ثم خففت عن المسافر، ويدلّ له حديث: إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة. وقيل: إنما فرضت في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما: فرض الله تعالى الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين رواه مسلم[٣٩٥].

[ونجل] بتقديم النون على الجيم بمعنى الولد وهو عبدالله بن [زيد] بن ثعلبة ابن عبد ربه.

[الأذان] مفعول ثان لقوله [قد أري] بالبناء للمجهول ونائب الفاعل مستتر فيه عائد إلى نجل، أي وفي السنة الأولى أيضاً وقيل في الثانية نجل زيد قد أري الأذان في منامه، فقال كما في رواية ابن إسحاق وغيره[٣٩٦]: طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً فقلت له: أتبيعه؟ قال: وما تصنع به؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير لك؟ فقلت: بلى: قال: تقول الله أكبر الله أكبر وذكر كلمات الأذان. قال: ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال: إذا قمت إلى الصلاة فقل الله أكبر الله أكبر الى آخر كلمات الإقامة، ورواه أبو داود بإسناد صحيح[٣٩٧]. وكان الناس قبل ذلك كما في البخاري وكتب أهل السير إنما يجتمعون إلى الصلاة لمواقيتها من غير دعوة إليها، فشاور ﷺ فيما يجمعهم به؟ فقال بعضهم: ناقوس مثل ناقوس الذي يضربه النصارى لأوقات صلاتهم.

---

(٣٩٤) رواه البخاري (٣٥٠ و ١٠٩٠ و ٣٩٣٥) ومسلم (٦٨٥).

(٣٩٥) رواه مسلم (٦٨٧).

(٣٩٦) سيرة ابن هشام (٢/ ١٢٨).

(٣٩٧) رواه أبو داود (٤٩٥) والترمذي (١٨٩).

وقال آخرون: بوق مثل قرن اليهود (٣٩٨)، وقال بعضهم: بل نوقد ناراً يراها الناس لئلا تلتبس بشعارها (٣٩٩)، فذكر عبدالله بن زيد بعد ذلك رؤياه في الأذان فقال ﷺ: إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى، قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليأذن به فإنه أرفع صوتاً منك، قال: فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن قال: فسمع بذلك عمر رضي الله عنه وهو في بيته فخرج يجر رداءه ويقول: والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى (٤٠٠). وفي الأوسط للطبراني أن أبا بكر رضي الله عنه أيضاً رأى الأذان، وفي الوسيط للإمام الغزالي: أنه رأى بضعة عشر رجلاً (٤٠١)، وأنكره ابن الصلاح، ثم النووي وفي سيرة مغلطاي أنه رأى سبعة من الأنصار، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: ولا يثبت شيء من ذلك إلا لعبدالله بن زيد ولعمر في بعض الطرق انتهى (٤٠٢).

واستشكل إثبات حكم الأذان بما ذكر، لأن رؤيا غير الأنبياء لا يثبت بها حكم شرعي، أجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك كما يشعر به بعض الروايات، أوامره ﷺ بذلك باجتهاده لجواز الإجتهاد على مذهب الجمهور، ذكره الكرماني (٤٠٣).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح البخاري: ولا يصح شيء من الأحاديث التي تدل على أن الأذان شرع بمكة، وكذا لم يثبت أن الرسول ﷺ أذن بنفسه وفي السنة الأولى أيضاً (٤٠٤).

---

(٣٩٨) رواه البخاري (٦٠٤) و (٣٧٧) من حديث ابن عمر.

(٣٩٠) رواه البخاري (٦٠٦) ومسلم (٣٧٨) وغيرهما من حديث أنس.

(٤٠٠) تقدم في التعليق (٣٩٧).

(٤٠١) الوسيط (٢/ ٥٦٤) للإمام الغزالي. وحديث أبي بكر في مجمع البحرين (ص ٦٠).

(٤٠٢) انظر الفتح (٢/ ٧٨).

(٤٠٣) انظر الفتح (٢/ ٨٢).

(٤٠٤) انظر الفتح (٢/ ٧٨ - ٧٩).

اتخـــذ المنبـــر والأخـا حصــل وفــرض الزكـاة والربـا انتقــل

(اتخذ المنبر) أي أمر باتخاذه ليجلس عليه للخطبة، وجزم الغيطي: بأن الأمر باتخاذه، كان في السنة الثامنة من الهجرة(٤٠٥)، وقيل: في التاسعة قاله ابن الجوزي في مولده، فصنع له غلام نجّار لامرأة من الأنصار منبراً من أعواد له ثلاث درجات، فوضع موضعه الآن بمسجده الشريف، وكان قبل ذلك يخطب مستنداً إلى جذع نخلة من جذوع سقف المسجد، فلما جاوزه يوم الجمعة ليخطب على المنبر، حنّ الجذع وصاح حتى سمع جميع مَن في المسجد، كما جاء من طرق كثيرة صحيحة فنزل ﷺ، وضمّه إليه رحمةً به حتى سكن، وفي رواية: إن هذا بكى لما فُقِدَ عنده من الذكر وفي أخرى: والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوت هكذا إلى يوم القيامة تحزناً على رسول الله ﷺ، وسيأتي له زيادة تفصيل في المعجزات(٤٠٦) (و) فيها أيضاً (الأخا) بالقصر للوزن مصدر آخى يواخي مؤاخاةً وإخاءً (حصل) بعد قـومـه ﷺ بثمانيـة أشهر كما جـزم بـه الغيطي(٤٠٧)، أو خمسة أشهر كما جزم به في المواهب، بين المهاجرين والأنصار، وكانوا تسعين رجلاً من كل طائفة خمسة وأربعون، فآخا ﷺ بينهم على الحق والمواساة والتوارث، وكانوا كذلك إلى أن نزل بعد بدر: ﴿وأولـو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ الآية. وكان قبل الهجرة كما قاله ابن جماعة آخا بين المهاجرين على الحق والمواساة، ولما بلغ أصحابه ﷺ في الحبشة هجرته إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وثمان نسوة، فمات منهم رجلان بمكة وحبس سبعة منهم بمكة وانتهى البقية إلى النبي ﷺ بالمدينة وكتب ﷺ إلى النجاشي سنة سبع من الهجرة: أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ففعل، وقدموا

---

(٤٠٥) مولد الغيطي (١٧/ ٢).

(٤٠٦) سيأتي الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى.

(٤٠٧) مولد الغيطي (١٤/ ٢).

المدينة، فوجدوا رسول الله ﷺ بخيبر فرفعوا إليه، فوجدوه قد فتح خيبر، وكلّم المسلمين: أن يدخلوهم في سهامهم ففعلوا.

قال الحافظ الغيطي: وفي السنة الأولى أيضاً صلى رسول الله ﷺ صلاة الجنازة على البراء بن معرور بعد وفاته بشهر، وعلى تبع اليماني، وكان قد آمن بالنبي ﷺ قبل مبعثه بسبعمائة سنة، وهو أول من كسى البيت نقله ابن عبد البر. وكانت صلاته عليهما يوم قدومه ﷺ المدينة قاله ابن عماد، وفيها صلى صلاة الجمعة كما تقدم، وهي أول جمعة صلاّها، وأول خطبة خطبها في الإسلام انتهى[٤٠٨]. وفرضت الجمعة بمكة ولم تقم بها لفقدان العدد، أو لأن إشعارها الإظهار، وكان ﷺ مستخفياً بها، وأول من أقامها بالمدينة قبل الهجرة: أسعد ابن زرارة. (و) فيها أيضاً (فُرِضَ الزكاة) كما قاله ابن الجوزي في مولده، وقيل: فرضت في السنة الثانية قبل فرض رمضان، وأشار إلى اختياره النووي في الروضة، وجزم به المحقق ابن حجر، وجزم ابن الأثير في التاريخ بأن زكاة الفطر فرضت في السنة التاسعة، نظّر فيه بحديث ضمام بن ثعلبة وغيره[٤٠٩].

(و) فيها أيضاً (الوبا) بالقصر والمدّ والهمز، وهو الطاعون والمرض العام، يقال: أوبأت الأرض فهي مُوْبِئة، ووبأت فهي وبية. (انتقل) [من] أرض المدينة بدعائه ﷺ إلى غيرها، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

لا يدخل المدينة المسيح الدجال، ولا الطاعون[٤١٠] وجزم النووي في الأذكار

---

(٤٠٨) مولد الغيطي (١٦/ ٢ - ١٧/ ١).

(٤٠٩) أنظر الفتح (٣/ ٢٦٦).

(٤١٠) رواه مالك (٢/ ٢٠٤) والبخاري (١٨٨٠ و ٥٧٣١ و ٧١٢٣) ومسلم (١٣٧٩) وغيرهم.

كجماعة: لم يدخل المدينة أصلاً ولا مكة أيضاً [٤١١]، لكن نقل جمع أنه دخل مكة عام تسع وأربعين وسبعمائة بخلاف المدينة، فلم يؤكد أحد وقوعها بها [٤١٢] فصار من المعجزات لعجز الأطباء عن آخرهم أن يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية.

وفي حديث الإمام أحمد مرفوعاً: [أتاني جبريل بالحمّى والطاعون، فأمسكت الحمّى بالمدينة وأرسلت الطعون إلى الشام] [٤١٣] قال الحافظ ابن حجر: لما قدم ﷺ المدينة كان في قلة من أصحابه عدداً ومدداً، وكانت المدينة وبيئة كما في حديث عائشة، فخير بين الحمّى والطاعون الموجب كل منهما للأجر الجزيل، فاختارت الحمّى لقلة الموت [بها غـالبـاً] بخلاف الطـاعـون. ثم لما أذِن في القتـال واحتاج إلى الجهاد، وكانت الحمّى تضعف أبدانهم: دعى بنقل الحمّى إلى الجحفة فعادت المدينة أصح بلاد الله تعالى بعد أن كانت بخلاف ذلك انتهى [٤١٤].

وورد أنها وغبارها شفاء من الجزام والبرص وغيرهما، وكذلك تمرها، وفي حديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِك أبو بكر وبلال، وكان بلال يقول: اللّهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا، وصحّحها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة، قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبـأ

---

(٤١١) أنظر الأذكار (ص ١٣٠) والنووي ناقل للقول وسكت عليه. وانظر الفتح (١٠/ ١٩٠).

(٤١٢) في نسختي ونسخة القاضي فلم يذكر أحد وقوعه.

(٤١٣) رواه أحمد (٥/ ٨١) وابن حبان في الثقات (٥/ ٣٩٩) وابن عساكر (١/ ٣٤١ - ٣٤٢) من حديث أبي عبيد وتتمته «والطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجساً على الكافرين» وهو حديث صحيح.

(٤١٤) أنظر الفتح (١٠/ ١٩١) وقد تصرف الشارح في عبارته.

أرض الله تعالى [قالت] : وكانت بطحان يجري نخلاً تعني ماءً آجناً[٤١٥] . ثم نصب له ﷺ أحبار اليهود العداوة والبغضاء حسداً وبغياً ، بعد أن كانوا قبل مبعثه ومقدمه يظهرون الإيمان به ، ويقرّون بنبوته وانضم إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج منافقون ، فأظهروا الإسلام تقيةً ، ورأسهم : عبدالله بن أُبَي بن سلول ، فبالغوا في إيذائه ﷺ ، وهو متحمل كل ما صدر عنهم ، بل يعاملهم في الظاهر معاملة المسلمين وقد قيل له ﷺ : ألا تقتلهم ، فقال : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه[٤١٦] . ثم أذن الله تعالى لرسوله بالقتال بقوله تعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ أي بالقتال ﴿بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾ .

وكانت الصحابة يأتونه ﷺ من بين مضروب ومشجوج ، فيقول لهم : اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال ، حتى هاجر فأذن له فيه بعدما نُهِيَ عنه في نيف وسبعين آية .

قال الأئمة : وحكمة ذلك أنهم كانوا بمكة قليلين لا يطيقون جهاد أهلها ، فلما كثروا بالمدينة وقويت شوكة الإسلام وصارت المدينة وأهلها لهم ملجأ ، شرع الله تعالى جهاد أعدائهم ، فبعث البعوث والسرايا وغزا وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً .

وسيأتي بيان عدد مغازيه ﷺ ، وما قاتل فيه بنفسه ، فكان أول بعوثه ﷺ على رأس سبعة أشهر من مقدمه ، في رمضان على الأصح ، فبعث عمه حمزة رضي الله عنه في ثلاثين رجلاً من المهاجرين يعترض عيراً لقريش فيها أبو جهل اللعين ، فلقيه في ثلاثمائة راكب بسيف البحر ، فلما تصافوا حجز بينهم مُجدي ابن عمرو الجهني ، فلم يقع بينهم حرب[٤١٧] .

(٤١٥) رواه البخاري (١٨٨٩ و ٣٩٧٦ و ٥٦٥٤ و ٥٦٧٧ و ٦٣٧٢).

(٤١٦) رواه أحمد (٣/ ٣٩٢ - ٣٩٣) والبخاري (٣٥١٨ و ٤٩٠٥ و ٤٩٠٧) ومسلم (٢٥٨٤) والترمذي (٣٣٧٠).

(٤١٧) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٠).

ثم بعث عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية أشهر في ستين رجلاً، وعقد له لواءً أبيض حمله مسطح بن أثاثة يلقى أبا سفيان بن حرب، وكان على المشركين، وقيل: عكرمة بن أبي جهل في مائة مئتين، ولم يقع بينهما قتال، إلاّ أن سعد بن أبي وقاص رمى بسهم فكان أول سهم رمي في الإسلام قال ابن إسحاق: فكانت راية عبيدة فيما بلغنا أول راية عقدت في الإسلام، وبعض الناس يقول بل راية حمزة قال وإنما أشكل أمرهما لأنه ﷺ بعثهما معاً فاشتبه الأمر انتهى (٤١٨).

واستشكل بما مرّ أن بعث حمزة رضي الله عنه على رأس سبعة أشهر، ودفع باحتمال أنه ﷺ: عقد رايتهما معاً، ثم تأخر خروج عبيدة إلى رأس الثمانية لأمر، ثم بعث سعد بن أبي وقاص في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر إلى الخرار بخاء معجمة ورائين مهملتين واد بالحجاز، وعقد له لواءً أبيض حمله المقداد بن عمرو في عشرين رجلاً يعترض عيراً لقريش، فخرجوا على أقدامهم، فصبحوها صبح خامسة، فوجدوا العير فدمّرت بالأمس.

ثم غزوة ودان: خرج ﷺ في صفر على رأس اثني عشر شهراً من هجرته يريد قريشاً في ستين رجلاً وحمل اللواء حمزة رضي الله عنه، وكانت الموادعة أي المصالحة على أن بني ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعاً ولا يعينون عدواً، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه. قال ابن إسحاق وغيره: هي أول مغازيه ﷺ.

في سنة اثنتين كان في رجب نخلة والصوم لشعبان وجب

ولا ينافي ما في البخاري من أنّ أولها: الأبواء لأن الأبواء وودّان موضعان

---

(٤١٨) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٥٦ - ٢٥٩) والفتح (٧/ ٢٧٩ - ٢٨٠).
وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٣ - ٣٢٤) أيضاً.

متقاربان بينهما نحو ستة أميال(٤١٩). وهذه البعوث والغزوات وقعت في السنة الأولى كما عرفت، ولم يتعرض لها الناظم للاختصار ولعدم المقاتلة فيها، ما كان في سنة اثنتين من الهجرة (في سنة اثنتين) من الهجرة (كان) ووقع (في) شهر (رجب) غزوة (نخلة) المشهور بالمضيق على مسافة ليلة من مكة كما مرّ، بعث ﷺ إليها عبدالله بن جحش على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة ومعه ثمانية، وقيل: اثنى عشر من المهاجرين، يترصدون قريشاً، فمرت بهم عيرهم تحمل زبيباً وأدماً من الطائف، وفيها عمرو بن عبدالله الحضرمي، فتشاور المسلمون فقالوا: نحن في آخر يوم من رجب، فإن قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم ثم أجمعوا على قتالهم، فقتلوا عمرواً واستأسروا اثنين، وهرب البقية، واستاقوا العير، فكانت أول غنيمة في الإسلام، فقسمها ابن جحش رضي الله عنه، وعزل الخمس، ذلك قبل أن يفرض، وقيل: بل قدموا بها إليه ﷺ، فأخرها إلى غنيمة بدر فقسمها معها، وتكلمت قريش أن محمداً سفك الدماء وأخذ المال في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى ردّاً عليهم ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ الآية. وفي ذلك يقول عبدالله بن جحش:

تعـدون قتلى بـالحرم عظيمـة ... وأعظـم منـه لـو يـرا ذاك راشـدُ
صـدودكم عمـا يقـول محمـد ... وكفـر بـه والله راءٍ وشـاهـدُ
سقينا من ابـن الحضرمـي رمـاحنـا ... بنخلـة لما أوقـد الحرب واقـد

وبعثت قريش إليه ﷺ في فداء الأسيرين وهما: عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان فقبل فداءهما، فأسلم الحكم، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل شهيداً ببئر معونة، وذهب عثمان إلى مكة ومات بها كافراً(٤٢٠).

---

(٤٢٠) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٨ ـ ٢٤٣). وفيه

تعـدون قتـلاً في الحـرام عظيمـة ... وأعظـم منـه لـو يـرى الرشـد راشـد

وكان في هذه السنة أيضاً قبل نخلة غزوة بواط بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو آخرها طاء مهملة، غزاها ﷺ في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة حتى بلغها من ناحية رضوى بوزن سكرى في مئتين من أصحابه يعترض عيراً لقريش فيهم أمية بن خلف، واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مَظْعُون، فرجع ولم يلق كيداً أي حرباً [٤٢١].

ثم غزوة العشيرة بالشين المعجمة والتصغير آخره هاء، لم يختلف أهل المغازي في ذلك وفي البخاري: العُشَيْرة أو العُسَيْرَة بالتصغير أولها بالتصغير بلا هاء وثانيها بالمهملة وبالهاء ونسبة هذه الغزوة إلى المكان الذي وصلوا إليه، وهو موضع لبني مدلج بينبع، وخرج إليها ﷺ في جمادى الأولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة في خمسين ومئة رجل، وقيل: مئتين، ومعهم ثلاثون بعيراً يعتقبونها، وحمل اللواء الأبيض حمزة رضي الله عنه يريد عير قريش التي صدرت من مكة إلى الشام بالتجارة، فخرج إليها ليغنمها فوجدها قد مضت [٤٢٢].

ثم غزوة بدر الأولى قال ابن إسحاق: ولما رجع ﷺ من غزوة العشيرة لم يقم إلا نحو عشرة ليال حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدنية فخرج ﷺ في طلبه حتى بلغ صفوان بفتح المهملة والفاء موضع بناحية بدر، ففاته كرز ابن جابر، وتسمى بدر الأولى واستعمل على المدينة زيد بن حارثة كما قاله ابن هشام وحمل اللواء عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه [٤٢٣].

[و] فيها أيضاً [الصوم] أي صوم رمضان [لشعبان] أي في آخره كما جزم به الغيطي [٤٢٤] [وجب] وفي المواهب: وفرض بعد تحويل القبلة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة وهو لا يوافق قوله.

(٤٢١) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٣ - ٢٣٤).
(٤٢٢) أنظر الفتح (٧/ ٢٨٠).
(٤٢٣) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٨) والفتح (٧/ ٢٨٠).
(٤٢٤) مولد الغيطي (١٧/ ١) وانظر أيضاً زاد المعاد (٢/ ٣٠).

مع قبلة ثم غزاة بدر في رمضان مع زكاة الفطر

[مع] بسكون العين [قبلة] أي حال كون فرض الصوم مصاحباً لتحويل قبلة [القبلة] من بيت المقدس إلى الكعبة في كونه في شعبان أيضاً، وجزم الغيطي بأن تحويلها في نصف شعبان(٤٢٥) وقيل في نصف رجب(٤٢٦)، وعليه اقتصر البيضاوي، وقيل في جمادى الأولى، وقيل غير ذلك. وروى ابن سعد في طبقاته [الطبقات] أنه ﷺ صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه ودار معه المسلمون، ويقال إنه ﷺ زار أم البشر بن البراء في بني سلمة فصنعت له طعاماً وكانت الظهر فصلى ﷺ بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين ثم أمر فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب فسمي مسجد القبلتين.

قال ابن سعد: قال الواقدي: هذا عندنا أثبت انتهى(٤٢٧)، وهو صريح في أن الاستدارة كانت في صلاة الظهر ويوافقه ما عند النسائي من رواية أبي سعيد ابن العُلّي من أنها الظهر(٤٢٨). وظاهر حديث البراء في صحيح البخاري أنها كانت صلاة العصر(٤٢٩)، وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلى الفجر من اليوم الثاني كما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه قال بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة(٤٣٠)، وروى

(٤٢٥) مولد الغيطي (١٧/ ١) وهو الذي ذكره النووي في الروضة وأقره.

(٤٢٦) هذا هو الصحيح كما قال الحافظ في الفتح (١/ ٩٧) وبه جزم الجمهور.

(٤٢٧) رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٤١ - ٢٤٢) وفي إسناده الواقدي وهو متروك اتهم بالكذب.

(٤٢٨) رواه النسائي في الكبرى والبزار (٤١٩) والطبراني (ج ٢٢ رقم ٧٧٠).

(٤٢٩) رواه البخاري (٤٠ و ٣٩٩ و ٤٤٨٦ و ٧٢٥٢) وانظر الفتح (٩٧/١).

(٤٣٠) رواه البخاري (٤٠٣ و ٤٤٨٨ و ٤٤٩٠ و ٤٤٩١ و ٤٤٩٣ و ٤٤٩٤ و ٧٢٥١) ومسلم (٥٢٦) وغيرهما.

الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما : لما قدم ﷺ المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس تألفاً لليهود فاستقبلها سبعة عشر شهراً، وكان يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم عليه السلام لأنه أدعى للعرب، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فنزلت الآية [٤٣١].

ولما حولت قال سفهاء الناس من المنافقين واليهود : ما ولّيْنهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، فنزل في جوابهم: ﴿قل لله المشرق والمغـرب﴾ أي الحكـم والتصرف والأمر كله له تعالى فحيثما وجهنا فالطاعة في امتثال أمره، فنحن عبيده وخدّامه.

وقال بعض المؤمنين: فكيف صلاتنا التي صلّيناها نحو بيت المقدس، وكيف من مات مِن إخواننا هم يصلون إلى بيت المقدس؟ فنزلَ ﴿وما كان الله ليضيع أيمانكم﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس [٤٣٢].

(ثم) فيها أيضاً (غَزاتُ) هو بالفتح باسم الغزوة وهي المرة من الغزو، وأمّا بالضم فجمع غاز (بدرٍ) قرية مشهورة بين الحرمين نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة، كان نزلها، وقيل: إلى بدر بن الحارث حافر بئرها، وقيل: بدر اسم البئر التي بها سميت بـه لإستدارتها، أو صفائها ورؤية البدر فيها، وهذه الغزوة أعظم غزوات الإسلام، إذ بها كان ظهوره وبلوغه الغاية في القوة والإحكام، ويومها كما قال ابن كثير يوم الفرقان الذي أعز الله تعالى فيه الإسلام وأهله ودفع فيه الشرك وأدحض محله هذا مع قلـة [عـدد] المسلمين[٤٣٣] وعُدتهم وكثرة المشركين وعدتهم، ومن ثم امتن عليهم سبحانه وتعالى بقوله:

---

(٤٣١) رواه أحمد (٢٩٩٣) والطبراني (١١٠٦٦) والبيهقي (٢/ ٣) وفي إسناده الأعمش وهو مدلس وقد عنعنه.

(٤٣٢) تقدم حديث البراء وفيه ذكر ذلك.

(٤٣٣) أنظر تفسير ابن كثير (١/ ٤٠٠).

﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ وكان خروجه ﷺ بأصحابه يوم السبت لثنتي عشرة خلت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً كما في المواهب، ويقال لثمان خلون منه قاله ابن هشام، واستخلف على المدينة أبا لبابة الأنصاري وخرج معه الأنصار، ولم يخرجوا معه قبل ذلك، لاشتراطهم في بيعة العقبة أن ينصروه ﷺ بالمدينة فقط، وكان عدة من خرج معه ﷺ ثلاثمائة وخمسة كما في المواهب وأقرّه ابن حجر، وثمانية آخر منهم: عثمان رضي الله عنه لم يشهدوها وألحقهم ﷺ بهم في الأجر وضرب لهم بسهمهم فكانوا كمن حضرها، ومعهم ثلاثة أفراس (*) ليس لهم غيرها، وسبعون بعيراً، وعدة المشركين ألفاً، معهم مائة فرس وسبعمائة بعير، وكان قتالهم يوم الجمعة (في رمضان) لسبع عشرة خلت منه كما في المواهب وتبعه ابن حجر، وجزم الغيطي بأنه في السابع والعشرين منه، ولم يقصد ﷺ وأصحابه بخروجهم قتالاً، بل أخذ عير قريش التي قدم بها أبو سفيان من الشام في ثلاثين راكباً منهم: عمرو بن العاص بأموال عظيمة لقريش حتى وصلوا إلى قريب بدر فبلغ النبي ﷺ ذلك ونذب أصحابه إليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدد، فلما سمع أبو سفيان ذلك أرسل إلى قريش بمكة يستنفرهم فنهضوا في قريب من ألف مقنّع ولم يتخلف من أشرافهم غير أبي لهب، فلما بلغ ﷺ الدوحاء أتاه الخبر بمسير قريش في ذلك العدد والعدة، فاستشار ﷺ أصحابه في طلب العير وحرب النفير بعد أن نزل عليه جبريل عليه السلام وقال: إن الله تعالى وعدكم إحدى الطائفتين، إما العير وإما قريش، وكانت العير أحب إليهم فقال بعضهم: هلاّ ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له، إنا خرجنا للعير، فقال ﷺ: إن العير مضت على ساحل البحر (٤٣٤)، وهذا أبو جهل قد أقبل، فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب ﷺ، فقام أبو بكر فقال وأحسن ثم عمر كذلك ثم قام المقداد

(*) بل فرسان هما للمقداد والزبير.

(٤٣٤) لم أر هذا فيما لدي من المراجع.

ابن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله ما نقول لك ما قالت بنو إسرائيل: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فتبسم ﷺ ودعى بخير ثم قال ﷺ: أشيروا إليّ أيها الناس وأراد بهم الأنصار، حيث خاف منهم: أن لا ينصروه إلاّ من عدو دهمه بالمدينة لما مرّ من اشتراطهم في بيعة العقبة، فقام سعد بن معاذ، ووقع في مسلم سعد بن عبادة(٤٣٥) واعترض عليه فقال يا رسول الله: كأنك تريدنا، قال: أجل. قال: قد آمنا بك، وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن نلقى عدونا، إنا لصبر عند الحرب صُدُق عند اللقاء، ولعل الله تعالى يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى، ففرح ﷺ بقوله، ثم قال: سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم، وقال ثابت عن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ههنا وههنا فما تنحى أحد عن موضع يده ﷺ(٤٣٦)، ثم رحل رسول الله ﷺ فنزلوا على كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب، وسبقهم المشركون إلى الماء [ماء بدر] فعطش المسلمون وأصبح بعضهم محدث وبعضهم جنب فجاء الشيطان يوسوس كثيراً منهم [منكم] تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله، وقد سبقكم المشركون إلى الماء وأنتم عطاش محدثون مجنبون، فأرسل الله تعالى عليهم مطراً حتى سال الوادي، فطابت نفوسهم وثبتت أقدامهم على الرمل، وأذهب الله

---

(٤٣٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٣٧٧ - ٣٧٨) وعنه مسلم (١٧٧٩) قال الحافظ الفتح (٧/ ٢٨٨) وفيه نظر لأن سعد بن عبادة لم يشهد بدراً، وإن كان يعد فيهم لكونه ممن ضرب له سهمه.

(٤٣٦) أنظر الفتح (٧/ ٢٨٨).

عنهم رجز الشيطان[٤٣٧]، وبُنِيَ لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه ثم خرج عتبة ابن ربيعة فنهى عن القتال وقال يا قوم: إني أرى قوماً أي ملائكة متمسكين لا تصلون إليهم، يا قوم اعصبوا برأسي وقولوا جبن عتبة وقد علمتم أني لست بأجبنكم فسمعه أبو جهل فقال له: لقد ملئت رعباً، فقال له عتبة: إياي تعني يا مصفر أسته، رماه بأنه كان يزعفر أسته أي دبره، قيل كان بأسته برص فكان يصبغه بالزعفران، وقيل غير ذلك سيعلم اليوم أينا الأجبن[٤٣٨] ثم برز عتبة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد ودعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار فلم يرضوا بهم، وقالوا نحن قريش وأكفاؤنا قريش فأمر ﷺ ابن عمه عبيدة بن الحارث وعمه حمزة وابن عمه علياً رضي الله عنهم، فلما دنوا منهم وعرفوهم قالوا: أكفاء كرام ووقع في تمييز هؤلاء لأولئك خلاف.

وأصح الروايات كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: ما في رواية أبي داود عن عليّ كرم الله وجهه[٤٣٩] من أن حمزة بارز عتبة، وعلياً بارز شيبة، وعبيدة بارز الوليد، فأقبل حمزة إلى عتبة فقتله، وعلي إلى شيبة فقتله، واختلفوا بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كل منهما صاحبه، ثم مال حمزة وعليّ على الوليد فقتلاه واحتملا عبيدة.

قال الحافظ المذكور: لكن المشهور في السير: أنَّ الذي بارز الوليد هو عليّ، ويرجحه: أنه شاب مثله بخلاف الآخرين فكانا شيخين كالأولين والله أعلم، انتهى[٤٤٠].

---

(٤٣٧) هذه خرافة موضوعة .إلا أن قصة نزول المطر وسيل الوادي ذكرها ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٥٩) وانظر السيرة (٢/ ٤٣٢) لابن كثير.

(٤٣٨) لم أر هذا أيضاً فيما لدي من المراجع.

(٤٣٩) رواه أبو داود (٢٦٤٨).

(٤٤٠) أنظر فتح الباري (٧/ ٢٩٨).

ثم تزاحف الناس ورسول الله ﷺ في العريش وأبو بكر معه لا غير، وهو ﷺ يناشد ربه: ما وعده من النصر ويقول كما رواه ابن إسحاق: اللّهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان [اليوم] فلا تعبد في الأرض، وأبو بكر يقول: يا رسول الله ﷺ: خلّ بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك(٤٤١)، وفي رواية سعيد بن منصور: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم كثيرون وإلى المسلمين وهم قليلون، فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه، فقال ﷺ وهو في صلاته: اللهم لا تخذلني اللهم أنشدك ما وعدتني(٤٤٢).

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر، دخل العريش واستقبل القبلة ومد يده وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، فما زال يهتف ربه ماداً يديه حتى سقط رداءه عن منكبيه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك(٤٤٣)، فإن قيل كيف أمر أبو بكر النبي ﷺ بالكف عن الاجتهاد في الدعاء وقوة رجاءه [وقوي رجاؤه] وثبته، مع أن مقامه ويقينه أكمل بمراتب، أجيب: بأن الصديق إذ ذاك كان في مقام الرجاء وهو ﷺ في مقام الخوف، لأن له عز وجل أن يفعل ما شاء فخاف أن لا يعبد الله في الأرض فخوفه من هذه الجهة عبادة، وهو أكمل من مقام الرجاء بكثير كما قاله السهيلي، وبأن الحامل على ذلك الاجتهاد شفقته على أصحابه وتسكين نفوسهم لعلمهم بأن دعاءه مستجاب، وبأن الجهاد ضربان بالسيف وبالدعاء، فلما رأى أنصار الله يقاتلون والملائكة يمدّون، ومن صفة الإمام: أن يكون وراء الجند لا

---

(٤٤١) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٧).

(٤٤٢) رواه سعيد بن منصور في السنن (٢٨٧٢) من قول عبيد الله بن عبدالله.

(٤٤٣) رواه مسلم (١٧٦٣).

يقاتل بالغ ﷺ في الدعاء ليكون الكل في جد واجتهاد كما قاله الخطابي ثم أخذته ﷺ سنة من النوم، ثم استيقظ مبتسماً فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع أي الغبار [٤٤٤]. ثم خرج من باب العريش وهو يتلو: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ كما في الصحيح[٤٤٥]، ثم لما التقى الجمعان أخذ ﷺ كفاً من الحصى فرمى به في وجوههم فقال: شاهت الوجوه أي قبحت وخسرت فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا [٤٤٦].

قال جماعة منهم عبدالرحمن بن زيد بن أسلم أن هذا الرمي هو المراد من قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [٤٤٧] وإن كان قد فعل ذلك يوم حنين أيضاً أراد أن رميك لا يبلغ هذا المبلغ عادةً، فالذي منك مبدأ الرمي ومنا إيصاله، وأيّد [أمد] الله المؤمنين من الملائكة بألف في صور الرجال يقاتلون معهم ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما قاله الربيع بن أنس وغيره [٤٤٨]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين ومعه راية في صورة سراقة بن مالك فقال للمشركين: [لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم] فلما أقبل جبريل مع الملائكة كانت يده في يد رجل من المشركين فانتزعها ثم نكص على عقبيه فقال الرجل يا سراقة أتزعم أنك جار لنا؟ فقال إني أرى ما لا ترون [٤٤٩].

---

(٤٤٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٧) والسيرة لابن كثير (٢/ ٤٣٤).

(٤٤٥) رواه البخاري (٣٩٥٣).

(٤٤٦) أنظر السيرة لابن كثير (٢/ ٤٣٥).

(٤٤٧) أنظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٥) والسيرة (٢/ ٤٣٥) له.

(٤٤٨) أنظر تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠١).

(٤٤٩) رواه ابن جرير في تفسيره (١٦١٨٣) وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس فهو منقطع ومعاوية بن صالح صدق له أوهام، وعبدالله بن صالح كاتب الليث ضعيف. ورواه بنفس الإسناد البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٥٣ - ٣٥٤) بأطول من هذا وكذلك أبو نعيم في الدلائل (ص ٤٠٣ - ٤٠٤).

وروي أن بعض الملائكة كان على خيل بلق وثيابهم وعمائمهم بيض قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم، وعن ابن عباس أنّ عمائمهم سود وعن الزبير أنها صفر وجمع بأنه لا مانع من أنها كانت مختلفة الألوان، ولم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن مرزوق: وبقية المواطن يحضرون ولا يقاتلون، ونسب هذا القول إلى المجهول، ولكن صح في مسلم عن سعد بن أبي وقاص: رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله وعن شماله رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل يقاتلان كأشدّ القتال[٤٥٠].

قال النووي: وفيه ردّ على من زعم اختصاص قتالهم بيوم بدر[٤٥١]. وصعد مشركان كما رواه أبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في جَبَل يشرق على بدر ينظران الواقعة لينتهيا على ما يكون له الهزيمة فدنت منهما سحابة سمعا فيها حمحمة الخيل وقائلاً يقول أقدم حيزوم فانكشف قناع قلب أحدهم فمات مكانه وكاد الآخر أن يموت ثم أسلم[٤٥٢]. وحيزوم اسم فرس جبرائيل كما في القاموس وغيره، وصح عن بعض الأنصار قال: لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف[٤٥٣]. ووقعت له ﷺ يوم بدر معجزات:

منها سيف عكاشة. وسيأتي ذكره في المعجزات وأمر ﷺ بالقتلى من

(٤٥٠) رواه البخاري (٤٠٥٤ و ٥٨٢٦) ومسلم (٢٣٠٦).

(٤٥١) أنظر شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٦) للنووي.

(٤٥٢) رواه محمد بن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٣ - ٢٧٤) ومن طريقه أبو نعيم (ص ٤٠٦) والبيهقي (٢/ ٣٣٤ - ٣٣٥) كلاهما في دلائل النبوة وفي إسناده مجهول.

(٤٥٣) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٣٨) ورواه أيضاً الطبراني في الكبير (٥٥٥٦) من حديث سهل بن حنيف وفي إسناده محمد بن يحي بن زكريا الاسكندراني الحميري وهو متكلم فيه، راجع ترجمته في اللسان.

المشركين فطرحوا في القليب إلاّ أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فستروه بالتراب والحجارة قريباً من القليب[٤٥٤]. ثم وقف ﷺ وناداهم توبيخاً وتحقيراً وحسرةً بأسمائهم: هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً[٤٥٥]، فإني وجدت ما وعدني الله حقاً، وزاد ابن إسحاق: بئس العشيرة كنتم كذّبتموني وصدّقني الناس[٤٥٦].

وقال ﷺ لأصحابه حين قال عمر رضي الله عنه كيف تكلِّم أجساداً لا أرواح فيها: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون [أن يردوا] الجواب) [جواباً].

ومعنى قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ كما قال الأئمة: لا تسمعهم سماعاً نافعاً لهم[٤٥٧].

ورأى عبدالله بن مسعود أبا جهل اللعين قد صرع وهو يذب الناس بسيفه فقال الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله وقال: ما هو إلاّ رجل قَتَلَهُ قومه فجعل يضربه بسيفه وهو لا يصنع شيئاً حتى أصاب يده فسقط بسيفه فأخذه فضربه حتى قتله ثم جاء مبشراً للنبي ﷺ فقال انطلق فأرنيه فانطلق فرآه فقال ﷺ: الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله قتلت فرعون هذه الأمة[٤٥٨]، وجملة من

(٤٥٤) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٩) من حديث عائشة.

(٤٥٥) في كل الروايات فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً».

(٤٥٦) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٠) عن بعض أهل العلم.

(٤٥٧) قال شيخنا في مقدمة الآيات البينات (ص ٢٨) وهذا في نقدي قلب للتشبيه المذكور في الآيتين حيث جعل المشبه به مشبها، فإن القيد المذكور يصدق على موتى الأحياء من الكفار فإنهم يسمعون حقيقة ولكن لا ينتفعون من سماعهم كما هو مشاهد إلى آخر ما قاله. فالصواب أن الموتى لا يسمعون، وأما أهل القليب فإنهم سمعوا معجزة للرسول ﷺ في ذلك الوقت.

(٤٥٨) أنظر مسند أحمد (٣٨٢٤ و ٣٨٥٦ و ٤٢٤٦ و ٤٢٤٧) وسنن أبي داود (٢٧٠٥) والطبراني (٧٤٦٨ و ٧٤٦٩ و ٧٤٧٠ و٧٤٧١ و٧٤٧٢ و٧٤٧٣ و٧٤٧٤ و٧٤٧٥ و٧٤٧٦). وانظر صحيح البخاري (٣٩٦٢ و٣٩٦٣ و٤٠٢٠) وانظر الفتح (٧/٢٩٥ - ٢٩٦).

استشهد يومئذ كما في المواهب وغيره: أربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ستة من الخزرج واثنان من الأوس (٤٥٩)، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون (٤٦٠). من أفضلهم العباس وابنا أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل ابن الحارث، وكل أسلم، وقيل للعباس وكان جسيماً كيف أسرك أبو البسر وهو ذميم ولو شئت لجعلته في كفك فقال: ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة (٤٦١). وهي بالخاء المعجمة الجبل المشهور بمكة، وفي رواية رجالها ثقاة جاء رجل من الأنصار قصيرٌ بالعباس أسيراً، فقال العباس يا رسول الله: إن هذا والله ما أسرني لقد أسرني رجل أجنح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله فقال له رسول الله ﷺ: أسكت لقد أمدك الله بملك كريم (٤٦٢). وولّى عمر رضي الله عنه وثاق الأسرى فشد وثاق العباس فسمعه النبي ﷺ وهو يئنّ فلم يأخذه النوم، فبلغ ذلك الأنصار ففكّوا وثاقه رضاً لرسول الله ﷺ (٤٦٣)، وسألوه أن يتركوه له الفدى طلباً لتمام رضاه ﷺ فلم يجبهم (٤٦٤)، ثم استشار الناس في الأسارى فقام عمر رضي الله عنه وأجاب بضرب أعناقهم ثلاث مرات كما في حديث الإمام أحمد رضي الله عنه عن أنس رضي الله عنه فأعرض عنه ﷺ في كل مرة.

---

(٤٥٩) أنظر زاد المعاد (٣/ ١٨٨).

(٤٦٠) رواه البخاري (٣٩٨٦) من حديث البراء بن عازب.

(٤٦١) رواه البزار (١٧٨٠) ونسبه في مجمع الزوائد (٦/ ٨٥) إلى الطبراني أيضاً ولم أره في المعجم الكبير ولا الصغير. وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وهو من حديث ابن عباس.

(٤٦٢) رواه أحمد (٩٤٨) من حديث علي بن أبي طالب وهو حديث حسن.

(٤٦٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة العباس (ص ١٢٠) وابن سعد (٤/ ١٢ - ١٣).

(٤٦٤) رواه ابن عساكر (ص ١٢١).

فقام أبو بكر وأجاب بقبول الفدا منهم، فرضي ﷺ وقبله منهم، فأنزل الله تعالى:

﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ والكلام عليه في التفاسير مشهور.

روي أنه ﷺ قال: لو ينزل [نزل] العذاب نجى منه [منهم] إلاّ عمر وسعد بن معاذ، لأنه أشار بالقتل كعمر رضي الله عنه، ثم قال ﷺ: يا عباس إفدِ نفسك وابني أخيك: عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة ابن عمرو، فقال: إني كنت مسلماً ولكن استكرهوني، قال الله أعلم، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا رواه ابن إسحاق. وذكر موسى بن عقبة: أن فداءهم كان أربعين أوقية ذهباً، ولكن روى أبو نعيم في الدلائل بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه ﷺ جعل على العباس مائة أوقية وعلى عقيل ثمانين(٤٦٤)، وما ذكر أنه كان مسلماً سرّاً قبل ذلك هو ما عليه علماء التأريخ(٤٦٥) ولذا جاء أنه ﷺ قال: من لقي العباس فلا يقتله(٤٦٦)، وبعد أن رجع إلى مكة أراد الهجرة فكتب إليه ﷺ: أن مقامك بمكة خير، أي لأجل أنه كان يكتب أخبار المشركين إليه ﷺ، وقيل: إنما أسلم ببدر، لأنه خرج بعشرين أوقية ذهباً ليطعم بها المشركين، فذهبت منه في الحرب، فسأل النبي ﷺ أن يحسبها من فدائه فأبى، وقال: أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك، فقال: تركتني أتكفف قريشاً، قال: فأين الذهب الذي دفعته لأم

---

(٤٦٤) رواه أبو نعيم (ص ٤١١) وفي إسناده محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف فكيف يكون إسناده حسناً.

(٤٦٥) أنظر تاريخ ابن عساكر (ص ١١٦) وابن سعد (٤/ ٣١) وإسناده واه، والصحيح أنه أسلم يوم بدر كما قاله الحافظ.

(٤٦٦) لم أره مسنداً.

الفضل وقت خروجك من مكة، فقال: وما يدريك، قال: أخبرني ربي، فقال: أشهد أنك صادق فإن هذا لم يطلع عليه إلا الله، فأسلم حينئذ (٤٦٧).

وقيل: أسلم [قبل] فتح خيبر، وعلى كل من الأقوال لم يظهر إسلامه إلاّ في وقعة الفتح، فإنه خرج لملاقاة النبي ﷺ بالأبواء واستمر معه، وبه ختمت الهجرة، وكان فراغه ﷺ من بدر أول يوم من شوال، فبعث زيداً مولاه إلى المدينة بشيراً فوصلها ضحىً وقد نفضوا أيديهم من تراب قبر رقية بنت النبي ﷺ زوجة عثمان رضي الله عنه، وهذا هو الصحيح في وفاتها، ولأجلها تخلّف عثمان عن بدر (٤٦٨).

ثم أمر ﷺ عند انصرافه من بدر: عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر ابن الخطّاب بقتل عقبة بن أبي معيط اللعين الذي وطأ على عنقه ﷺ وهو ساجد كما في البخاري، فقتله صبراً (٤٦٩) ثم أقبل ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى، فلما خرج عن مضيق الصفراء قسم الغنيمة بين المسلمين على السواء وأمر علياً بالصفراء بقتل النضر بن الحارث فقتله صبراً (٤٧٠)، ثم مضى ﷺ، حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم فلما قدموا فرقهم بين الصحابة وقال: استوصوا بهم خيراً ولما قدم أبو سفيان بن الحارث عم النبي ﷺ من بدر مكة، سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش فقال: ما هو إلاّ أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض والله لا يقوم لها شيء، فقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ وكان غلاماً للعباس والله تلك الملائكة، فرفع أبو لهب

(٤٦٧) رواه أحمد (٣٣١٠) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ١١٧ - ١١٨) وفيه رجل مجهول، وهو من حديث ابن عباس.

(٤٦٨) أنظر دلائل النبوة (٢/ ٤٠١ - ٤٠٤) وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٥).

(٤٦٩) أنظر السيرة (٢/ ٤٧٣) لابن كثير. وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٧).

(٤٧٠) المصدر السابق وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٦).

يده فضرب وجهه، فقامت زوجة العباس أم الفضل إلى عمود فضربت به رأس أبي لهب وقالت: استضعفته أن غاب سيد، فما عاش اللّعين إلا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها لزعمهم أنها تعدّى أشد العدوى فتباعدت عنه بنوه حتى قتله الله تعالى، وبقي بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد جيفته ولا يحاول دفنه، فلما خافوا اللّوم في تركه حفروا له حفرةً في موضع موته بداره ثم دفعوه بعود في الحفرة [حفرته] وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه[٤٧١]. ذكره في المواهب وأقره ابن حجر، وزاد: ما يظن أن المحل الذي قرب الزهراء المشهور عند العامة بقبر أبي لهب هو قبره، لاأصل له، إنما هو قبر اللعين القِرمِطي الذي فعل بمكة الأفاعيل. وقوله (مع زكاة الفطر) حال كون غزاة بدر مصاحبة لزكاة الفطر في كونها في رمضان أيضاً، وفرضت قبل العيد بيومين كما قاله الغيطي وغيره، وفي هذه السنة أيضاً صلى ﷺ عيد الفطر وصلاة عيد الأضحى، وضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبح أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته[٤٧٢].

ثم بشـوال البنـا بفـاطمـة وعـائش وقينقـاع الظـالمة

(ثم) كان في هذه السنة أيضاً (بشوال) بترك التنوين للوزن أي فيه كما جزم به الغيطي وغيره (البِنا) بالقصر للوزن أي الدخول، والأصل فيه: أن الرجل كان إذا تزوج امرأة بنى عليها قبةً ليدخل بها فيها، ثم جعل كناية عن الدخول بها، وقوله (بفاطمة) متعلق بالبناء، قال الجوهري: يقال بنى الرجل على أهله ولا يقال بأهله. وردّه ابن الأثير باستعماله بالباء أيضاً في الحديث

---

(٤٧١) رواه ابن إسحاق ومن طريقه أحمد (٦/ ٩) والبزار (١٧٧٨) والطبراني (٩١٢) قال في المجمع (٦/ ٨٩) وفي إسناده حسين بن عبدالله بن عبيدالله وثقه أبو حاتم وغيره وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات. وهو من حديث أبي رافع.

(٤٧٢) مولد الغيطي (١٧/ ١).

وغيره، زوّجها ﷺ علياً كرم الله وجهه بوحي من الله عز وجل كما في الحديث على أربعمائة مثقال فضة، وكانت وليمته آصعاً من شعير وتمر وحيس كما أخرجه الدولابي، وجهازها خميلة وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف كما أخرجه الإمام أحمد (٤٧٣) وزيد في رواية سرير (٤٧٤)، وسنها حين التزويج خمس عشرة سنة وخمسة أشهر أو ستة ونصف وسنّ علي كان إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وبين التزويج والبناء بها سبعة أشهر ونصف كما قاله بعضهم وجزم به ابن حجر في شرح الهمزية. وقال الطبري في كتابه ذخائر العقبى: تزوجها في صفر في السنة الثانية وبنى بها في ذي الحجة. وقيل: غير ذلك.

(و) في شوال أيضاً كان بناؤه ﷺ بابنة الصديق (عائشٍ) بالتنوين وبالترخيم بحذف التاء للضرورة وهي بنت تسع سنين. (و) كان في شوال أيضاً على الأصح غزوة بني (قينقاع) بفتح القاف وتثليث النون، وضمها أشهر وهم بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر، وعلم مما قدرنا حذف مضافين على قينقاع ونيابته منابهما، ووصفهم بقوله: (الظالمة) لأنه أظلم طوائف اليهود الثلاثة بالمدينة أعني بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع، وأول من نقض العهد من اليهود وذلك أن الكفار كانوا بعد الهجرة على ثلاثة أقسام: قسم صالحهم ﷺ على أن لا يحاربوه ولا يحرضوا عليه عدواً وهو طوائف اليهود الثلاثة، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش وقسم تاركوه، وانتظروا ما يؤول إليه أمره، ومنهم من كان معه ظاهراً ومع عدوه باطناً كالمنافقين فنقض بنو قينقاع عهدهم بقتلهم مسلماً.

---

(٤٧٣) رواه أحمد (٦٤٣ و ٧١٥ و ٨١٩ و ٨٣٨ و ٨٥٣) والنسائي (٦/ ١٣٥) وابن ماجه (٤١٥٢) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٣٠).

(٤٧٤) لم أر هذه الرواية.

وكان من أمرهم أن امرأةً من العرب جلست إلى صائغ يهودي فراودها على كشف وجهها فأبت فعمد إلى طرف ثوبها فربطه إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين إلى الصائغ فقتله فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه ووقع الشرّ بين المسلمين وبني قينقاع (٤٧٥)، فسار إليهم النبي ﷺ، فحاصرهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة وكان اللواء الأبيض بيد حمزة رضي الله عنه، فقذف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ: على أن له أموالهم وأن لهم الذرية والنساء، ثم أمر الرسول ﷺ بتكتيفهم فكلّم وألح عليه ﷺ حليفهم اللعين المنافق عبد الله ابن أبي بن سلول حتى ترك ﷺ قتلهم، وأمر بإخراجهم من المدينة فلحقوا بأزرعات الشام، وأخذوا من حصنهم سلاحاً وآلةً كثيرةً.

وفي هذه السنة في شوال أيضاً سرية سالم بن عمير إلى أبي عفك اليهودي كان شيخاً كبيراً قد بلغ مائةً وعشرين سنة، وكان يحرص على النبي ﷺ ويقول فيه الشعر، فأقبل إليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش، فصاح عدو الله أبو عفك فثار إليه ناس ممن هو على قوله فأدخلوه منزله فقُتِلَ (٤٧٦).

وفيه أيضاً، وقيل: في المحرم سنة ثلاث خرج ﷺ يريد بني سليم، فبلغ موضعاً يُقال له الكُدْر، ويعرف بغزوة قرقرة وهي أرض ملساء، والكدر طير في ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع، فأقام ﷺ ثلاثاً، وقيل عشراً فلم يلق أحداً، وحامل اللواء علي كرم الله وجهه (٤٧٧).

وفيها أيضاً في آخر رمضان سرية عمير بن عدي الخطمي إلى عصماء بنت

---

(٤٧٥) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٦ - ٢٢٩) والطبقات (٢/ ٢٩).

(٤٧٦) أنظر طبقات ابن سعد (٢/ ٢٢٨).

(٤٧٧) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢١ - ٤٢٢) والطبقات (٢/ ٣١).

مروان زوجة يزيد بن زيد الخطمي وكانت تعيب الإسلام وتؤذي رسول الله ﷺ، فجاءها ليلاً فقتلها، ثم صلى الصبح معه ﷺ بالمدينة، وأخبره بذلك فقال: لا ينتطح فيها عنزان أي لا يعارض فيها معارض ولا يسأل عنها فإنها هَدَرَ دَمَهَا، (٤٧٨)، قال الأئمة: وهذا من الكلام الوجيز الذي لم يسبق إليه ﷺ وله نظائر.

وفيها أيضاً غزوة السويق في أول ذي الحجة على الأصح، وسميت غزوة السويق لأنه كان أكثر زاد المشركين، وغنمه المسلمون، واستخلف أبا لبابة، وسببها: أن أبا سفيان حين رجع بالبعير من بدر إلى مكة، نذر أن لا يمس النساء والدهن حتى يقاتل [يغزو] محمداً ﷺ، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبرّ يمينه حتى أتوا العريض ناحية من المدينة على ثلاثة أميال، فحرقوا نخلاً وقتلوا رجلاً من الأنصار، فرأى أبو سفيان أن قد أغلت يمينه، وانصرف بقومه راجعين، وخرج ﷺ في طلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار، وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون حرب السويق حتى يتخففوا للهرب فيأخذها المسلمون، ولم يلحقهم ﷺ فرجع وكانت غيبته خمسة أيام (٤٧٩).

سنة ثلاث غطفان وأحد وحرّم الخمر وحسن ولد

(وما كان في سنة ثلاث سنة) بسكون الهاء إجراء للوصل مجرى الوقف (ثلاث) من الهجرة لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول كانت (غطفان) [أي غزوة غطفان] وتسمى غزوة ذي أمر بفتح الهمزة والميم موضع بديار غطفان، وسماها الحاكم غزوة أنمار، وهي بناحية نجد وسببها أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة، جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي

---

(٤٧٨) أنظر الطبقات (٢/ ٢٧ - ٢٨)

(٤٧٩) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٢ - ٤٢٣) والسير والمغازي (ص ٣٢٢ - ٣٣٦) لابن إسحاق والطبقات (٢/ ٣٠) والدلائل للبيهقي (٢/ ٤٣٢ - ٤٣٤).

وسماه الخطيب: غورث، وغيره غورك، وكان شجاعاً، فندب ﷺ المسلمين، وخرج في أربعمائة وخمسين فارساً، واستخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما سمعوا بمهبطه ﷺ هربوا في رؤوس الجبال، فأصابوا رجلاً منهم من بني ثعلبة فأدخل ﷺ، فدعاه إلى الإسلام فأسلم، وضمه إلى بلال، وأصاب النبي ﷺ مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم ينظرون، فقالوا لدعثور: قد انفرد محمد فعليك به، فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه ﷺ، فقال: من يمنعك عني اليوم؟ فقال: الله عز وجل فدفع جبريل في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه ﷺ، فقال من يمنعك مني؟ فقال لا أحد، وأنا أشهد أن لا آله إلا الله وأنك رسول الله فتركه، ثم جاء إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس، ودعاهم إلى الإسلام وأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾ الآية. ويقال: كان ذلك في ذات الرقاع، ثم رجع ﷺ ولم يلق كيداً، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلةً (٤٨٠).

(و) فيها أيضاً اتفاقاً يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال، وقيل: في نصفه كانت غزوة (أحد) بضمتين جبل مشهور بالمدينة على أقل من فرسخ منها يُسمى به لتوحيده وانقطاعه عن جبال أخر هناك، وفيه قبر هارون أخ موسى عليهما السلام.

وسببها كما ذكره ابن اسحاق وموسى بن عقبة وابن سعد عن شيوخهم (٤٨١): أنّ قريشاً أرادوا أخذ ثأرهم مما وقع لهم ببدر، فطلب جماعة ممن قتل آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم من أصحاب العير التي سلمت مع أبي سفيان أن يعينوهم بذلك المال على حربه ﷺ فأجابوا لذلك، فباعوا المال وكانت ألف بعير وخمسين ألف

(٤٨٠) أنظر الطبقات (٢/ ٣٤ ـ ٣٥) ودلائل النبوة (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٧).

(٤٨١) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣ ـ ٨) والطبقات (٢/ ٣٦ ـ ٤٠).

دينار، فكتب إليه عمه العباس يخبره بذلك فاجتمعوا للمسير إليه ﷺ، فجاؤوا حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة، فرأى رسول الله ﷺ ليلة الجمعة بقراً تذبح وثَلْماً في ذباب سيفه وأنه أدخل يده في درع حصينة، فلما أصبح ذكر الرؤيا لأصحابه، فأول البقر بموت جماعة من أصحابه، والثلم بموت رجل من أهل بيته وهو حمزة رضي الله عنه، والدرع بالمدينة وأنهم يعودون إليها، ثم قال ﷺ لأصحابه: امكثوا فإن دخل قوم الأزقة قاتلناهم، ورُموا من فوق البيوت، فقال رجال من المسلمين لم يشهدوا بدراً وأسفوا على ما فاتهم منها: يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم، اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا منهم، فصلى ﷺ بالناس الجمعة ثم وعظهم وحرضهم على الجد والاجتهاد وأخبرهم بأن لهم النصر ما صبروا، ففرحوا، ثم صلى بهم العصر وحضر أهل العوالي ثم دخل ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمّماه وألبساه والناس ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج، فردوا الأمر إليه، فلما خرج لابساً لأمته وهي بالهمزة وقد تخفف الدرع متقلداً سيفه، ندموا جميعاً على ما صنعوا، فقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت فقال: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند الإمام أحمد والنسائي والطبراني وصححه الحاكم: نحو ما ذكر عن ابن اسحاق(٤٨٢)، ثم عقد ﷺ ثلاثة ألوية، لواءٌ للأوس بيد أسيد بن حضير، ولواءٌ للخزرج بيد الحباب بن المنذر، ولواءٌ للمهاجرين بيد علي كرم الله وجهه، وكانوا ألفاً ومائة درّاع. وكان المشركون ثلاثة آلاف وسبعمائة درّاع ومائتا فارس وثلاثة آلاف بعير، وخمس عشرة امرأة.

---

(٤٨٢) أنظر الحديث عند أحمد (٢٦٠٩) والطبراني (١٧٣١) والحاكم (٢/٢٩٦ - ٢٩٧) ولم يروه النسائي، ورواه الحاكم (٢/ ١٢٨ - ١٢٩).

وخرج السعدان سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج درّاعين يعدوان أمامه ﷺ، فنزل النبي ﷺ عند أحد ورجع عنه عبد الله بن أبي المنافق بثلاثمائة من أتباعه المنافقين، ثم صف المسلمون بأصل أُحُد والمشركون بالسبخة وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل، وجعل ﷺ: عبد الله بن جبير على الرماة الذين يحمون ظهورهم وهم خمسون رجلاً وأمرهم أن لا يبرحوا من مكانهم مطلقاً، غَلَبَ المسلمون أو غُلبوا حتى يرسل إليهم ﷺ، كما في البخاري وغيره(٤٨٣) ثم قاتل حمزة رضي الله عنه حتى قتل بعض ساداتهم، وقاتل علي كرم الله وجهه فقتل صاحب لوائهم والتقى حنظلة الفسيل وأبو سفيان فضربه شداد بن أوس فقتله فرأى النبي ﷺ الملائكة تغسله لكونه خرج جنباً ولم يتمكنه الغسل كما أخبرت بذلك امرأته جميلة، ثم كرّ حمزة على من حمل اللواء منهم ثانياً فقطع يده وكتفه وممن أثخن القتل في المشركين: أبو دجانة سمّاك بالسيف الذي قال فيه رسول الله ﷺ: من يأخذه بحقه فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، ثم قام إليه أبو دجانة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به في وجه العدو حتى يثخن، قال: أنا آخذه، فأعطاه إياه فأخذه وعصب رأسه بعصابة حمراء إشارةً الى الموت، وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، فلما رآه ﷺ يتبختر قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فانهزم الكفار هزيمة فاحشة حتى صارت نساؤهم صائحين بالويل [حتى صاحت نساؤهم بالويل] وتبعهم المسلمون ينهبونهم، فأراد الرماة [الانصراف] أن ينصرفوا عن موقعهم للغنيمة، فقال أميرهم عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ فأبوا وانصرفوا للغنيمة، فلما أتوا الناس حرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين لشؤم

---

(٤٨٣) رواه البخاري (٣٠٣٩ و ٣٩٨٦ و ٤٠٤٣ و ٤٠٦٧ و ٤٥٦١) وأبو داود (٢٦٦٢) من حديث البراء .

مخالفتهم قوله ﷺ، وصاح ابليس حينئذ كما في البخاري[٤٨٤] أي عباد الله أُخراكم فرجع المسلمون، واختلط العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض وكرّ خالد بن الوليد وتبعه عكرمة على من بقي من الرماة، فقتلوهم مع أميرهم عبدالله بن جبير وخرج مشرك فقال: هل من مبارز فخرج إليه حمزة فشد عليه فقتله، وكان وحشي عبد عقبة كامناً تحت صخرة فلما دنى منه تبعه ورماه بحربته فخرجت من بين وركيه كما في البخاري[٤٨٥]. فاستشهد بعد أن قتل أحداً وثلاثين كافراً. وقاتل مصعد بن عمير رضي الله عنه دون رسول الله ﷺ حتى قُتِل قَتَلَه ابن أبي قمئة يظنه رسول الله عليه الصلاة والسلام، فصاح أن محمداً قُتل، فانهزم طائفة من المسلمين إلى جهة المدينة وتفرق سائرهم، وفشا القتل فيهم حتى قُتِل منهم سبعون، وثبت رسول الله ﷺ حتى انكشفوا عنهم وثبت معه أربعة عشر سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر وسبعة من الأنصار، وفي البخاري لم يبق معه ﷺ إلا اثنى عشر، وصاح أبو سفيان ثلاثاً: أفي القوم محمد؟ فنهاهم ﷺ: أن يجيبوه ثم قال ثلاثاً: أفي القوم ابن أبي قحافة ثم قال: أفيهم عمر؟ ثم رجع إلى أصحابه فِنادى: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال: كذبت يا عدو الله إن الذين ذكرت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوؤك[٤٨٦]. ثم توجه ﷺ يلتمس أصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه الشريف فأدموه وكسروا رباعيته، فالذي رماه وجرح وجهه عبدالله بن أبي قميئة فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته الشريفة فانتزعها أبو عبيدة بن الجراح بأسنانه فسقطت ثنيتاه من شدة غوصها في وجهه، والذي كسر رباعيته اليمنى وجرح شفته السفلى عتبة أخو سعد بن أبي وقاص ومن ثم لم يولد له ولد فيبلغ إلاّ وهو أبخر أي مكسور الثنايا

(٤٨٤) رواه البخاري (٤٠٦٥) من حديث عائشة.
(٤٨٥) رواه البخاري (٤٠٧٢) من حديث وحشي.
(٤٨٦) وتقدم آنفاً من حديث البراء.

من أصلها وفي رواية الطبراني أن الذي كسر رباعيته هو ابن أبي قميئة، ولما رماه قال: خذها وأنا ابن أبي قميئة فقال ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه: أقمأك الله فسلّط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعةً قطعةً(٤٨٧). وشجّه عبدالله بن هشام الزهري في جبهته، وفي رواية وهشموا البيضة أي كسروا الخوذة على رأسه ورموه بالحجارة حتى سقط في حفرة، فأخذ عليّ كرم الله وجهه بيده واحتضنه طلحة حتى استوى قائماً، وكانت لطلحة يومئذ اليد البيضاء لأنه وقى النبي ﷺ بيده فشلت لما ضرب ﷺ بالسيف فشج وجهه وكان الصديق رضي الله عنه إذا حدث عن يوم أحد يبكي [بكى]، وقال ذلك [كله] لطلحة وقد قال له ﷺ يومئذ: أوجب طلحةُ أي عمل عملاً أوجب له الجنة وذلك أنه ﷺ كان قد ظاهر بين درعين، فأراد أن يصعد صخرةً هنالك فصُعب عليه فبرك له طلحة فصعد على ظهره فاستوى عليها فقال له ﷺ أوجب طلحة، وثبت مع النبي ﷺ يومئذ ولازمه وبايعه على الموت ووقاه بنفسه فوقع به نحو بضع وسبعين من طعنة وضربة ورمية كما في الحديث. ولما سال الدم على وجهه الكريم جعل يمسحه ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ رواه الإمام أحمد والنسائي والترمذي(٤٨٨).

وعن الأوزاعي بلاغاً أنه ﷺ لما نشف الدم قال: لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء، ثم قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون(٤٨٩). أي اغفر لهم هذه الزلّة لا مطلقاً، وإلا لأسلموا [أسلم] كلهم

---

(٤٨٧) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٥٩٦) وفي مسند الشاميين (٤٥٣ و ٣٤٢٤) وفيه حفص بن عمر بن ميمون الايلي وهو ضعيف وكذبه أبو حاتم. وهو من حديث أبي أمامة.

(٤٨٨) رواه أحمد (٣/ ٩٩ و ١٧٩ و ٢٠١ و ٢٠٦ و ٢٥٣ و ٢٨٨) ومسلم (١٧٩١) والترمذي (٤٠٨٨) من حديث أنس.

(٤٨٩) هو عند ابن عائذ كما في الفتح (٧/ ٣٧٢ - ٣٧٣).

لاستجابه دعائه ﷺ، وفي مرسل قَوِيٍّ ضربَ وجهه ﷺ [يومئذ] بالسيف سبعين ضربةً وقاه الله تعالى شرها (٤٩٠). وقاتلت أم عمارة بنت كعب المازنية يوم أحد، فخرجت أول النهار تذب بسيفها وترمي من قوسها فلما انهزم المسلمون انحازت إلى النبي ﷺ تذب عنه، فجرحها ابن قميئة في عاتقها حين اعترضت له لما أراد النبي ﷺ قائلاً دلوني على محمد لا نجوت إن نجا فضربته ضربات، لكن عدو الله عليه درعان ذكره ابن هشام (٤٩١). وتَتَرَّسَ دونه ﷺ يومئذٍ كما ذكره ابن إسحاق (٤٩٢) أبو دجانة بنفسه فيقع النبل في ظهره وهو ينحني عليه ﷺ لئلا تصيبه، فكثر وقوع النبل فيه، وهو لا يتحرك وكان سعد بن أبي وقاص يرمي دونه ﷺ فصار يناوله النبل حتى ما لا نصل له ويقول له إرم فداك أبي وأمي قال سعد: فلم يجمع ﷺ أبويه لغيري، فكان يفتخر، فشتان بين الأخوين سعد وعتبة المذكور والله الهادي، ووقعت له ﷺ [يومئذ] منها ردّ عين قتادة كما سيأتي في المعجزات واشتغل المشركون يومئذ بقتلى المسلمين يمثلونهم بقطع الآذان والأنوف والفروج، وشق البطون، وبقرت هند عن كبد حمزة رضي الله عنه فلاكتها فلم تستطع بلعها فألقتها، وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله وأشراف أصحابه، وأول من عرف رسول الله ﷺ بعينيه الكريمتين تحت المغفر كعب بن مالك فنادى بأعلى صوته: هذا رسول الله ﷺ، فنهضوا إليه ونهض معهم نحو الشعب، فأدركه اللعين أبيّ بن خلف، وهو يقول: أين محمد لا نجوت إن نجا فقالوا: يا رسول الله يعطف عليه رجل منا، فقال ﷺ: دعوه، فلما دنى تناول ﷺ الحربة من الحارث بن الصمت، فانقض بها انقضاضة عظيمةً ثم طعنه طعنةً وقع بها عن فرسه وقد كسر ضلعه، فلما رجع إلى قريش

---

(٤٩٠) أنظر الفتح (٧/ ٣٧٢).

(٤٩١) رواه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٤١٢ ـ ٤١٣) عن الواقدي بإسناده والواقدي متروك كذبه بعضهم وأورده ابن هشام بدون إسناد (٢/ ٢٩ ـ ٣٠).

(٤٩٢) أنظر كتاب السير والمغازي لابن إسحاق (ص ٣٢٨).

قال: قتلني والله محمد، أليس قد كان يقول لي بمكة: أنا أقتلك؟ فوالله لو بصق عليّ لقتلني، فمات عدو الله بسرف وهم راجعون إلى مكة (٤٩٣).

وفي رواية للبيهقي وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مات ببطن رابغ، ولما انتهى ﷺ إلى فم الشعب ملأ عليّ كرم الله وجهه درقته من المهراس وهو صخرة كبيرة منقورة تسع كثيراً من الماء، فغسل بها وجه رسول الله ﷺ من الدم وصبّ على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه ﷺ (٤٩٤)، وصلى رسول الله ﷺ يومئذ الظهر قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه (٤٩٥). ولما انصرف المشركون أشرف أبو سفيان على الجبل، ونادى بكلام منه: أعلُ هُبَل بضم الهاء صنم معروف لهم، فقال ﷺ لعُمر: أجبه وقل: الله أعلى وأجلّ، ثم قال عمر: قتلانا في الجنّة وقتلاكم في النار، فقال أبو سفيان: [إن] لنا العزى ولا عزى لكم أي صنم آخر لهم، فقال ﷺ: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، ثم نادى أيضاً إن موعدكم بدر العام القابل، فقال ﷺ لبعض أصحابه: قل نعم وهو بيننا وبينكم موعد (٤٩٦).

ذكر الطبراني أنه بعد انصراف المشركين، خرجت النساء إلى الصحابة، فكان فيهم فاطمة رضي الله عنها فلما لقته ﷺ اعتنقته، وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم، فأخذت شيئاً من الحصير وأحرقته وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم، ثم أرسل ﷺ كما ذكره الواقدي: محمد بن مسلمة فنادى في القتلى يا سعد بن الربيع مراراً فلم يجبه، قال أرسلني إليك رسول الله ﷺ انظر ما صنعت؟ فأجابه بصوت ضعيف فوجده في [بين] القتلى وبه رمق،

---

(٤٩٣) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢ - ٣٣).

(٤٩٤) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٤).

(٤٩٥) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٦).

(٤٩٦) أنظر سيرة ابن هشام (٢/٤٥).

فقال: أبلغ عنّي رسول الله السلام وقل له: جزاك الله عنا خير ما جزى [به] نبياً عن أمته، وأبلغ قومك يعني الأنصار عني السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله أن تخلفوا [يتخلّفوا] عن نبيكم وفيكم عين تطرف، ثم مات(497)، ثم خرج ﷺ يلتمس حمزة رضي الله عنه، فوجده ببطن الوادي قتيلاً مُثّلَ به، فاشتد وجعه ﷺ وقال: لن أُصاب بمثلك أبداً وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول: يا حمزة يا عمّ رسول الله يا أسد الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكروبات يا حمزة يا ذابّ عن وجه رسول الله، وهذا منه ﷺ إخبار بفضائله، لا نوح ولا تعديد.

وفي رواية قال ﷺ لما رآه: رحمة الله عليك لقد كنت فعولاً للخيرات، وصولاً للرحم أما والله لأمثلن بِسَبْعين من مكانك فنزلت: ﴿واصبر وما صبرك إلاّ بالله﴾ الآية. فصبر وكفّر عن يمينه(498) ومُثّلَ أيضاً بابن أخت حمزة عبدالله ابن جحش(499)، ولذا يسمى بالمجدّع في الله تعالى ودفن معه في قبر واحد وورد في فضائل قتلى أحد من المسلمين أحاديث:

منها: ما رواه أبو بكر بن مَردَوَيْهِ أنه ﷺ قال لجابر: (إن الله عز وجل كلّم أباك كفاحاً فقال: سلني أُعْطِ، قال: أسألك أن تردني إلى الدنيا فَأُمَثّل فيك ثانيةً فقال له الرب عز وجل: أنه سبق مني أن لا يرجعون إلى الدنيا، قال أي رب فأبلغ مَن ورائي، فأنزل الله: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء﴾ الآية(500). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لما أصيب أخوانكم بأُحُد: جعل الله تعالى أرواحهم في أجواف طير

---

(497) انظر سيرة ابن هشام (2/ 47).

(498) روى هذه الرواية البزار (1795) والطبراني في الكبير (2937) والحاكم (3/ 197) وغيرهم وهي ضعيفة، انظر تعليقنا على معجم الطبراني.

(499) انظر ترجمة عبدالله بن جحش في الإصابة ومجمع الزوائد.

(500) لقد أبعد الشارح النجعة فقد رواه الترمذي (4097) وابن ماجه (190 و 2800).

خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مَقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد وقال الله عز وجل: أنا أبلّغهم عنكم فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين﴾ الآيات رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى [٥٠١]. وما ذكرنا ملخص ما وقع في أحد وتفاصيله في المطولات.

(تنبيه) في هذه الغزوة وما أصيب به المسلمون فيها فوائد جليلة وحكم ربانية:

منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة معصية نبيهم، وشؤم مخالفته، أولاً باستكراههم إياه ﷺ على الخروج، وقد اقتضى نظره السديد عدم ذلك، بمخالفة الرماة بترك مواقفهم التي أمرهم النبي ﷺ بملازمتها، وأن لا يبرحوا منها مطلقاً.

ومنها: أن يستن ﷺ بسنة من قبله من الرسل، فإن عادتهم أن يبتلوا ثم تكون لهم العاقبة، وحكمته تمحيص المؤمنين [الصادقين] وتمييزهم عن المنافقين، إذ لو انتصروا دائماً لم يحصل تمييز إذ يدخل فيهم من ليس منهم ليحفظ بينهم، ولو هزموا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة وقد كان نفاق المنافقين مخفياً، فأظهرته هذه الغزوة [القصة] برجوع ثلاثمائة منافق قبل القتال كما مرّ، فعرف المسلمون أنهم [أن لهم] أعداء بين أظهرهم فتحرّزوا منهم.

ومنها: عظيم الابتلاء بكسر النفس وتجرع مرارة الصبر [٥٠٢].

ومنها: الوصول بذلك الابتلاء وتلك المحن والشهادة إلى مراتب عالية لا تنال بالأعمال.

---

(٥٠١) رواه الإمام أحمد (٢٣٥٨ و ٢٣٥٩) والحاكم (٢/ ٢٩٧ - ٢٩٨) وابن جرير في تفسيره (٨٢٠٥) وابن المبارك في الجهاد (٦٢) وأبو داود (٢٥٢٠) والبيهقي (٩/ ١٦٣).

(٥٠٢) في نسختي مرارة القبر وهو خطأ.

[تنبيه] آخر من قال: إنه ﷺ هزم كفر، فإن تاب وإلاّ ضربت عنقه، وهذا مذهب الشافعية كما في المواهب وغيره، ومذهب المالكية والحنفية: أن السابّ يُقتَل حداً وإن تاب، وهذا سبٌّ بلا نزاع، إذ لا يجوز عليه ﷺ ذلك، لكونه على يقين من عصمته تعالى له فليقتل عندهم مطلقاً، خلافاً لما وقع في الشفاء عن بعض أئمتهم، ذكره الشهاب ابن حجر في أسنى المطالب فتأمله. (و) فيها أيضاً على الأصح، وقيل: في السنة الرابعة (حُرِّمَ الخمر) أي حرم الله تعالى شربها في شوال، قال أبو هريرة رضي الله عنه فيما رواه الإمام أحمد عنه: [حرمت الخمر ثلاث مرات] قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويفعلون [ويأكلون] الميسر، فسألوه ﷺ عنهما، فأنزل الله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾ الآية. فقالوا: ما حرّم علينا، إنما قال فيهما إثم كبير، وكانوا يشربون حتى أمّ يوماً رجل من المهاجرين أصحابه في المغرب، فخلط في قراءته فنزلت آية أغلظ منها وهي آية: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ وكان الناس أي الأقلّون منهم يشربون، ثم نزلت أغلظ منها ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ إلى قوله ﴿فهل أنتم منتهون﴾ قال عمر: انتهينا ربنا (٥٠٣)، والميسر القمار وقيل غيره (و) فيها أيضاً (حَسَنٌ) بن عليّ كرم الله وجهه سبط رسول الله ﷺ وريحانته (وُلِدَ). في سنة ثلاث أيضاً غزوة حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة على يسار الذاهب لذي الحليفة.

سببها: أنه ﷺ خرج يوم الأحَد ثاني يوم أُحُد لطلب عدوهم بالأمس موهناً لهم سيغلبهم [ليبلغهم] أنه خرج في طلبهم فيعلموا إبقاء قوته، وأن ما حصل لأصحابه لا يوهنهم عن الجهاد، ونادى مؤذن رسول الله: أن لا يخرج

(٥٠٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٥١ - ٣٥٢) وفي إسناده من هو مجهول، وعند أحمد فقالوا: انتهينا، وليس فيه أن القائل عمر.

معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، فبلغ حمراء الأسد، فظفر بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، فأمر بضرب عنقه صبراً، ورجع إلى المدينة يوم الجمعة وغاب خمسة أيام[٥٠٤]، وسرية عبدالله بن أنيس وحده في المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة إلى سفيان بن خالد الهزلي، لكونه جمع جوعاً بقرب عرفة لحربه ﷺ فذهب إليه، فلما وصل إليه قال له سفيان: من الرجل قال: من بني خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك، أجل، ثم مشى معه ساعةً ثم اغتره وقتله وأخذ رأسه، فكان يسير الليل ويتوارى بالنهار، فلما قدم المدينة قال له ﷺ: أفلح الوجه، قال: افلح وجهك يا رسول الله فوضع رأسه بين يديه ﷺ[٥٠٥].

وفي هذا الشهر أيضاً سرية أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد إلى قطن جبل بناحية فيد في مائة وخمسين رجلاً لطلب ابني خُوَيلد طلحة وسلمة فلم يجدهما فأغار على إبل وشاء ولم يلق كيداً[٥٠٦]، وفي هذه السنة أيضاً سرية محمد بن مسلمة وأربعة معه من قومه من الأوس في شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة، إلى كعب بن الأشرف اليهودي الشاعر المؤذي لرسول الله ﷺ، فلما لم يمتنع من أذاه، أمر ﷺ سعد بن معاذ سيد الأوس أن يبعث رهطاً ليقتلوه كما في رواية أبي داود والترمذي[٥٠٧]، وفي رواية أنه ﷺ قال: من لنا بابن الأشرف، وفي أخرى: مَن لكعب بن الأشرف أي من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا، وقد خرج إلى قريش أي بمكة

---

(٥٠٤) أنظر السيرة (٢/ ٩٧ - ١٠٣) لابن كثير.

(٥٠٥) أنظر الطبقات (٢/ ٥٠ - ٥١) لابن سعد.

(٥٠٦) أنظر الطبقات (٢/ ٥٠).

(٥٠٧) رواه أبو داود (٢٩٨٤) ولم يروه الترمذي وتبع الشارح في نسبته إلى الترمذي الحافظ في الفتح (٧/ ٣٣٧) وأما الروايات بعد هذه فليست عند أبي داود كما يظهر من كلام الشارح بل عند ابن عائذ وغيره ولم أر بعضها انظر الفتح (٧/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

فجمعهم وحرضهم إلى قتالنا، وقد أخبرني الله تعالى بذلك، ثم قرأ على المسلمين ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله﴾ الآية. فقال محمد بن مَسلَمة كما في رواية ابن إسحاق (٥٠٨): أنا لك به يا رسول الله أن أقتله، قال: فافعل إن قدرت على ذلك، قال: يا رسول الله إنه لا بد لنا أن نقول أي قولاً مخالفاً للواقع، قال ﷺ: قولوا ما بدا لكم فأنتم في حلّ من ذلك، فذهب مع تلك الأربعة إليه، ثم احتالوا عليه وتكلموا بكلام موهم أنهم يحبونه ويكرهون رسول الله ﷺ حتى خرج إليهم من حصنه مع كونه عروساً مع تحذير شديد، ومع نهي عرسه عن الخروج، فقالت أرى صوتهم صوت عدو فلم يغنه ذلك عن قدر الله تعالى فخرج إليه، فسألوه السمر، فذهب معهم إلى مكان، وكان قد تطيب بأنواع الطيب لعرسه، فأدخل بعضهم يده في رأسه ليشم طيبه، ثم أراه أنه في غاية الطيب وتعجب منه، وأظهر أن به حاجة إلى شمه، فأدخل يده ثانياً فهش إليه واطمأنّ، فأدخل يده ثالثاً وتمكن منه فأخذه، ثم صاح اقتلوا عدو الله فقتله محمد بن مسلمة، ثم أحزّوا رأسه وحملوها في مخلاة وكان رسول الله ﷺ قام تلك الليلة يصلي، فلما وصلوا إلى البقيع كبروا فلما سمع ﷺ تكبيرهم كبّر وعرف أنهم قتلوه، ثم انتهوا إليه فقال قد أفلحت الوجوه، قالوا وجهك يا رسول الله ورموا برأسه بين يديه ﷺ، فحمد الله تعالى على قتله، وأصاب ذبابة السيف أحدهم فجرح، فتفل عليه ﷺ فبرىء، وفيها أيضاً غزوة نجران موضع من ناحية الفَرع بفتح الفاء والراء كما قيده السهيلي، سببها أنه بلغه ﷺ أن بها جمعاً كثيراً من بني سليم، فخرج ﷺ في ثلاثمائة رجل فوجدهم قد تفرقوا في مياههم، فرجع ولم يلق كيداً وغاب عشر ليال (٥٠٩).

---

(٥٠٨) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٣٦ - ٤٣٨) وزاد المعاد (٣/ ١٩١ - ١٩٢).

(٥٠٩) أنظر طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥ - ٣٦) وسيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٨ - ٤٢٩) وسيرة ابن كثير (٢/ ٥٣٩) والذي في طبقات ابن سعد بحران لا نجران.

وفيه أيضاً سرية زيد بن حارثة إلى القردة بفتح القاف وسكون الراء، وقيل بالفاء والراء المكسورة اسم ماء من مياه نجد، في جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة كما قاله ابن سعد في مائة راكب يعترض (يعترض) عيراً لقريش، فيها أبو سفيان وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كثير وآنية فضة، وكانت قريش كما قال ابن إسحاق يسلكون إلى الشام في طريق بدر، فلما وقع لهم فيها ما وقع عدلوا إلى طريق العراق من نجد فأغار عليهم زيد ومن معه، فأصابوا ذلك المال الكثير، فجاؤوا به إلى النبي ﷺ فخمّسه فبلغ الخمس قيمة خمسة وعشرين ألف درهم كما قاله الحافظ مغلطاي (٥١٠).

وفيها أيضاً سرية عاصم بن ثابت يكنى أبا سفيان الأنصاري في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة إلى الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم ماء لهزيل بين مكة عسفان بناحية الحجاز كانت الوقعة بالقرب منه، فسميت به وتسمى أيضاً حديث عَضَل والقارة، وقعة [وقصته] العضل والقارة كانت في بعث الرجيع، لا في سرية بئر مَعُونة كما في المواهب، وسياق ترجمة البخاري يوهم أن بعث الرجيع وبئر معونة شيء واحد وليس كذلك لأن بعث الرجيع سرية عاصم وخبيب وأصحابها، وهي مع عضل والقارة، وبئر معونة كانت سرية القراء وهي مع رعل وذكوان، ولعل البخاري أدمجها معها لقربها منها (٥١١).

قال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحُد رهط من عضل والقارة، فقالوا: يا رسول إن فينا إسلاماً فابعث فينا من يفقهنا فبعث معهم ستة من أصحابه وأمّر عليهم مرثد بن أبي مرثد

---

(٥١٠) أنظر الطبقات (٢/ ٣٦).

(٥١١) أنظر فتح الباري (٧/ ٣٧٩ - ٣٨٠).

الغنوي كذا في سيرته (٥١٢)، وفي صحيح البخاري: وأمّر عليهم عاصم بن ثابت وهو أصح (٥١٣)، فخرجوا مع القوم حتى أتوا على الرجيع ماء لهذيل، غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلاً فلم يرعهم، وهم في رحالهم إلاّ الرجال بأيديهم السيوف وقد غشوهم فأخذوا أسيافهم ليقتلوا [ليقاتلوا] القوم، فقالوا لهم: إنا لا نريد قتلكم ولكن نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله أن لا نقتلكم فأبوا، فأما مرثد وخالد وعاصم فقالوا: والله: لا نقبل من مشرك عهداً، وقاتلوا حتى قتلوا (٥١٤).

وفي البخاري: حتى إذا كانوا بالهَدْأة بين عسفان ومكة ذكروا لحيٍّ من هذيل يقال له: بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائتي رجل (٥١٥)، وفي رواية أبي معشر في مغازيه، فنزلوا بالرجيع سحراً فأكلوا تمر عجوة فسقط نواة بالأرض، وكانوا يسيرون بالليل ويكتمون بالنهار، فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنماً فرأت النواة فعرفت بصغرهن أنها من تمر يثرب، فصاحت في قومها: أُتيتم فجاؤوا في طلبهم، فوجدوهم قد كتموا في الجبل (٥١٦) فاتبعوا آثارهم حتى لحقوهم وفي رواية ابن سعد (٥١٧): فلما أحس بهم عاصم وأصحابه، فجاؤوا إلى فدفد بفاءين مفتوحتين ودالين مهملتين وهي الرابية المشرفة، فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد إن نزلتم فأبى عاصم أن يدخل في ذمة كافر، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً ونزل على العهد خبيب بن عدي الأنصاري وزيد بن الدثنة وعبدالله بن

---

(٥١٢) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٠) وفي نسختي ونسخة القاضي وأمر عليهم عاصم مرثد بن أبي مرثد وهو مخالف لما في السيرة.
(٥١٣) أنظر الفتح (٧/ ٣٨٠).
(٥١٤) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٠ - ١٦٤).
(٥١٥) رواه البخاري (٣٠٤٥).
(٥١٦) إلى هنا رواية أبي معشر في مغازيه انظر الفتح (٧/ ٣٨١).
(٥١٧) ليس عند ابن سعد هذا وإنما هو عند البخاري (٣٩٨٩) وأحمد.

طارق، فانطلقوا بخبيب وزيد إلى مكة فباعوهما فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيباً، لكونه قتل الحارث يوم بدر فأرادوا قتله، فأقام عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله، وفي الصحيح [صحيح البخاري]: أن خبيباً استعار من بنت الحارث موسىً يستحدّ بها أي يحلق عانته فغفلت عن ابن لها صغير، فأقبل إليه الصبي فأجلسه على فخذه والموسى بيده ففزعت أمّه أن يقتله، فقال لها: أتخشين أن أقتله ما كنت له لأغدر، قال فقالت: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب والله لقد وجدته يأكل قطفاً من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً، [وهذه من جملة كرامات الأولياء][٥١٨]، ولما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعتين، وعند موسى بن عقبة أنه صلاهما في موضع مسجد التنعيم، وقال اللهم أحصهم عدداً، ولا تبق منهم أحداً، واقتلهم بدداً، أي متفرقين، فلم يحل الحول ومنهم أحد حيّ، وفي رواية بريرة قال: الله إني لا أجد من يبلّغ رسولك مني السلام فبلّغه وفي رواية: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك، ثم أنشأ خبيب:

فَلستُ أبالي حينَ أُقتَلُ مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإلّه وإن يشأ يبارك على الأوصال شِلوٍ مُمَزَّعِ

وفي قوله زيادة قوله[٥١٩]:

لقد أجمع الأحزاب حولي وألّبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

وكان خبيب أول من سن ركعتين عند القتل صبراً لكل مسلم. قاله ابن

---

(٥١٨) هذه الجملة من الشارح وليست في القصة.

(٥١٩) هي عند أبي الأسود عن عروة كما في الفتح (٧/ ٢٨٤).

إسحاق(٥٢٠): وفي رواية أبي الأسود: فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب، نادوه وناشدوه: أتحب أن يكونَ محمد مكانك، قال: لا، والله ما أحب أن يفديني شوكة في قدمه(٥٢١)، ويقال: إن الذي قال ذلك زيد بن الدثنة، وإن أبا سفيان قال له: يا زيد أنشدك بالله أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك فنضرب عنقه وأنّك في أهلك فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني لجالس في أهلي(٥٢٢).

وفيها أيضاً سرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة موضع ببلاد هزيل بين مكة وعسفان، في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة، وبعث معه المطلب السلمي ليدلهم على الطريق وكانت الغزوة مع رعل وزكوان فنسبت إليهما وتعرف بسرية القرّاء، وكان من أمرها كما قال ابن إسحاق أنه قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد عن الإسلام وقال: يا محمد لو بعثت إلى أهل نجد نفراً من أصحابك يدعونهم إلى الإسلام رجوت استجابتهم، فقال ﷺ أخشى أهل نجد عليهم قال أبو براء أنا لهم جار فبعث ﷺ المنذر بن عمرو ومعه القرّاء سبعون أو أربعون أو ثلاثون فيه أقوال أصحها الأول وقد بين أبو قتادة في روايته: أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل وفي رواية ثابت:

يشترون به الطعام لأهل الصفة ويتدارسون القرآن بالليل فساروا حتى نزلوا

---

(٥٢٠) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٦) وهذا بعد للجمعة فهو عند البخاري.

(٥٢١) هو من رواية أبي الأسود عن عروة كما في الفتح (٧/ ٣٨٤).

وانظر قصة الرجيع صحيح البخاري (٣٠٤٥ و ٣٩٨٩ و ٤٠٨٦ و ٧٤٠٢) ومسند أحمد (٢/ ٢٩٤ - ٢٩٥ و ٣١٠ - ٣١١) وسنن أبي داود (٢٦٦٠ و ٢٦٦١ و ٣١١٣) ومصنف عبدالرزاق (٩٧٣٠) والمعجم الكبير للطبراني (٤١٩١) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤/ ٤٥٥).

(٥٢٢) هذه الرواية ذكرها ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٤).

ببئر معونة فبعثوا حزام بن ملحان بكتابه ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل العامري وليس هو عامر بن الطفيل الأسلمي الصحابي، فلم ينظر إلى كتابه حتى عدى على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه، وقالوا لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلاً فأجابوه إلى ذلك، ثم خرجوا حتى غشوا القوم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوا حتى قتلوا إلى آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً وأسر عمرو بن أمية الضمري، فلما أخبرهم أنه من مضر أخذهم عامر بن الطفيل وأعتقه عن رقبة، زعم أنها كانت عن أمه فلما بلغه ﷺ خبرهم قال هذا عمل أبي براء قد كنت لها [لهذا] كارهاً متخوفاً، فبلغ ذلك أبا براء فمات أسفاً على ما صنع عدو الله عامر بن الطفيل وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد جسده ودفنته الملائكة.

قال ابن سعد عن أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على أحد ما وجد على أصحابه ببئر معونة وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أيضاً: دعا ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً يدعو على رعل ولحيان وعصية عصت الله ورسوله، قال أنس: أنزل الله تعالى في الذين قتلوا يوم بئر معونة قراءنا قرأناه ثم نسخ بعد أي نسخت تلاوته: (بلّغوا قومنا إنا قد لقينا ربنا فرضيَ عنّا ورضينا عنه)[٥٢٥] كذا وقع في هذه الرواية وهو يوهم أن بني لحيان ممن أصاب القراء وليس كذلك، وإنما أصابهم رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم، وأما بنو لحيان فأصابوا بعث الرجيع[٥٢٦]. وإنما أتى

---

(٥٢٣) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٤ - ١٩١) وفتح الباري (٧/ ٣٨٥ - ٤٩٢).

(٥٢٤) رواه ابن سعد (٢/ ٥٤) وعند البخاري (١٣٠٠) من حديثه فما رأيت رسول الله ﷺ حزن حزناً قط أشد منه.

(٥٢٥) رواه مسلم (٦٧٧) والبخاري أيضاً في مواضع منها (٤٠٩٠).

(٥٢٦) أنظر الفتح (٦/ ١٨١ و ٧/ ٣٨٥).

الخبر إليه ﷺ عن جميعهم في وقت واحد، فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين دعاءاً واحداً كذا في المواهب.

سنة أربع بنو النضير ثم ذات والتيمم وثم

وما كان في سنة أربع (سنة أربع) من الهجرة في شهر ربيع الأول كما ذكره ابن إسحاق ورجّحه الداودي واعترضه الحافظ العسقلاني (٥٢٧)، وقيل بعد بدر بنحو ستة أشهر ورجّحه السهيلي (بنو النضير) أي غزوة بني النضير بفتح النون وكسر الضاد المعجمة قبيلة كبيرة من اليهود، وقد سبق أن عدو الله عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية لما قتل أهل بئر معونة عن رقبة كانت على أمّه بزعمه، فخرج عمرو إلى المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عَقْدٌ وعهدٌ من رسول الله ﷺ، ولم يشعر به عمرو فقال: من أنتما، فقالا: من بني عامر، فتركهما حتى ناما، فقتلهما وظن أنه ظفر ببعض ثأر أصحابه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال ﷺ: لقد قتلت قتلتين لأودينهما (٥٢٨).

قال ابن إسحاق وغيره: ثم خرج ﷺ إلى بني النضير يستعين بهم في دية القتيلين لجواره ﷺ لهما، وكان بين بني النضير وبني العامر عقد وحلف، فقالوا يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض، فتواعدوا وهو ﷺ جالس في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعليّ إلى جنب جدار من بيوتهم على أن يصعد واحد منهم ويلقي عليه صخرةً ليستريحوا منه، فقال عمر بن جحاش أنا لذلك فنهاه بعضهم، وقال: إنه ينقض [لنقض] العهد الذي بيننا وبينه، فلما صعد الرجل لذلك أخبره الله تعالى بذلك، فقام ﷺ مُظهراً أنه يقضي حاجته، وترك أصحابه في مجلسهم ورجع مسرعاً إلى المدينة، فطلبه

---

(٥٢٧) أنظر الفتح (٧/ ٣٣٠).

(٥٢٨) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٦) والفتح (٧/ ٣٣١).

أصحابه حتى انتهوا إليه، فأخبرهم بما أرادوا به، ونزل في ذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ الآية، فأمر النبي ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم، فساروا إليهم فحاصروهم ست ليال فتحصنوا بالحصون، فقطع النخل وحرقها كما قاله ابن إسحاق(٥٢٩).

ولما وقع في نفوس بعض المسلمين من ذلك شيء حين صاح اليهود: يا محمد كنت تنهانا عن الفساد فلِمَ تقطع النخل فنزل: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمةً على أصولها﴾ الآية، تسلية لهم وإعلاماً بأن قطعهم وتركهم بإذن الله تعالى ولا بأس عليهم، وكان رهط من بني عوف من الخزرج، منهم عبدالله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين بعثوا إليهم أن اثبتوا وتمنّعوا فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا، فقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم عن أرضهم، ويكفّ عن دمائهم، وفي رواية(٥٣٠) أنهم لما همّوا بالغدر أرسل إليهم محمد بن مسلمة أن اخرجوا من بلدي وقد أجلتكم عشراً فمن رُؤِيَ منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا في التجهيز فأرسل إليهم عبدالله بن أبي فأمرهم بالتحصن وعدم الخروج ووعدهم النصر بألفين وأزيد فطمعوا في ذلك، فأرسلوا إليه ﷺ أن لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدى لك، فأظهر ﷺ التكبير وكبر المسلمون بتكبيره، فسار إليهم وعليّ يحمل رايته، فلما رأوه قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة ولم ينصرهم ابن أبي وغيره، فحاصرهم خمسة عشر يوماً، ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلاّ الدرع، فنزلوا على ذلك، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأجلاهم من المدينة فلحقوا بخيبر ثم إلى الشام والحيرة، وحملوا النساء والصبيان وغير ذلك على ستمائة بعير، وقبض ﷺ ما بقي من أموالهم، ووجد

---

(٥٢٩) أنظر سيرة ابن إسحاق (٣/ ١٩٠ - ١٩١) والفتح (٧/ ٣٣١ - ٣٣٢).

(٥٣٠) هي عند ابن سعد (٣/ ٥٧ - ٥٩).

فيها خمسين درعاً وخمسين بيضةً وثلاثمائة وأربعين سيفاً، فقسمها بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم على الأنصار، ولأن القاهر لهم مجرد الرعب بغير قتال من المسلمين (٥٣١) (ثم) أي بعد بني النضير في شهر ربيع الآخر من تلك السنة كما ذكره ابن إسحاق (٥٣٢).

وفي رواية ابن سعد وابن حبان في المحرم سنة خمس غزوة (٥٣٣) (ذات الرقاع) وجزم أبو معشر بأنها بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر مستدلاً بأمور، ومع ذلك ذكرها قبل خيبر، ولا أدري هل تعمد ذلك تسليماً لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها أو أن ذلك من الرواة عنه؟ أو إشارة إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسماً لغزوتين كما أشار إليه البيهقي: على أن أصحاب المغازي مع جزمهم بكونها قبل خيبر مختلفون في زمانها، ثم قال: في قول البخاري وهم أي ذات الرقاع بعد خيبر لأن أبا موسى جاء بعد خيبر، وإذا كان كذلك وثبت أن أبا موسى شهد غزوة ذات الرقاع، لزم أنها كانت بعد خيبر، وأما الدمياطي فادعى غلط الحديث الصحيح، وأن جميع أهل السير على خلافه، وقد تقدم أنهم مختلفون في زمانها فالأولى الاعتماد على الحديث الصحيح (٥٣٤)، وأما قول الغزالي: أنها آخر الغزوات فهو غلط واضح، وقد بالغ ابن الصلاح في إنكاره، انتهى (٥٣٥)، ثم في تسميتها بذات الرقاع أقوال، أصحها كما قال السهيلي:

ما ذكره أبو موسى الأشعري فيما رواه البخاري عنه: كنا نلفّ على أرجلنا

---

(٥٣١) أنظر زاد المعاد (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٩).

(٥٣٢) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢١٤).

(٥٣٣) أنظر طبقات ابن سعد (٢/ ٦١) وثقات ابن حبان (١/ ٢٥٧) والفتح (٧/ ٤١٧).

(٥٣٤) أنظر الفتح (٧/٤١٧ ـ ٤١٨).

(٥٣٥) أنظر الفتح (٧/ ٤٢٤) والوسيط (٢/ ٧٧٣) للغزالي.

الخرق أي لدفع الأذى فسميت بها لذلك(٥٣٦)، وسببها كما قال ابن إسحاق: أنه ﷺ غزا نجداً يريد بني محارب وبني غطفان وبني ثعلبة، لأنه ﷺ بلغه أنهم جمعوا الجموع، فخرج في أربعمائة وقيل: سبعمائة، واستخلف [واستعمل] على المدينة عثمان بن عفان وأبا ذر حتى نزل نخلاً بالخاء المعجمة موضع من نجد من أراضي غطفان(٥٣٧)، قال ابن سعد: فلم يجد في محالهم إلاّ نسوة فأخذها(٥٣٨). وقال ابن إسحاق: فلقي جمعاً منهم، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف بعضهم بعضاً حتى صلّى ﷺ صلاةَ الخوف بالناس، ثم انصرفوا(٥٣٩)، قال ابن سعد:

وكان ذلك أول ما صلاّها(٥٤٠)، وغاب ﷺ خمس عشرة ليلةً (و) في تلك السنة أيضاً كما قاله النووي في الروضة وغيره جعل (التيمم) رخصة، وقيل: في سنة ست، وجزم جمع بأن نزول آية التيمم في غزوة بني المصطلق، وفيها كانت قصة الإفك لعائشة رضي الله عنها، وسببها: سقوط عقدها أيضاً كما يأتي، فإن كان ما جزموا به ثابتاً حمل على أنه سقط منها في تلك السفرة مرتين، وقال قوم: بتعدد ضياع العقد مرتين في ذات الرقاع وفي غزوة بني المصطلق، وقد اختلف أهل المغازي في أن أيتهما كانت أولاً، ومما يدل على تقدم قصة الإفك ما رواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان وقال أهل الإفك ما قالوا: خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضاً عقدي حتى حبس الناس على التماسه فقال لي أبو بكر: يا بنية في كل سفرة تكونين عِناءً وبلاءً على الناس فأنزل الله الرخصة في التيمم، فقال أبو بكر

---

(٥٣٦) رواه البخاري (٤١٢٨) وانظر الفتح (٧/ ٤١٩).
(٥٣٧) سيرة ابن هشام (٣/ ٢١٤).
(٥٣٨) أنظر طبقات ابن سعد (٢/ ٦١).
(٥٣٩) سيرة ابن هشام (٣/ ٢١٤).
(٥٤٠) الطبقات (٢/ ٦١).

رضي الله عنه: إنكِ لمباركة، وفي إسناده مَن فيه مقال[٥٤١]، وقال الداودي: قصة التيمم في غزاة الفتح، ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبة: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت آية التيمم لم أدرِ كيف أصنع، وأبو هريرة إنما أسلم في السنة السابعة فتكون آية التيمم بعد خيبر، وهي بعد غزوة بني المصطلق بكثير اتفاقاً، وقد تقدم أن البخاري: راوي تـأخّر ذات الرقاع عن خيبر[٥٤٢]. فتلخص من مجموع ما مر أن الأصح تأخر نزول التيمم عن سنة أربع (وثَمَّ) بفتح المثلثة أي في سنة أربع أيضاً شرع:

قصر الصلاة ثم بـــدر الموعـــد ولـــد الحسين خير مـــولـــد

(قصر الصلاة) في السفر ركعتين في غير الصبح والمغرب، وهذا يدل على أن الصلاة فرض أولاً أربعاً خلاف ما دل عليه قوله السابق، ثم زيد في صلاة الحضر والخلاف فيه مشهور وسبق تفصيله. (ثم) في شعبان في تلك السنة بعد ذات الرقاع على ما قاله ابن إسحاق كانت غزوة بدر الصغرى، ويقال لها أيضاً (بَدْرُ الْمَوْعِدِ) هو كالوعد مصدر وأضيف إليه لما مرّ في غزوة أحد: أن أبا سفيان قال: الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل، فقال ﷺ لواحد من أصحابه: قل: نعم هو بيننا وبينكم موعد، وهذا يقتضي أن الموعد اسم مكان، والإضافة للبيان فاعرف، فخرج ﷺ في ألف وخمسمائة ومعهم عشرة أفراس، واستخلف على المدينة عبدالله بن رواحة، فأقاموا ببدر ينتظرونهم ثمانية أيام فباعوا ما معهم من التجارة وربحوا الدرهم درهمين، وكان أبو سفيان خرج حتى أنزل مجنة من ناحية مرّ الظهران ويقال: عسفان ثم خاف وبدى له الرجوع فرجعوا فسماهم أهل

(٥٤١) رواه الطبراني في الكبير (ج ٢٣ رقم ١٥٩) وانظر الفتح (١/ ٤٣٥) ويقصد محمد بن حميد الرازي كما قال الحافظ في الفتح.

(٥٤٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ١٥٩ - ١٦٠) وانظر الفتح (١/ ٤٣٤ - ٤٣٥).

مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتم لشرب السويق[٥٤٣] (و) في سنة أربع أيضاً[٥٤٤] (ولد الحسين) بن علي كرم الله وجهه (خير) بالنصب نيابة عن المصدر (مولد) بفتح اللام مصدر ميمي بمعنى الولادة والتقدير، ولد ولادةً خير ولادة، وذكره تتمياً للبيت.

سنة خمس غزوة المصطلق ودومة الجندل ثم الخندق

وما كان في سنة خمس (سنة خمس) من الهجرة في شعبان كما قاله موسى بن عقبة على ما في عدة طرق عنه أو ست كما قال ابن إسحاق (غزوة) بني (المصطلق) بضم فسكون مهملة ففتح فكسر فقاف لقب خزيمة بن سعد بن عمرو بطن من خزاعة وتسمى غزوة المريسيع بضم ففتح فتحتانيتين بينهما مهملة مكسورة وآخره عين مهملة اسم ماء لبني خزاعة بين قديد والساحل فصف أصحابه فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر ﷺ بالحملة فحملوا حملة رجل واحد وقتلوا عشرة وأسروا سائرهم، وسبوا الذراري والنعم كذا ذكره ابن إسحاق[٥٤٥]، والذي في صحيح البخاري: يدل على أنه قد أغار عليهم غفلةً منهم، وهم يستمعون أنعامهم على مائهم المسمى بالمريسيع، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم، ويمكن الجمع بينهما كما لا يخفى[٥٤٦] (و) في سنة خمس أيضاً لكن في أولها كما جزم به في المواهب، فالأولى تأخير [ذكر] غزوة بني المصطلق من هذه والأمر فيه مسهل لذكر الواو دون ثم غزوة (دومة الجندل) بضم الدال من دومة وفتحها كما في النهاية، وجزم القاموس بالضم، وفي الصحاح: أهل اللغة يضمونها وأهل الحديث يفتحونها، وهي مدينة مسافتها من دمشق خمس ليال، قال أبو

(٥٤٣) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢١ - ٢٢٢) وطبقات ابن سعد (٢/ ٥٩ - ٦٠) والسيرة لابن كثير (٣/ ١٦٩ - ١٧٢).

(٥٤٤) أنظر الإصابة (٢/ ٧٦).

(٥٤٥) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٣٤).

(٥٤٦) رواه البخاري (٢٥٤١) وانظر الفتح (٧/ ٤٣٠ - ٤٣١).

عبيد سميت بدومة ابن إسماعيل كان ينزلها [نزلها] ، والجندل في الأصل بوزن جعفر الحجارة ، وسببها : أنه ﷺ بلغه أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مر بهم ، فخرج ﷺ في ألف من أصحابه يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار فلما دنا منهم لم يجد إلا النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب وبلغ الخبر أهل دومة فتفرقوا ، ونزل ﷺ بساحتهم أياماً ولم يلق بها أحداً [٥٤٧] . (ثم) في شوال سنة خمس أيضاً كما قاله ابن إسحاق ، أو أربع كما قاله ابن عقبة ومال إليه البخاري وقوّاه ، قال وليّ الدين العراقي ، وهو المشهور [٥٤٨] ، غزوة (الخندق) وتسمى الأحزاب أيضاً ، أما تسميتها بالخندق فللخندق الذي حفروه حول المدينة بإشارة سلمان حيث قال رضي الله عنه : يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا ، وأما تسميتها بالأحزاب جمع حزب بمعنى طائفة ، فلإجتماع الطوائف من المشركين على حب المسلمين ، وهم قريش وغطفان واليهود ومن معهم [٥٤٩] .

وسبب ذلك : أن جماعةً من اليهود منهم اللعين حُيي بن أخطب ازدادت عداوتهم له ﷺ حتى قدموا على قريش بمكة ، فدعوهم إلى حربه ﷺ وقالوا : نكون معكم حتى نستأصله فأجابوهم لذلك ، ثم ذهبوا إلى غطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان قبل إسلامه ، وخرجت غطفان ومن معهم من أهل نجد وقائدها عيينة بن حصن ، فاجتمعوا في عشرة آلاف رجل ، فلما بلغه ﷺ [ذلك] أمر بحفر الخندق فعمل فيه بنفسه ترغيباً للأجر ، وعمل معه المسلمون مجتهدين فيه ، وأبطأ عن العمل ناس من المنافقين ،

---

(٥٤٧) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢٨ - ٢٢٩) وطبقات ابن سعد (٢/ ٦٢ - ٦٣) وسيرة ابن كثير (٣/ ١٧٧ - ١٧٨) وزاد المعاد (٣/ ٢٥٥ - ٢٥٦) والسيرة لابن كثير (٣/ ١٨٠).

(٥٤٨) أنظر فتح الباري (٧/ ٣٩٣) وزاد المعاد (٣/ ٢٦٩ - ٢٧٠).

(٥٤٩) أنظر الفتح (٧/ ٣٩٢ - ٣٩٣).

وأقاموا في حفرهِ ثلاثين أو عشرين أو خمسة عشر يوماً فيه أقوال، جزم النووي في الروضة بالأخير، ووقع في حفره معجزات يأتي بعضها في بحث المعجزات، ثم أقبلت الأحزاب فنزلت قريش ومن معهم بمجمع السيول، ونزلت غطفان وأهل نجد عند أُحُد، فخرج ﷺ هو وأصحابه وهم ثلاثة آلاف فجعلوا أظهرهم [ظهورهم] إلى سَلعٍ : جبل بالمدينة، والخندق بينهم وبين القوم، وكان ﷺ يبعث الحرس إلى المدينة خوفاً على الذراري من بني قريظة وحينئذ خرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهودهم [وعهدهم] معه ﷺ فأغلق كعب دونه باب حصنه وقال: إنك امرؤ مشؤوم، وإني عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، فإني لم أر منه إلاّ وفاءً وصدقاً، فقال له: ويحك [ويلك] افتح ولم يزل به حتى فتح، فقال: يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش وأنزلتهم بمجمع الأسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه وعزموا على حربه مع قريش ولم يزل به حتى نقض عهده وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ فبلغه ﷺ ذلك من الزبير رضي الله عنه حيث قال ﷺ : من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم، فانطلق الزبير ولم يجسر [يحسّ] على الذهاب إليهم غيره، فلما رجع بالخبر، قال ﷺ : فداك أبي وأمي كما رواه الترمذي وغيره وحسّنه (٥٥٠)، وفي رواية أصحاب المغازي، فلما بلغه ﷺ الخبر بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومن معهما ليعرفوا الخبر فوجدوهم أخبث مما بلغهم عنهم من التبرء ونقض العهد، ثم أقبل السعدان على الرسول ﷺ وقالا عضل والقارة أي كغدرهما بأصحاب الرجيع، فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم وهم قريش ومن أسفلهم وهم بنو قريظة، وخافوا على ذراريهم حتى ظن

---

(٥٥٠) بل هو في الصحيح عند البخاري (٣٧١٩ و ٣٧٢٠) ومسلم (٢٤١٥) والترمذي (٣٨٢٨) وابن ماجه (١٢٢) وعبد بن حميد في المنتخب من المسند (١٠٨٦) والطبراني (٢٢٧).

المؤمنون كل ظن، وظهر نفاق كثير من المنافقين كما ذكره الله تعالى ذلك أوائل سورة الأحزاب، وأراد نوفل بن عبدالله المخزومي أن يثب الخندق بفرسه فوقع فيه فقتله الله تعالى، وكبر ذلك على المشركين فأرسلوا إليه ﷺ ليأخذوه ويدفنوه ويبذلوا ديته، فقال ﷺ: إنه خبيث هو وديته ولا نمنعكم أخذه كما في رواية ابن عائذ.

وقال ابن إسحاق لم يكن بين الفئتين إلاّ مرماة بالنبل، لكن عمرو بن ود العامري اقتحم مع نفر خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة، فبارزه عليّ كرم الله وجهه فقتله وبرز نوفل بن عبدالله فقتله الزبير، وقيل: عليّ وأصاب سهم أكحل سعد بن معاذ فقطعه، وهو عِرق في وسط الذراع ودام الحصار بضع عشرة ليلة، ثم جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إليه ﷺ، فقال له: إني أسلمت ولم يعلم بي قومي فمرني بما شئت فأمره أن [يخدعهم] يخادعهم ويحول عنهم ما استطاع، فإنه الحرب خدعة، فذهب إلى بني قريظة، وكان نديمهم في الجاهلية فحسّن لهم التخلف عن معاونة قريش، ثم ذهب إلى العرب وحسّن لهم التخلف عن بني قريظة، فأوقع بينهم الشر واختلفت كلمتهم وحذرت كل طائفة من الأخرى فرجع إليه ﷺ فأخبره بتخالفهم وما هم فيه، فأرسل الله تعالى في آخر ليلة وهي ليلة الأربعاء ريح الصبا بشدة وبرد وظلمة لم يروا مثلها، فدعا ﷺ: حذيفة بن اليمان ودعا له حتى ذهب عنه الفزع، وقال: ايتني بخبر القوم ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا فدخل عسكرهم، فرأى كلمتهم اختلفت، وسمع أبا سفيان يقول: لينظر الرجل منكم مَن جليسه، قال حذيفة: فأخذت بيدي من يجبئني فقلت: من أنت؟ فقال: فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: والله يا معشر قريش فما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع، اسم لجمع الخيل، والخف، واختلفنا نحن وبنو قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل ووثب على جمله، فما حل عقاله إلاّ وهو قائم، فرجع حذيفة فرأى فوارس في طريقه فقالوا: أخبر صاحبك [صاحبكم] أن الله قد كفاه القوم كما

رواه الحاكم(٥٥١)، وروى الإمام أحمد أنهم قالوا: يا رسول الله هل من شيء تقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر، فقال نعم: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا. فضرب الله تعالى وجوه أعدائهم بالريح(٥٥٢)، فلما أصبح ﷺ رجع إلى المدينة هو وأصحابه يوم الأربعاء وقال: لن تغزوكم قريش بعد عامهم هذا، وفي رواية البزار بسند حسن لا يغزونكم قريش بعدها أبداً، ولكن أنتم تغزونهم فكان كذلك(٥٥٣).

ولما وضع السلاح جاءه ﷺ جبريل معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج(٥٥٤)، وفي رواية البخاري أنه لما وضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه، اخرج إليهم وأشار إلى بني قريظة(٥٥٥) وزاد ابن إسحاق فإني واصل إليهم ومزلزل بهم، فأمر ﷺ مؤذناً فأذّن في الناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلاّ ببني قريظة(٥٥٦)، وفي رواية قم فشد سلاحك فوالله لأدقنهن دق البيض على الصفا، وهو الحجر الأملس،

---

(٥٥١) رواه الحاكم (٣/ ٣١) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه البزار (١٨٠٩).

(٥٥٢) رواه أحمد (٣/ ٣) من حديث أبي سعيد وفيه من هو مقبول كما قال الحافظ، وهما ربيح والزبير بن عبدالله فهو ليس بصحيح.

(٥٥٣) رواه البزار (١٨١٠) كذا قال بسند حسن تبعاً للحافظ في الفتح (٧/ ٤٠٥) وفي إسناده مجالد وهو ضعيف ولكن له شاهد من حديث سليمان بن صرد عند البخاري (٤١٠٩ و ٤١١٠).

وانظر حول غزوة الخندق سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢٩ ـ ٢٥٢) وطبقات ابن سعد (٢/ ٦٥ ـ ٧٤). وزاد المعاد (٣/٢٦٩ ـ ٢٧٤) والسيرة (٣/١٧٨ ـ ٢٢٢).

(٥٥٤) أنظر مجمع الزوائد (٦/ ١٤١) وسيرة ابن هشام (٣/ ٢٥٢).

(٥٥٥) رواه البخاري (٤١١٧).

(٥٥٦) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٥٢) وعنده عامد إليهم.

وبعث يومئذ منادياً ينادي يا خيل الله اركبي[٥٥٧]، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

عَقيبَها كانَتْ بَنُو قُرَيظَتا ... كَذا صلاةُ الخوفِ فيها أُثْبِتا

(عقيبها) أي الخندق بتأويل الغزوة وعقيب لغة قليلة جرت على الألسنة والكثير ترك الياء كما ذكره النووي في تحريره، ولو قرىء هنا مصغراً لتخلص من ذلك وأفاد المبالغة في تقليل المدة (كانت بنو قريظتا) بألف الإشباع أي غزوتهم، فسار ﷺ في ثلاثة آلاف، ومعهم ستة وثلاثون فرساً كما في المواهب[٥٥٨]. ونزل ﷺ على بئر من آبارهم وتلاحق الناس، وبعضهم تركوا العصر إلى العشاء أخذاً بظاهر قوله ﷺ:

(فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة كما مرّ، فلم ينكر ﷺ عليهم لأنهم مجتهدون، كما أن من صلاها في وقتها منهم لم ينكر عليهم لتأويلهم بأنه ﷺ لم يُرِدْ إلا مجرد المبادرة، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلةً [أو خمس عشرة] حتى أجهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فقال لهم رئيسهم: كعب بن مالك [وقيل كعب] بن أسد: أعرض عليكم إحدى ثلاث فخذوا ما شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نؤمن بهذا الرجل فوالله لقد تبين أنه لنبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم [كتبكم]، فأبوا، قال: نقتل أبناءنا ونساءنا حتى لا يبقى ما نخشى عليه، ثم نخرج إليهم محاربين حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، قالوا: وأيّ عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا، قال: الليلة ليلة السبت، فلعلّهم آمنونا، فانزلوا لعلّكم تصيبون منهم، قالوا: لا تفسد سبتنا، ثم أرسلوا إليه ﷺ، أن ابعث لنا [إلينا] أبا لبابة نستشيره في أمرنا، فأرسله إليهم، فمال إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقّ عليهم [لهم]، فقالوا له: أترى

---

(٥٥٧) هذه الرواية عند ابن عائذ كما في الفتح (٧/ ٤١٣) وهو من مرسل قتادة.

(٥٥٨) أنظر الطبقات (٢/ ٧٤) والفتح (٧/ ٤٠٨).

أن تنزل على حكم محمد ، قال نعم ، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح ، ثم تنبّه في الحال لخيانته مع الله ورسوله ، فذهب على وجهه ، ولم يأت رسول الله ﷺ ، فربط نفسه في عمود في المسجد وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله تعالى عليّ ، فلما بلغه ﷺ خبره وكان قد استبطأه ، قال: لو جاءني لاستغفرت له ، وأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ، فأقام مرتبطاً بالجذع ست ليال تطلقه امرأته للصلاة ، وقضاء الحاجة ، ثم تربطه بالجذع.

وفي رواية: أنه ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره ، ثم نزلت توبته على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة من السمر فضحك فقالت أم سلمة: بم [مم] تضحك؟ أضحك الله سِنَّك فقال: تيب على أبي لبابة فسألته ، أن تبشره فأذن لها ، فقالت على باب حجرتها ، وكان قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة: أبشر فقد تاب الله عليك ، فبادر إليه الناس ليطلقوه فأبى إلاّ أن يطلقه رسول الله ﷺ بيده ، فلما مرّ عليه خارجاً لصلاة الصبح أطلقه بيده الكريمة ، ولما اشتد الحصار ببني قريظة ، رضوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس فأتى قومه في المسجد وكان في خيمة امرأة تداوي الجرحى ، فحملوه على حمار ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال ﷺ: قوموا إلى سيدكم ، قال المهاجرون: أراد الأنصار ، وقال الأنصار أراد الجميع ، فقالوا له: إن رسول الله ﷺ قد ولاّك أمر أولئك لتحكم فيهم ، فقال سعد: فإني أحكم فيهم بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبي الذراري والنساء ، فقال ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات.

وفي رواية فقال له: احكم فيهم يا سعد ، فقال: الله ورسوله أحق بالحكم ، قال: قد أمرك الله أن تحكم فيهم ، ثم أمر ﷺ برجالهم فأدخلوا المدينة وحفر

لهم أخدوداً في السوق، وجلس ﷺ ومعه أصحابه، فضُرِبَت أعناقهم، وكانوا ما بين ستمائة أو سبعمائة أوثمانمائة، ولا ينافيه ما صح في حديث الترمذي وغيره أنهم كانوا أربعمائة مقاتل، لاحتمال أن البقية كانوا أتباعاً لا قتال فيهم، واصطفى ﷺ لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها، وقيل: كان يطأها بملك اليمن، وأمر بالغنائم فجمعت وقسمت.

وانفجر جرح سعد بن معاذ في لبته فمات شهيداً، وحضر جنازته سبعون ألف ملك واهتز عرش الرحمن لموته كما رواه الشيخان واهتزاز العرش على حفتيه وهو تحركه فرحاً بقدوم روحه السعيدة وفيه يقول حسان: وما [أن] اهتز عرش الله من أجل هالك سمعنا به إلاّ لسعد بن أبي عمرو، وخلق الإدراك في الجمادات جائز وله نظائر، وزعم أن المراد بالعرش نعشه باطل يرده رواية عرش الرحمن وقُبِضَت قبضة من تراب قبره فإذا هي مسك ومع ذلك، وسائر الأحاديث في فضله، قال ﷺ لو كان أحَدٌ ناجياً من ضمة القبر لنجا منها سعد، ضُمَّ ضمةً ثم فرج الله عنه (٥٥٩).

(كذا) أي المذكور [كالمذكور] من الأشياء وقعت سنة خمس (صلوة الخوف) بالكيفية المفصلة في الأحاديث (فيها) أي في سنة خمس، بناء على كون ذات الرقاع فيها، لا في سنة أربع كما ذهب إليه جمع وهو الأصح كما مرّ، قال الحافظ ابن حجر: وينبغي الجزم بأن ذات الرقاع بعد بني قريظة، لأن صلاة الخوف لم تشرع في الخندق التي عقيبها بنو قريظة، وقد شرعت في ذات الرقاع كما في الأحاديث الصحيحة (٥٦٠)، فدل على تأخرها عنها، وصرح النووي أيضاً بأن صلاة الخوف لم تشرع في الخندق، ومن ثم فاته ﷺ صلاة العصر، والحاصل

(٥٥٩) أنظر غزوة بني قريظة في سيرة ابن هشام (٣/ ٢٥٢ - ٢٧٥) وطبقات ابن سعد (٢/ ٧٤ - ٧٨) والسيرة (٣/ ٢٢٣ - ٢٥١) والفتح (٧/ ٤٠٧ - ٤١٦) وزاد المعاد (٣/ ١٢٩ - ١٣٣).

(٥٦٠) أنظر الفتح (٧/ ٤١٧).

أن من قال بكون ذات الرقاع في سنة خمس قال بمشروعية صلاة الخوف فيها أيضاً وهو الصحيح، ومن قال بكونها في سنة أربع قال بمشروعيتها فيها أيضاً، لأن أول ما صلاها فيها كما جزم به ابن سعد (أثبتا) بألف الإشباع للوزن أي أثبتها جمع من العلماء، والصواب أثبتت لكن عدل عنه إلى ما قاله للضرورة كما في قوله: ولا أرض أبقل أبقالها حيث لم يقل أبقلت، ولا يصح عود الضمير في فيها إلى بني قريظة ولا إلى الخندق لعدم مشروعيتها فيهما كما علمت.

سَنَةَ سِتٍ الافْكُ أو قَبْلُ وَرَدْ ثُم بَنُو لِحْيانَ ثُم ذو قَرَدْ

(وما كان في سنة ست) كما قاله ابن إسحاق وجزم به الطبراني وغيره[٥٦١]. وقع (الإفك) أي الكذب والبهتان العظيم بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها من جماعة رأسهم [رئيسهم] عبدالله بن أبي المنافق المشهور، وست في النظم بحذف التنوين للوزن، والإفك أسوأ الكذب وأقبحه سمي به لكونه مصروفاً عن الحق من قولهم: أفك الشيء إذا قلب عن وجهه، وذلك أن عائشة رضي الله عنها كانت مستحقة ثناء الجميل لما عليها من المكارم والشرف فمن رماها بسوء قلب الأمر عن وجهه (أو قبل) أي قبل سنة ست فرجح الحاكم وغيره وهو الأصح كما مشى عليها الغيطي أنه في سنة خمس وقيل سنة أربع[٥٦٢] (ورد) ذلك الإفك. وقد برّأها الله تعالى عنه بآيات كما في سورة النور وقصته مشهورة في الأخبار.

خلاصة قصة الإفك:

وخلاصتها، أنها قالت كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعد ما أنزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنى من المدينة وأذن بالرحيل ليلة، فمشيت وقضيت شأني كناية عما يتعلق بقضاء الحاجة وأقبلت إلى الرحل فإذا عقدي بكسر المهملة القلادة

(٥٦١) أنظر الفتح (٧/ ٤٣٠) وفي كل النسخ الطبراني وهو خطأ.

(٥٦٢) أنظر الفتح (٧/ ٤٣٠) أيضاً.

انقطع فرجعت ألتمسه وحملوا هودجي على بعيري يحسبونني فيه، وكانت النساء إذ ذاك خفافاً إنما يأكلن العلقة [هو] بضم المهملة وسكون اللام من الطعام القليل ووجدت عقدي وجئت بعدما ساروا فجلست في المنزل الذي كنت فيه وظننت أن القوم يستفقدونني [سيفقدونني] فيرجعون إليّ فغلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل قد عرّس من وراء الجيش فأدلج هما بتشديد الراء والدال ونزل من آخر الليل للاستراحة فسار منه فأصبح في منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه أي قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون فخمرت وجهي بجلبابي أي غطيته بالملاءة. والله ما كلّمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطأ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتيت الجيش بعدما نزلوا موعرين في نحر الظهيرة أي من أوعر واقعين في مكان وعرة في شدة الحر فهلك من هلك فيّ وكان الذي تولّى كبره منهم عبدالله بن أبي بن سلول المنافق. انتهى قولها ورواه البخاري ومسلم (٥٦٣).

(ثم) في شهر ربيع الأول أو جمادى الأولى لسنة ست أو خمس وصحّحه ابن حزم (بنو لحيان) بفتح اللام وكسرها أي غزوتهم.

وسببها أنه ﷺ وجد على عاصم بن ثابت وأصحابه وجداً شديداً فأظهر أنه يريد الشام وعسكر في مئتي رجل فيهم عشرون فارساً، ثم أسرع في السير حتى انتهى إلى بطن غُرَان وادٍ بين أَمَجٍ وعسفان كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا ببئر معونة فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت به بنو لحيان فهربوا ولم يصب أحداً منهم فأقام يوماً أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية، ثم خرج [حتى] إلى عسفان فبعث أبا بكر في عشرة فوارس حتى أتوا أكراع الغميم لتسمع بهم

---

(٥٦٣) رواه البخاري (٢٦٦١ و ٤١٤١) ومسلم (٢٧٧٠) وغيرهما بطوله.

قريش فيدعوهم فرجعوا ولم يلقوا كيداً[٥٦٤]. وانصرف ﷺ إلى المدينة وهو يقول [آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون] وغاب أربع عشرة ليلة (ثم ذو قَرَد) أي غزوة ذي قرد بفتح القاف والراء وبالدال المهملة وهو ماء على بريد من المدينة، وتعرف أيضاً بغزوة الغابة، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية بإجماع أهل السير كما قاله القرطبي وغيره، واعترضوا به على قول البخاري: أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام، وفي مسلم نحوه. لكن قال الحافظ ابن حجر ما في الصحيح أصحّ من قول [أقوال] أهل السير انتهى[٥٦٥].

وسببها أنه كان له ﷺ عشرون لقمة ترعى بالغابة وكان أبو ذر فيها فأغار عليهم عيينة بن حصن الفزاري في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر، قال ابن إسحاق[٥٦٦]: ونودي يا خيل الله اركبي وكان أول ما نودي بها وركب ﷺ في خمس مائة وقيل سبع مائة، وخلف سعد بن عبادة في ثلاث مئة يحرسون المدينة وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواءً في رمحه، وقال له إمضِ حتى تلحقك الخيول وإنّا على أثرك فأدرك أخريات العدو وقتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه النبي ﷺ فرسه وسلاحه ولحق ﷺ الناس والخيول عشاءاً، قال أبو سلمة: قلت: يا رسول الله إن القوم عطاش فلو بعثتني في مئة رجل استنفذت ما في أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم فقال ﷺ: ملكت فاسجح من الإسجاح بالسين المهملة والجيم وهو الإرفاق والإحسان أي أرفق بهم ولا تأخذهم بالشدة فقد حصلت النكاية في العدو ولله الحمد.

ثم قال إنهم الآن ليفرون في غطفان وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف

---

(٥٦٤) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٢٠ - ٣٢٢) والطبقات (٢/ ٧٨ - ٨٠) والسيرة (٣/ ١٥٦ - ١٦٠) لابن كثير وزاد المعاد (٣/ ٢٧٦).

(٥٦٥) أنظر الفتح (٧/ ٤٦٠ - ٤٦١).

(٥٦٦) بل هو عند ابن سعد في الطبقات (٢/ ٨٠ - ٨١) وليس عند ابن إسحاق.

فجاء الإمداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قَرَد ، فاستنقذوا عشرة لقاح وأفلت القوم بما بقي وهي عشرة ، وصلى بهم ﷺ صلاة الخوف وأقام يوماً وليلة ثم رجع ، وقد غاب خمس ليال(٥٦٧) ووقع بين ذي قرد وبين الحديبية سرايا كثيرة مذكورة في كتب السير منها :

سرية محمد بن مسلمة في شهر ربيع الأول إلى ذي القصة بفتح القاف وتشديد المهملة موضع مسافته من المدينة أربعة وعشرون ميلاً في عشرة إلى بني ثعلبة فورد عليهم ليلاً فأحدق القوم به وهم مئة رجل فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة فوقع جريحاً ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله إلى المدينة فبعث ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً إلى مصارعهم فأغاروا عليهم فهربوا وأصاب رجلاً فأسلم وتركه وأخذ نعماً فاستاقه ورثّة من متاعهم(٥٦٨) .

ومنها سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم ناحية ببطن النخل على أربعة أميال من المدينة في شهر ربيع الآخر فأصاب نعماً وشاءاً وأسرى(٥٦٩) .

ومنها سرية زيد أيضاً إلى العيص موضع على [نحو] أربعة أميال من المدينة في جمادى الأولى في سبعين راكباً لما بلغه ﷺ أن عيراً لقريش أقبلت من الشام فأخذوها وما فيها وأخذ يومئذ فضةً كثيرةً لصفوان بن أمية وأسر ناس منهم أبو العاص بن الربيع فأجارته زوجته زينب ابنة النبي ﷺ ونادت في الناس حين صلى رسول الله ﷺ : الفجر إني قد أجرت أبا العاص فقال ﷺ وما علمت بشيء من هذا وقد أجرنا من أجرتِ ورد عليه [عليها] ما أخذ منه(٥٧٠) ، وقيل

---

(٥٦٧) أنظر الطبقات (٢/ ٨٠ - ٨١).

(٥٦٨) أنظر الطبقات (٢/ ٧٨) وزاد المعاد (٣/ ٢٨١) وشرح المواهب (٢/ ١٥٤).

(٥٦٩) أنظر الطبقات (٢/ ٨٦) وزاد المعاد (٣/ ٢٨١) وشرح المواهب (٢/ ١٥٥).

(٥٧٠) أنظر الطبقات (٢/ ٨٧) وزاد المعاد (٣/ ٢٨١) وشرح المواهب (٢/ ١٥٥ - ١٥٨).

إن أسره كان بعد الحديبية وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردّها ﷺ [قيل] بالنكاح الأول وقيل بنكاح جديد.

ومنها سرية زيد أيضاً في جمادى الأخرى إلى [حِمْسَ] بكسر المهملة وهي وراء ذات القرى.

سببها: أنه أقبل دحية من عند قيصر، وقد أجازه وكساه، فلقيه الْهُنَيدُ في ناس من جذام بِحِمْسَ فقطعوا عليه الطريق فسمع بذلك نفر من بني الطيّب فاستنقذوا لدحية متاعه فأخبره ﷺ دحية بذلك، فبعث زيداً في خمسمائة رجل وردّ معه دحية، فصبحّوهم فقتلوا الهنيد وابنه وأخذوا ألف شاة ومائة من النساء والصبيان (٥٧١).

ومنها سرية عبدالرحمن بن عوف في شعبان إلى دومة الجندل، في مائة رجل، قالوا: دعا ﷺ عبدالرحمن فأقعده بين يديه، وعمّمه بيده الكريمة وقال: أغز باسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله، وَلَا تغدروا [تغدر] ولا تقتلوا [تقتل] وليداً، وبعثه إلى كلب بدومة الجندل، وقال: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم، فلما قدم إليهم مكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ ابن عمرو الكلبي رئيسهم، وكان نصرانياً وأسلم معه كثير من قومه، وأقام من شاء على إعطاء الجزية، وتزوج عبدالرحمن تُماضِر بضم المثناة الفوقية وكسر الضاد المعجمة بنت الأصبغ فولدت له أبا سلمة رضي الله عنه (٥٧٢).

ومنها سرية زيد بن حارثة في رمضان إلى أم قِرْفَةَ فاطمة بنت ربيعة الفزارية بناحية وادي القرى.

---

(٥٧١) أنظر الطبقات (٢/ ٨٨) والمغازي للواقدي (٢/ ٥٥٥) وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٢٧٥).

(٥٧٢) أنظر الطبقات (٢/ ٨٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٢٧٦).

سببها: أن زيداً خرج في تجارة إلى االشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلقيه بوادي القرى ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، فأخبر زيد النبيّ ﷺ بذلك، فبعثه إليهم في جماعة يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل حتى صبحوهم، وأخذوا أمّ قِرفة وكانت ملكة رئيسةً وهي عجوزة فقتلها قيس بن المحبر أشدّ قتل فلما قدم زيد قرع باب النبي ﷺ فقام إليه عرياناً يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله: فأخبره بما أظفره الله عليه (٥٧٣).

ومنها سريةُ عبدالله بن عتيك في رمضان سنة ست على الأصح ومعه أربعة إلى اللعين عبدالله بن أبي الحقيق اليهودي المؤذي لرسول الله ﷺ وهو الذي حزّب الأحزاب يوم الخندق، وأمرهم ﷺ أن يقتلوه، فذهبوا إلى حصنه بخيبر عند غروب الشمس فأجلسهم عبدالله في مكانهم وقال لعليّ أتلطف للبواب فأدخل وجاء إلى: باب الحصن فتقنع بثوبه، فصاح عليه البوّاب يا عبدالله إن كنت تريد الدخول فادخل فإني أريد أن أغلق الباب، فدخل واستخفى حتى رأى البواب أغلق وعلّق المفاتيح، فقام إليها وأخذها، ثم صبر إلى انقضاء سمر اللعين [وكان يسمر عند] أبي رافع ففتح وصعد إليه بعد ذهاب أهل سمره عنه وصار كلما فتح باباً أغلق [أغلقه] عليه من داخل حتى انتهى إليه في بيت مظلم وسط عياله ولم يدر أين هو، فقال يا أبا رافع قال: من هذا، فأهوى نحو الصوت فضربه بسيفه، وهو هش فما أغنى فخرج ومكث قليلاً ثم دخل إليه كالمغيث له فقال وغيّر صوته: ما هذا الصوت؟ فقال ضربني رجل قبلُ بالسيف فضربه ثانياً، فلم يغن شيئاً فصاح وقام أهله فتنحّى عنه ثم جاء وغيّر صوته كالمغيث له فإذا هو مستلق على ظهره فوضع السيف في بطنه واتّكأ عليه فسمع صوت العظم فخرج، وجعل يفتح الأبواب حتى انتهى إلى درجة له فوضع رجله، وهو يرى أنه انتهى إلى الأرض فوقع فانكسر ساقه فعصبها بعمامته فلما

(٥٧٣) أنظر الطبقات (٢/ ٩٠ ـ ٩١).

صاح الديك قام الناعي على السور فذهب إلى أصحابه فأخبرهم بقتله، ثم انتهى إلى النبي ﷺ فحدَّثه، فقال ابسط رجلك فمسحها فكأنه لم يشتكها قط هذا ما في رواية البخاري، ووقع في رواية غيره ما يخالفه ولا يعول عليه (٥٧٤).

ومنها سريّة عبدالله بن رواحة في ثلاثين رجلاً في شوال إلى أسير بن رزام اليهودي لما جمع الناس لحربه ﷺ بعد قتل أبي رافع فلما قدموا عليه قالوا بعثنا ﷺ إليك لتخرج إليه ليستعملك على خيبر فطمع في ذلك فخرج في ثلاثين من اليهود ومع كل رجل رديف من المسلّحين، حتى إذا كانوا بقرقرة قتلوا كلّهم إلاّ واحداً ولم يصب من المسلمين أحد، فلما قدموا عليه ﷺ قال لهم: قد نجّاكم الله من القوم الظالمين (٥٧٥).

ومنها سريّة كرز بضم الكاف وسكون الراء ابن جابر الفهري إلى العرنيّن بضم ففتح حيٌّ من قضاعة وحيٌّ من بجيلة، والمراد هنا الثاني، وهذا على قول ابن إسحاق: إن قدومهم بعد غزوة ذي قرد في جمادى الآخر سنة ست، وقد ذكرها البخاري بعد الحديبية، وفي البخاري في كتاب المغازي عن أنس أن ناساً من عكل بضم العين وسكون الكاف، وعرينة قدموا على رسول الله ﷺ وتكلّموا بالإسلام، فقالوا يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة فأمر لهم ﷺ بذودٍ وراعٍ وأمرهم أن يخرجوا فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرَّة، كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي ﷺ واستفاقوا الذود، فبلغه ﷺ ذلك، فبعث في آثارهم فأمر بهم فسمّروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوهم في ناصية الحرَّة حتى ماتوا على حالهم (٥٧٦).

---

(٥٧٤) رواه البخاري (٣٠٢٢ و ٣٠٢٣ و ٤٠٣٩ و ٤٠٤٠) وانظر الفتح (٧/ ٣٤٣ - ٣٤٥).

(٥٧٤) أنظر مغازي الواقدي (٢/ ٥٦٦) والطبقات (٢/ ٩٢ - ٩٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٢٨٠ - ٢٨١).

(٥٧٦) رواه البخاري (٤١٩٢) ومسلم (١٦٧١).

وفي رواية لفظ وسمل أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا (٥٧٧)، وفي رواية لفظ ولم يَحْسُمْهُمْ (٥٧٨) أي لم يكوِ مواضع القطع لينحسم الدم وقال أنس إنه ما سمل رسول الله ﷺ أعينهم لأنهم سمّلوا أعين الرعاة رواه مسلم (٥٧٩)، فيكون ما فعل بهم قصاصاً، وفي صحيح مسلم أن السريّة كانت عشرين فارساً من الأنصار (٥٨٠)، وفي رواية ابن مردويه عن سلمة بن الأكوع قال كان لنبي الله ﷺ مولىً يقال له يسار فنظر إليه يحسن الصلاة فأعقته، وبعثه في لقاح له بالحرة، فكان بها قال فأظهر قوم الإسلام من عرينة وجاءوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم، وعدَوا على يسار فذبحوه وجعلوا الشوكة في عينيه ثم طردوا الإبل، فبعث ﷺ في آثارهم خيلاً من المسلمين أميرهم كرز بن جابر الفهري فلحقهم فجاء بهم إليه فقطع أيديهم وأرجلهم وسمّل أعينهم (٥٨١)، قال ابن كثير غريب جداً وقيل إنّ أميرهم جرير بن عبدالله البجلي، وردّ وقيل: سعيد بن زيد وقيل سعد بن معاذ [زيد] الأشهلي.

ومنها سريّة عمرو بن أمية الضمري.

وسببها أن أبا سفيان بن حرب أرسل إلى النبي ﷺ من يقتله غدراً، فجذبه أسَيد بن الحضير بداخلة إزاره فإذا هو بالخنجر فسقط في يده فقال له النبي ﷺ: أصدقني ما أنت قال وأنا آمن؟ قال نعم فأخبره بخبره فخلّى عنه ﷺ وبعث عمرو بن أمية الضمري ومعه آخر إلى أبي سفيان ليقتله فذهب إليه، وصار يطوف بالبيت ليلاً ففطن به معاوية بن أبي سفيان، فأخبر قريشاً بمكانه

---

(٥٧٧) رواه البخاري (٦٨٩٩) ومسلم (١٦٧١).

(٥٧٨) رواه البخاري (٦٨٠٢ و ٦٨٠٣ و ٦٨٠٤ و ٦٨٠٥) ومسلم (١٦٧١).

(٥٧٩) رواه مسلم (١٦٧١).

(٥٨٠) رواه مسلم (١٦٧١).

(٥٨١) رواه الطبراني (٦٢٢٣) وفي إسناده موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي وهو ضعيف كما في مجمع الزوائد (٢/ ٢٤٢ و ٦/ ٢٤٩).

فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية فهرب ولقي اثنين فقتلهما ورسولين بعثهما قريش يتجسسان الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل يخبر رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يضحك(٥٨٢).

ثُمَّ الْحُدَيْبِيَةُ قُرْبَ مكةِ وَبيعَةُ الرِضْوانِ وَسْطَ القَعْدَةِ

(ثم) في هلال ذي القعدة سنة ست وقعت (الحديبية) بتشديد الياء وتخفيفها اسمٌ لبئر يسمى [سمي] بها ما حولها قربَ بالنصب نيابة عن المكان (مكة) بالجر للوزن أي في مكان قربها إذ أكثره في الحرم على سبعة أميال من مكة ثم سمّي بها الواقعة التي خرج فيها ﷺ معتمراً بأصحابه وهم ألف ومئات فيها خلاف طويل(٥٨٣)، فلما كان بذي الحليفة قلد الهديّ وأشعره وأحرم منها بالعمرة ولم يستصحب إلاّ سلاحَ المسافرين [المسافر] وهو السيوف لا غير، وبعث عيناً له من خزاعة فسار ﷺ حتى أتاه عينه في الطريق فقال له: إن قريشاً جمعوا لك الجموع، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت فاستشار ﷺ أصحابه وكان أكثر الناس مشاورة لأصحابه، أن يذهب إلى ذراريهم بمكة فيأخذها، فأشار الصديق رضي الله عنه إلى أن يمضيَ لعمرته فقال له خرجت عامداً للبيت لا للحرب، فمن صدّنا عنه قاتلناه، فقال ﷺ إمضوا على اسم الله، ثم لما قربوا من الغميم قريبَ عسفان قال ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيلٍ لقريشٍ [من قريش] طليعةً فخذوا ذات اليمين، فما شعر خالد إلا بغبار الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش كما في البخاري، وسار ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها فبركت راحلته، فقالوا خلٍ خلٍ فلم تقم فقالوا خلأت القصواء فقال ﷺ: ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس

---

(٥٨٢) أنظر الطبقات (٢/ ٩٣ - ٩٤).

(٥٨٣) أنظر الأحاديث (٤١٥٠ - ٤١٥٥) من صحيح البخاري، وانظر الفتح (٧/ ٤٤٠) وزاد المعاد (٣/ ٢٨٧ - ٢٨٨).

الفيل أي منعها الله تعالى عن دخول مكة على هذا الوجه المفضي إلى سفك دماء أهلها لما في علم الله تعالى أن أكثرهم سيسلمون، ثم قال ﷺ: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطةً يعظمون فيها حرمات الله تعالى إلا أعطيتهم إياها، ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم، حتى نزل بأقصى الحديبية على حفرة بها ماء قليل فشكوا إليه العطش، فانتزع سهماً من كنانته فجعلوه فيه ففاض ماؤه حتى فضل عنهم، فجاء جماعة من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ فأخبروه: أن أهل مكة بأجمعهم جاءوا مريدين أن يقاتلوه ويصدّوه عن البيت، فقال ﷺ: إنا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدةً ويخلّوا بيني وبين الناس فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا في ما دخل فيه الناس فعلوا، وإن هُم أبَوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أي صفحة عنقي كَنَّى بذلك عن القتل، ولينفذنَّ الله أمره فقال بُدَيل بن ورقاء الخزاعي: سأبلّغهم ما تقول فأتى قريشاً وأخبرهم بما قاله ﷺ فقام عروة بن مسعود وقال يا قوم إن هذا قد عرض عليكم خطة رشدٍ أي خصلة خيرٍ وصلاحٍ، فاقبلوها ودعوني آتِهِ فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ بنحو ما مرَّ، فقال عروة: أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله [أصله] قبلك، وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى أخلاطاً خليقاً أن يفرّوا ويدعوك، فسبّه الصديق رضي الله عنه أبلغ سب بقوله: أُمصص ببظر اللات أنحن نفر منه [عنه] أو ندعه، فقال عروة: من هذا؟ قالوا: أبو بكر، فقال: أما والذي نفسي بيده لولا يدٌ كانت لك عندي لم أُجزِكَ بها لأجبتك ثم أخذ بلحية النبي ﷺ وهو يكلمه على عادتهم عند تكليم النظير لنظيره ملاطفةً، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المخفر [المغفر]، فجعل كلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضربه المغيرة بنصل السيف، فقال أَخّر يدك عن لحية النبي ﷺ أي إجلالاً له ﷺ فرفع عروة رأسه، فقال من هذا؟ قالوا المغيرة بن شعبة

فقال: أي غُدَر ألست سعى في غدرتك أي لأنه اغتال أصحاباً له في الجاهلية فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء وأسلم فقال النبي ﷺ: أمَّا الإسلام فاقبله، وأما المال فلست منه في شيء، ثم جعل عروة يرمق الصحابة وما هم عليه من التعظيم البالغ له ﷺ وهو: أنه لا يتنخم نخامةً إلا وقعت في كف أحد يدلك بها وجهه وجلده، ولا يتوضأ إلاّ كادوا أن يقتتلوا على وضوئه ولا أمر بأمرٍ ألا تبادروا إليه، ولا تكلم إلا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له.

ثم رجع لقومه فقال: وفدت على الملوك قيصر وكسرى والنجاشي، فما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه كما يعظّم أصحاب محمدٍ محمداً وذكر لهم ما مرَّ، ثم قال: إنه عرض عليكم خطة رُشدٍ فاقبلوها، فقال رجل كنانيٌّ دعوني آتِهِ فأذنوا له، فلما أقبل قال ﷺ: هذا ممن يعظمون البُدنَ فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبّونَ، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدّوا عن البيت فعاد إليهم، وقال أرى أن لا يُصدوه عن البيت، فقال آخر دعوني آته فلما أقبل، قال ﷺ هذا مِكرَز وهو رجل فاخر، فجعل يكلم النبيَّ ﷺ فبينما هو كذلك إذ جاء سهيل بن عمرو فقال ﷺ قد سُهِّلَ لكم من أمركم قد أرادت قريش الصلح حين أرسلت هذا فتكلّم معه، حتى وقع بينهما الصلح على: أن توضع الحرب بينهم عشرة سنين ويأمن بعضهم بعضاً، وأن يرجع عنهم عامهم هذا وطلب كتاباً بذلك، فأمر ﷺ علياً فقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: أما الرحمن الرحيم فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب بسمك اللهم كما كنت تكتب، فأبى الصحابة ورضي النبي ﷺ بكتابة ذلك، ثم قال ﷺ: اكتب هذا ما قاضى وصالح عليه محمد رسول الله أهل مكة، فقال سهيل: لو علمنا أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك فقال: والله إني لرسول الله وإن كذّبتموني، ثم قال لعليٍّ أُمْحُهُ فقال عليٌّ ما أنا بالذي أمحاهُ كما في البخاري، وهو لغةٌ في أمحوه، وهذا من باب أن سلوك الأدب أولى من امتثال الأمر ومحله في ما علم بالقرائن أن الأمر ليس للأيجاب وإلاّ لم يجز مخالفته

كما نصوا عليه، ثم قال ﷺ: أرني مكانها فأراه مكانها فمحاه، فكتب ابن عبدالله[٥٨٤]، أي مكان محمد رسول الله كما في رواية غيره، ووقع التصريح في حديث المسور بن مخرمة أن علياً هو الذي كتب ذلك فيتعين كما قال الحفاظ أن كتب في رواية البخاري وغيره بمعنى أمر بالكتابة مجازاً مشهوراً، حتى لا ينافي حرمة الكتابة عليه ﷺ، وقيل إن يده جرت بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها، فخرج المكتوب على وفق المراد فتكون معجزةً أخرى في ذلك الوقت خاصة، ولا يخرج بذلك عن كونه أمّياً وقول جمع منهم أبو الوليد الباجي: إنه ﷺ استمر يكتب حقيقةً من غير تعليم معجزةً مستمرةً بعد أن لم يكن يحسن أن يكتب، وأن مفهوم قوله تعالى: ﴿ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ أي مدة، وإن سبب التحريم أن لا يلتبس بالوحي غيره وقد أُمِنَ ذلك ردّه الجمهور، وما أخرجه ابن أبي شيبة أنه ﷺ لم يمت حتى كتب ضعيف، وما زعموا من أن الالتباس ممنوع إذ لو جازَ أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة كما قاله السهيلي وغيره، وقال المعاند كان يحسن أن يكتب، لكنه كان يكتم ذلك، والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضاً، وجَوَّز القاضي عياض وغيره معرفته ﷺ لحروف الخط وحسن تصويرها وإن لم يثبت أنه كتب لأنه أُوتي علم كل شيء، واستدلَّ بآثار:

منها قوله ﷺ لمعاوية رضي الله عنه إلق الدواة وحرّف القلم وفرّق السين ولا تعوِّر الميم، وأجيب بضعفها[٥٨٥]، وإنما وافقهم ﷺ على ترك كتابه ما ذكر لمصلحة الصلح الذي كان سبباً لفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً، على أن ترك كتابة ما ذكر من لفظ الرحمن الرحيم، ولفظ رسول الله لا محظور فيه، وإنما المحظور لو طلبوا كتابة ما لا يحل، ومما (ولما) كتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله، قال ﷺ: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به، فأبى

---

(٥٨٤) رواه مسلم (١٧٨٣) وابن أبي شيبة (١٤/ ٤٣٤ - ٤٣٥).

(٥٨٥) أنظر الفتح (٧/ ٥٠٤).

سهيل، وقال: والله لا تتحدث العرب أنّا أُخذنا ضغطة أي إكراهاً ولكن ذلك من العام المقبل، فوافقه ﷺ، ثم اشترط سهيل: ردّ مَن جاء إليه ﷺ ولو مسلماً، فعظم ذلك عند المسلمين، فوافقه ﷺ لمصلحة الصلح المرجو فيه ما مرّ آنفاً لأنهم بعد الصلح اختلطوا بالمسلمين، فجاؤوا للمدينة، وذهب المسلمون لمكة فسمعوا منهم أحواله ﷺ، ومعجزاته الظاهرة ومحاسن سيرته الباهرة وعاينوا كثيراً من ذلك، فمالوا إلى الإيمان وبادر إليه جماعة قبل الفتح، وأسلم البقية يومئذ، وأسلم بإسلامهم بقية العرب من البوادي لأنهم كانوا ينتظرون إسلامهم، وفي الحديث [وفي هذا المجلس]: دخل ذلك المجلس أبو جندل بن سهيل بن عمرو وهو في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة فرمى نفسه بين المسلمين، فقال سهيل أبوه: هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ فأبى ﷺ، فأبى سهيل من الصلح، فقال ﷺ: فأجره لي، فقال سهيل ما أنا بمجيره لك، وقال مكرز: بلى قد أجرناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أُردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما أنا فيه من العذاب الشديد فقال ﷺ: اصبر يا أبا جندل واحتسب فإنا لا نغدر وإن الله جاعل لك فرجاً ومخرجاً، وإنما ردّه إليهم عملاً بقضية الصلح ما مرّ من المصلحة العظيمة فيه على أنّ رده إنما هو إلى أبيه، والغالب أن لا يهلكه ويمكنه التقية بالتلفظ بالكفر قال الله تعالى: ﴿إلاّ مَن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾، وعندنا هذا الحكم خاص بالمكلف دون نحو المجنون، وعند الحنفية منسوخ في الكل، ولما تم الصلح قام عمر إلى النبي ﷺ، فقال له: ألست نبي الله حقاً قال بلى، قال: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، قال: بلى، قال: فلِمَ نُعطِ الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قال: أوليس كنت تحدثنا: أنا نأتي البيت فنطوف به قال: بلى، أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: لا، قال: فإنك آتيه وتطوف به، ثم أتى أبا بكر وقال له: مثل ذلك[٥٨٦]، فأجابه أبو بكر رضي الله

(٥٨٦) أنظر حول صلح الحديبية ما رواه البخاري (٢٧٣١ و ٢٧٣٢ و ٢٧٣٣ و ٤١٨٢ و ٤٨٩١

عنه بمثل ما أجاب به النبي ﷺ سواء بسواء، لأنه الخليفة الأعظم في كل فضل، وسؤال عمر رضي الله عنه لإظهار الحق للضعفاء خشيةً من أن يبقى في نفوسهم شيء، لا للشك في أمره معاذ الله كما ذكره الأئمة، وما مرّ من أن الصلح كان عشر سنين هو أشهر من رواية أربع، وكان من جملة الصلح كما أشير إليه فيما مر، أن لا يدخلوا البيت إلا في العام المقبل ثلاثة أيام وسيوفهم مغمورة في غمدها ليكون إمارة على الصلح، ولما كتب كتاب الصلح أرسل به إليهم مع عثمان رضي الله عنه وأمسك عنده سهيلاً كما قاله مكي وغيره، فأمسك المشركون عثمان رضي الله عنه، فغضب المسلمون وبلغهم أن عثمان رضي الله عنه قتل، فدعا ﷺ الناس إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت، وقيل: على أن لا يفرّوا وضرب رسول الله ﷺ بيده اليمنى على يده اليسرى، وقال: هذه بيعة عثمان رضي الله عنه كما في البخاري وإلى هذا أشار الناظم بقوله:

(وبيعة الرضوان) سميت بذلك لنزول الآية برضوان الله تعالى عنهم بسببها وكانت (وسط) بسكون السين على لغة (القعدة) بفتح القاف ويجوز كسرها وبسكون العين أي ذي القعدة، وهو اسم شهر كانوا يقعدون عن الأسفار فيه، ولما سمعوا بهذه البيعة خافوا فأرسلوا عثمان وجماعةً من المسلمين، ثم حَلَقَ رسول الله ﷺ ونحر هديه ففعلوا كذلك ثم رجعوا الى المدينة، فأنزل الله تعالى عليه سورة الفتح بكراع الغميم تسلية لهم عما وقع في نفوس بعضهم.

قال ابن عباس وأنس والبراء رضي الله عنهم (٥٨٧): الفتح المبين صلح

= و٥٢٨٨ و٧٢١٤) وعبدالرزاق (٩٧٢٠) وأحمد (٣٢٦/٤ - ٣٣١ و ٣٣١ - ٣٣٢) وسيرة ابن هشام (٣٥٦/٣ - ٣٦٢) ابن أبي شيبة في المصنف (٤٢٩/١٤ - ٤٥٤) والطبراني (ج ٢٠ رقم ١٣ و ١٤ و ١٥) وزاد المعاد (٢٨٦/٣ - ٣٠٠) والطبقات (٢/ ٩٥ - ١٠٥) وتاريخ الإسلام (١/ ٢٨١ - ٣١١) للذهبي والسيرة (٣/ ٣١٢ - ٣٣٧) لابن كثير

(٥٨٧) عن أنس والبراء في الصحيح انظر صحيح البخاري (٤١٧٢ و ٤٨٣٤) و (٤١٥٠) ولم أر عن ابن عباس.

الحديبية، بعد أن حسب المنافقون أن رسول الله ﷺ والمؤمنون لا ينقلبون إلى أهليهم أبداً والمراد بالفتح القريب فيها فتح خيبر لأنّه وقع قريباً وفيه المغانم الكثيرة، والفتح في سورة النصر ﴿إذا جاء نصر الله﴾. وفي الحديث: لا هجرة بعد الفتح، المراد به فتح مكة اتفاقاً ذكره الحافظ ابن حجر[٥٨٨]، وكانت إقامته ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوماً، وفي تلك [هذه] السنة كسفت الشمس، وظاهر أوس بن الصامت امرأته خولة بنت ثعلبة وقُحِطَ الناس فاستسقى ﷺ فسقوا، وفيها سابق بين الخيل، وقيل في التي قبلها:

سَنَةَ سَبْعٍ خَيبَرٍ وادي القُرى ۞ وَبَعَثَ النَجاشي أيضاً جَعْفَرا

(وما كان في سنة سبع) سنة سبع من الهجرة (خيبر) بالتنوين أي غزوة خيبر بلدة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية بُرُد من المدينة، وهي بعد الحديبية بنحو شهرين، خرج إليها ﷺ أواخر المحرم سنة سبع فحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها قاله ابن اسحاق[٥٨٩]، وما نقل عن مالك وجزم به ابن حزم من أنها كانت آخر سنة ست فمرجوح، على أنه جُمِع بأن قائله بناه على أن أول السنة من شهر الهجرة الحقيقي هو شهر ربيع الأول، ورواية ابن أبي شيبة وغيره بإسناد حسن أنها كانت في رمضان خطأ لعلّه تَصَحّفَت فيها حنين بخيبر، وقول الشيخ أبي حامد من أئمتنا أنها كانت سنة خمس وهمٌ لا يعوّل عليه كما قال الحافظ ابن حجر[٥٩٠]، وكان معه ﷺ ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس، وغار ﷺ بعد الصبح، فرأوا اليهود خارجين لنخلهم وأرضهم وبمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والخميس هذا محمد، والخميس الجيش سمي به لانقسامه إلى خمسة، المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب فرفع ﷺ يديه،

---

(٥٨٨) أنظر الفتح (٧/ ٤٤٢).
(٥٨٩) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٧٨).
(٥٩٠) أنظر الفتح (٧/ ٤٦٤ - ٤٦٥).

وقال: الله أكبر خربت خيبر، إنّا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، عرف ﷺ ذلك بالوحي وتفاءل برؤية آلة الهدم معهم أنّ مدينتهم ستخرب وفرق ﷺ الرايات، ولم تكن إلاّ بخيبر، وكانت قبلها الألوية فقط، وكانت رايته ﷺ سوداء من برد لعائشة رضي الله عنها كما ذكره أهل السير، والحافظ الدمياطي وغيره، وتأخر عليّ كرم الله وجهه لرمد به ثم لحق، ففي ليلة الفتح كما في البخاري قال ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه، فلما أصبح الناس رجوا كلهم: أن يعطاها فقال ﷺ: أين ابن أبي طالب فأخبروه برمده، فأرسل إليه وبصق في عينيه ودعا له فبرىء لوقته، فأعطاه الراية وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ويخبرهم بما يجب عليه من حق الله تعالى وقال: والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم، الحديث (٥٩١)، ولما تصافوا قاتلوا أشد القتال، حتى قتل من اليهود ثلاثة وتسعون، ومن المسلمين خمسة عشر، ولما أراد عامر بن الأكوع أن يضرب ساق يهودي عاد سيفه لقصره إلى ركبته فقتل تصديقاً لِمَا أشار إليه ﷺ يقول له لما حدا للقوم في الطريق يرحمك الله [يرحمه الله] وسمع أخوه سلمة بن الأكوع زعم من قال أنه أحبط عمله أي لوهمه أنه قتل نفسه، فسئل النبي ﷺ، فقال: كذب من قاله وإن له أجرين وجمع بين إصبعيه أنه مجاهِد مجاهَد، وأصاب يومئذ ساقَ سلمة ضربة، فأتى النبي ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات فما شكاها [اشتكاها] بعد أخرجه البخاري (٥٩٢).

وفتح الله على رسوله حصون خيبر العشرة، ودله الله على كنز آل أبي الْحُقيق الذي كان في مسك حمار غيبوه في خِربة فاستخرجه وقلع علي كرّم الله وجهه باب خيبر، ولم يحركه بعد قلعه إلاّ أربعون أو إلاّ سبعون، كما في أخبار كلها واهية، ولذا أنكرها بعض العلماء كما قاله السخّاوي، وسبى رسول الله ﷺ

---

(٥٩١) رواه البخاري في مواضع كثيرة منها (٣٧٠١ و ٤٢١٠).

(٥٩٢) رواه البخاري (٤٢٠٦).

ذريتهم، فكانت فيهم صفية بنت حيي، وكانت قد قتل زوجها فصارت في سهم دحية الكلبي، فافتداها منه بسبعة أرؤس خشية من تغير خاطر بعضهم، لأنها كانت بنت ملك من ملوكهم ذات جمال، وفي الصحابة من هو أكبر من دحية فلم تَلِق إلاّ به ﷺ ثم أعتقها وتزوجها، وفي رواية جعل عتقها صداقها فبنى بها في الطريق لما طهرت من الحيض، وكان ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبتيه وتضع صفية رجلها على ركبتيه حتى تركب، وكانت قبل ذلك رأت أن القمر سقط في حجرها فأولت بذلك، وحرم ﷺ يوم خيبر أكل لحوم الحمر الأهلية، وأذن كما في مسلم في لحوم الخيل(٥٩٣)، وبه أخذ الشافعي رضي الله عنه، وقال الجمهور من السلف والخلف لا كراهة في أكله، وبه قال ابن الزبير وأنس رضي الله عنهما، وفي صحيح مسلم عن أسماء: نحرنا فرساً على عهد رسول الله ﷺ والله فأكلناه ونحن بالمدينة(٥٩٤)، وفي فتح الباري: ويستفاد منه أن ذلك بعد فرض الجهاد، ففيه ردّ على من زعم أن تحريمها كان لأجله(٥٩٥)، وفي رواية للدارقطني: فأكلناه نحن وأهل بيت النبي ﷺ(٥٩٦)، وبفرض عدم ثبوت هذه فالراجح في الأصول أن الصحابة إذا قال: كنا نفعل كذا على عهد النبي ﷺ كان له حكم المرفوع(٥٩٧).

قال الأئمة: ومن حرّمه أجاب بما فيه تعسف وتكلف، وحديث أبي داود والنسائي: نهى ﷺ عن لحوم الخيل ضعيف، وقال الطحاوي: ذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى كراهة لحوم الخيل وخالفاه صاحباه وغيرهما، واحتجّوا بالأخبار المتواترة في حلّها انتهى. وحمل بعضهم الكراهة على التنزيه وأكثرهم على التحريم،

---

(٥٩٣) رواه مسلم (١٩٤١).

(٥٩٤) رواه مسلم (١٩٤٢) ورواه أيضاً البخاري (٥٥١٩).

(٥٩٥) أنظر الفتح (٧/ ٦٤٩).

(٥٩٦) رواه الدارقطني (٤/ ٢٩٠).

(٥٩٧) وانظر الفتح (٧/ ٦٤٩).

وكذا نقل الكراهة [الكراهية] عن مالك تنزيهاً وتحريماً(٥٩٨)، وفي هذه الغزوة أيضاً نهى ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تقسم، وعن وطء الأمة حتى تستبرىء، وفيها سمّت اليهودية للنبيّ ﷺ كما سيأتي في المعجزات، وفيها إسلام أبي هريرة، وبعثه ﷺ الرسل إلى الملوك، واتخاذ الخاتم لختم الكتب، ومجيء مارية القبطية، وبغلته دلدل، وفيها حرّم متعة النساء ثم أحلها يوم حنين، ثم حرّمها أبداً كما في ألفية العراقي. ولما رجع ﷺ نزل أواخر الليل، فأمر بلالاً أن يراقب لهم الفجر، فاستند إلى رحله فغلبه النوم، فلم يوقظهم إلا حرّ الشمس، فاقتادوا رواحلهم شيئاً يسيراً، ثم توضأ ﷺ وأمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح قضاءً، وإنما وقع ذلك تشريعاً لأمته، وكان فتح خيبر عنوة، والقول بأنه كان صلحاً ردّه ابن عبد البر وغيره بأن قائله توهمه من الحصنين اللذين أسلمها أهلها لتحقن دمائهم وهو ضرب من الصلح، لكن لم يقع إلا بحصار وقتال(٥٩٩)، وفي سنة سبع أيضاً في جمادى الآخرة فتح (وادي القرى) هو كما قال ابن جماعة من أعمال خيبر بعدما حاصرها ﷺ أربعاً وقيل أكثر، وفي هذه الغزوة أصاب سهم مِدعماً مولى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: إن الشملة التي غلّها في خيبر لتشعل [لتشتعل](٦٠٠) عليه ناراً (و) في غزوة خيبر (بعث) أصحمة (النجاشي) بكسر النون وتخفيف الجيم وسكون الياء هو الأفصح لكن حذف الياء هنا للوزن، وأصحمة هذا ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون سنة خمس، وكتب ﷺ له كتاباً يدعوه إلى الإسلام سنة ست فأسلم على يد جعفر بن أبي طالب هناك، ثم كتب إليه سنة سبع أن يبعث من بقي [عنده] من أصحابه (أيضاً) أي في سنة سبع (جعفر) بن أبي طالب

---

(٥٩٨) أنظر الفتح (٧/٦٥٠ - ٦٥١).

(٥٩٩) وانظر حول غزوة خيبر الطبقات (٢/ ١٠٦ - ١١٧) وسيرة ابن هشام (٣/ ٣٧٨ - ٣٩٧) والفتح (٧/ ٤٦٣ - ٤٩٨) والسيرة (٣/ ٣٤٤ - ٣٩٤) لابن كثير وزاد المعاد (٣/ ٣١٦ - ٣٥٩).

(٦٠٠) رواه البخاري (٤٢٣٤ و ٦٧٠٧) وغيره.

مفعول بعث أي بعثه بمن معه، وقدموا المدينة فوجدوا رسول الله بخيبر فرفعوا إليه وقد فتح خيبر، وكلم أصحابه أن يدخلوهم في سُهمانهم ففعلوا كما تقدم (٦٠١) ومنه يعلم أن الأولى تقديم البعث على وادي القرى، لكنّ العطف بالواو سهّل الأمر في ذلك ووقعت بين وادي القرى وعمرة القضا سرايا:

منها سرية عمر رضي الله عنه إلى تربة وادٍ، في شعبان في ثلاثين رجلاً، فخرج يكمن بالنهار ويسير بالليل، فأتى الخبر إلى هوازن فهربوا وجاء عمر إلى محالهم فلم يلق أحداً فرجعوا (٦٠٢).

ثم سرية أبي بكر رضي الله عنه إلى بني كلاب بناحية ضرية موضع بين مكة والبصرة في شعبان، ويقال إلى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين، وفي صحيح مسلم فزارة وهو الصحيح (٦٠٣).

ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرّة في شعبان في ثلاثين رجلاً فقتلوا، وقاتل بشر حتى ارتث من المعركة وأخبر بموته ثم قدم عليه ﷺ بمدّة (٦٠٤).

ثم سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى الميفعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة في رمضان في مائتين وثلاثين رجلاً فهجموا عليهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعماً وشاءً إلى المدينة (٦٠٥).

---

(٦٠١) رواه البخاري (٣١٣٦ و ٣٨٧٦ و ٤٢٣٠ و ٤٢٣٣).

(٦٠٢) أنظر زاد المعاد (٣/ ٣٥٩ - ٣٦٠) وشرح المواهب ٢/ ٢٤٩) والطبقات (٢/ ١١٧) والسيرة (٣/ ٤١٨) لابن كثير.

(٦٠٣) أنظر صحيح مسلم (١٧٥٥) ومسند أحمد (٤/ ٤٦) وسنن أبي داود (٢٦٩٧) والطبقات (٢/ ١١٧) وزاد المعاد (٣/ ٣٥٩) والسيرة (٣/ ٤١٧) لابن كثير.

(٦٠٤) في كل النسخ سرية بشر بن سعد والتصحيح من المراجع، أنظر الطبقات (٢/ ١١٨ - ١١٩) وزاد المعاد (٣/ ٣٦٠ - ٣٦١) والسيرة (٣/ ٤١٩ - ٤٢٠) لابن كثير.

(٦٠٥) أنظر الطبقات (٢/ ١١٩) وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٢ - ٢٨٦) ومسند أحمد (٣/ =

ثم سرية بشير أيضاً إلى يمن وجبار بفتح الجيم وهي أرض لغطفان ويقال لفزارة في شوال في ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا للإغارة على المدينة، فلما ساروا إليهم هربوا وأصابوا نعماً كثيرة(٦٠٦).

وكان في القَعْـدَةِ عُمْـرَةُ القَضـا قَضَوا بها عُمْـرَتَهُـم عمّـا مَضى

(كان) [في] سنة سبع أيضاً في شهر ذي (القعدة عمرة) بضم العين لغة الزيادة وشرعاً نسك مخصوص (القضا) بالقصر وتسمى أيضاً عمرة القضية لأنه ﷺ قاضا أي صالح كفار قريش عليها كما مرّ في الحديبية، لا لأنها قضاء عن العمرة التي صُدّ عنها لأنها لم تفسد حتى يجب قضاؤها، بل كانت تامة لأنها انتهت بالتحلل منها ومن ثم عدّوها في عمره ﷺ الأربع كما يأتي، وقال جميع: سميت بذلك لأنه يجب قضاؤها وإليه أشار الناظم بقوله: (قضوا) أي أرادوا (بها) أي في ذي القعدة (عمرتهم) قضاءً (عما مضى) أي من عمرتهم التي ماتت عنهم في الحديبية، قالوا: وإنما عدوا عمرة الحديبية في العمر الأربع لثبوت الأجر فيها، لا لأنها كملت ومبنى الخلاف [الخلاف الاختلاف] في وجوب القضاء على من أحرم بالعمرة فصدّ عن البيت، فالجمهور يجب عليه الهدي ولا قضاء عليه وعن أبي حنيفة رضي الله عنه عكسه، وعن أحمد رحمه الله تعالى رواية: أنه لا يلزم هدي ولا قضاء، وأخرى يلزمه القضاء والهدي.

[فائدة] مذهب الشافعي وأحمد رضي الله عنهما: أن العمرة واجبة كالحج، والمشهور عند المالكية أنها تطوع، وهو قول الحنفية ذكره القسطلاني(٦٠٧)، خرج ﷺ إلى تلك العمرة [في] هلال ذي القعدة وأمر: أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية فخرجوا هم وغيرهم فكانوا ألفين، وساق ستين بدنة وحمل السلاح

= ٤٦٧ - ٤٦٨) وسنن أبي داود (٢٦٧٨) ومعجم الطبراني الكبير (١٧٢٦).

(٦٠٦) أنظر الطبقات (٢/ ١٢٠).

(٦٠٧) أنظر الفتح (٧/ ٥٠٠).

والبيض والدروع والرماح، وقاد مائة فرس، فلما انتهى إلى ذي الخليفة، قدم الخيل أمامه، وعليها محمد بن مسلمة، والسلاح وعليه بشير بن سعد، وأحرم ﷺ ولبّى ولبّى معه المسلمون، ولما وصل محمد بن مسلمة مرّ الظهران وجد بها نفراً من قريش فأخبرهم أن هذا رسول الله ﷺ يصبح غداً في هذا المنزل إن شاءالله تعالى فأتوا قريشاً فأخبروهم ففزعوا، ونزل ﷺ بمرّ الظهران، وقدم السلاح الى بطن يأجج كيسمع ويضرب [فوضع] بمكة وخرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال خوفاً، ولما قرب ﷺ من مكة قدّم الهدي أمامه وهو على راحلته القصواء، والمسلمون متوشحون بالسيوف محدقون برسول الله ﷺ يلبون، فدخل من الثنية العليا المشرفة على الحجون، وعبدالله بن رواحة آخذ يزمام راحلته، وهو يقول:

خلّو بني الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله
يا ربّ إني مؤمن بقيله   إني رأيت الحق في قبوله

فقال له عمر رضي الله عنه: يا ابن رواحة تقول الشعر بين يدي رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ: خلّ عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل، ولم يزل ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمحجن مضطجعاً بثوبه وطاف على راحلته وطاف المسلمون معه مضطبعين، ولما قال المشركون للمسلمين: وهنتهم حمّى يثرب فلم يبق فيهم قوة قتال، أمرهم ﷺ: أن يرحلوا الأشواط الثلاث الأول وأن يمشوا ما بين الصفا والمروة لِيُرِي المشركين قوتهم، فإنهم كانوا على قعيقيعان، ولم يأمرهم بالرمل في جميع الطوفات رفقاً بهم، ثم سعى ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته، ثم عند فراغه، وقد وقف الهدي عند المروة، قال: هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر، فنحر وحلق عند المروة، وكذلك المسلمون، وأقام ﷺ بمكة ثلاثاً، فلما أن مضى الثلاثة الأيام التي شرطوها في صلح الحديبية أنهم لا

يقيمون أكثر منها، قالوا لعلي كرم الله وجهه: قل لصاحبك أخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج ﷺ [٦٠٨]، وتزوج بميمونة في رجوعه بسرف، وهما حلالان كما قال أبو رافع السفير بينها وبين النبي ﷺ [٦٠٩]، وقول ابن أختها عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: تزوجها محرماً قال ابن المسيب ذهول منه [٦١٠] وروى مسلم عنها: تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف [٦١١]، على أن من خصائصه النكاح محرماً في الأصح [٦١٢]، ثم بعد ذلك في صفر سنة ثمان قدم خالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة وعمرو بن العاص وهؤلاء من أكابر قريش إلى المدينة فأسلموا [٦١٣]، وقال الحاكم: سنة سبع [٦١٤]. وقيل: خمس، وفي ذي الحجة سنة سبع:

سرية ابن أبي عوجاء السلمي إلى بني سليم في خمسين رجلاً، فأحدق بهم الكفار من كل وجهٍ حتى قتل عامتهم بعد قتال شديد، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ في أول صفر سنة ثمان [٦١٥] (وما كان في سنة ثمان) سنةْ بإسكان الهاء ثمان من الهجرة وقع في أولها سرايا كسرية غالب بن عبدالله الليثي إلى بني الملوح بالحاء المهملة بالكديد بفتح الكاف

---

(٦٠٨) أنظر الطبقات (٢/ ١٢١ - ١٢٣) وسيرة ابن هشام (٣/ ٤٢٤ - ٤٢٧) وزاد المعاد (٣/ ٣٧٠ - ٣٧٢) والفتح (٧/ ٥٠١ - ٥٠٢).

(٦٠٩) رواه احمد (٦/ ٣٩٢ و ٣٩٣) والترمذي (٨٤٣) والطبراني (٩١٥) وله شواهد ولذا حسنه الترمذي.

(٦١٠) رواه أبو داود (١٨٢٨).

(٦١١) رواه مسلم (١٤١١) وأبو داود (١٨٢٦) والترمذي (٨٤٧) وابن ماجه (١٩٦٤).

(٦١٢) أنظر الفتح (٩/ ١٦٥) لتعلم أن الصواب عدم الثبوت حتى يكون هناك اختصاص.

(٦١٣) أنظر السيرة (٣/ ٤٤٦ - ٤٥٣) لابن كثير.

(٦١٤) أنظر المستدرك (٣/ ٤٥٤).

(٦١٥) أنظر الطبقات (٢/ ١٢٣).

ماء بين الحرمين في صفر فرجع غانماً [٦١٦] وكسريته فيه أيضاً إلى مُصاب أصحاب بشر بن سعد بفدك في مائتي رجل فصبّحوهم وأصابوا نعماً كثيرة [٦١٧].

وكسرية شجاع بن وهب الأسدي في شهر ربيع الأول إلى بني عامر، فأصابوا نعماً وشاءً واستاقوها إلى المدينة [٦١٨].

وكسرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح، وراء ذات القِرى في شهر ربيع الأول في خمسة عشر رجلاً، فلما ساروا إليهم وجدوهم جمعاً كثيراً، فقاتلوا أشد القتال حتى قُتِلوا إلاّ أميرهم وقع جريحاً، فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فشق عليه وهمّ أن يبعث إليهم فبلغه أنهم تفرقوا فتركهم [٦١٩].

سَنَةْ ثَمانٍ كَانَ غَزو مُؤْتَةَ ثُمَّ حُنَيْنٍ بَعدَ فَتْحِ مَكَّةَ

(ثم كان) في جمادى الأولى (غزوة مؤتة) بضم الميم وسكون الواو في الأكثر، وجزم ثعلب والجوهري بالهمز، وأُشبع التاء للوزن، وهي من أعمال البلقاء بالشام دون دمشق وذلك أن رسول الله ﷺ كان أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى ملك بصرى، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله، ولم يُقتَل رسول له ﷺ غيره، فأمّر على السرية زيد بن حارثة وهم ثلاثة آلاف وقال: إن قتل زيد فأميركم جعفر بن أبي طالب فإن قتل فعبدالله بن رواحة فإن قتل فليرض المسلمون برجل من بينهم، وفي رواية أحمد والنسائي

---

(٦١٦) رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٢٤ - ١٢٥) وأحمد (٣/ ٤٦٧ - ٤٦٨) وأبو داود (٢٦٧٨) وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٢ - ٢٨٦).

(٦١٧) أنظر الطبقات (٢/ ١٢٦).

(٦١٨) أنظر الطبقات (٢/ ١٢٧) والسيرة (٣/ ٤٥٣ - ٤٥٤) لابن كثير.

(٦١٩) أنظر الطبقات (٢/ ١٢٧ - ١٢٨).

بإسناد صحيح: إن قتل زيد فأميركم جعفر، صح الحديث، قالوا: وعقد لهم لواء أبيض ودفعه إلى زيد، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعينوا عليهم بالله وقاتلوهم، وخرج مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم، فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال ابن رواحة: لكنني أسأل الرحمن مغفرةً. وضربةً ذات فرغ تقذف الزَّبدا، فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم، وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون معان بفتح الميم موضع من أرض الشام وبلغهم كثرة العدو وأن هرقل قد نزل بالبلقاء في مائة ألف من المشركين، فأقاموا لَيْلَتَيْنِ لينظروا في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ بخبرهم، فشجعهم عبدالله بن رواحة على القتال فمضوا إلى مؤتة، فوافاهم المشركون بما لا قبل لأحد به من العدد والعُدد، والتقى الجمعان: المسلمون والمشركون فقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم، فأخذ اللواء زيد بن حارثة حتى قُتل طعناً بالرماح، ثم أخذه جعفر فنزل عن فرسه الشقراء، وفي رواية فعقرها وقاتل حتى قُتِلَ ضربه رجل من الروم فقدَّهُ نصفين، فوجد في أحد نصفيه بضعةٌ وثمانون جرحاً، وفيما أقبل من بدنه إثنان وسبعون ضربة سيف وطعنةً برمح، وفي رواية البخاري: ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية [٦٢٠]، قالوا: ثم أخذ اللواء ابن رواحة فقاتل حتى قُتِل فأخذ اللواء ابن أقرم العجلاني إلى أن اصطلح الناس على خالد ابن الوليد، فأخذ اللواء وانكشف الناس، فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين [٦٢١].

(٦٢٠) رواه البخاري (٤٢٦١) هذا لفظ البخاري وفي رواية (٤٢٦٠) خمسين بين طعنة وضربة. وما في نسخة.

(٦٢١) أنظر الطبقات (٢/ ١٢٨ - ١٢٩) والسيرة لابن هشام ٣/ ٤٢٧ - ٤٤٧) والسيرة لابن كثير (٣/ ٤٥٥ - ٤٨٠) وزاد المعاد (٣/ ٣٨١ - ٣٨٦) والفتح (٧/ ٥١٠ - ٥١٧).

وقال الحاكم: قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة [٦٢٢].

وقال ابن إسحاق: انحازت كل طائفة من غير هزيمة، ورفعت الأرض يومئذ لرسول الله ﷺ حتى نظر إلى معركة القوم، وقطعت في تلك المعركة [يد] يدا جعفر جميعاً ثم قتل فقال ﷺ: إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء أخرجه أبو عمرو [٦٢٣] وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها: لما جاء قتل ابن رواحة وابن حارثة وجعفر بن أبي طالب جلس ﷺ يُعرَف منه الحزن، الحديث، [٦٢٤]، وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن عبدالله بن جعفر قال: قال لي رسول الله ﷺ: هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء [٦٢٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: مرّ بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة، وهو مخضب الجناحين بالدم أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد على شرط مسلم [٦٢٦]، وفي رواية الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: إن جعفراً يطير مع جبرائيل وميكائيل له جناحان عوّضه الله تعالى عن يديه، وإسناده جيد [٦٢٧]، فقد عوضه الله تعالى عن قطع يديه في تلك الوقعة، حيث أخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل قال السهيلي لم يرد بالجناحين ما يتبادر كجناح الطائر وريشه لأن الصورة الآدمية أشرف الصور بل صفةٌ ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر، وقد عبر القرآن عن العضو بالجناح مجازاً في

---

(٦٢٢) لم أره عند الحاكم.

(٦٢٣) ذكره أبو عمرو بن عبد البر في الاستيعاب عن الزبير (١/ ٢٤٢).

(٦٢٤) رواه البخاري (٤٢٦٣).

(٦٢٥) رواه الطبراني في الكبير (ص ٢٨ من قطعة عندي بخط يدي) وحسنه الحافظ في الفتح (٧/ ٧٦).

(٦٢٦) لم يروه الترمذي بهذا اللفظ وإنما هو عند الحاكم (٣/ ٢١٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي والحافظ في الفتح (٧/ ٧٦).

(٦٢٧) رواه الحاكم (٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) وانظر الفتح (٧/ ٧٦).

﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ وقال العلماء : في أجنحة الملائكة أنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة ، فقد ثبت أن لجبريل ستمائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة فضلاً عن أكثر ، وإذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها انتهى .

قال الحافظ ابن حجر : وما جزم به ممنوع ، وما حكاه عن العلماء لا يدل صريحاً لما ادّعاه ولا مانع من الحمل على الظاهر إلا من جهة ما ذكره من المعهود ، وهو قياس الغائب على الشاهد وهو ضعيف ، وكون صورته أشرف لا يمنع الحمل على الظاهر لأن الصورة باقية ، وقد روى البيهقي في الدلائل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة أن جناحي جعفر من ياقوت ، وجاء في جناحي جبرائيل أنهما من لؤلؤ أخرجه ابن منده في ترجمة ورقة ،(٦٢٨) . وذكر موسىٰ بن عقبة أن يعلىٰ بن أمية قدم بخبر أهل مؤتة فقال له ، ﷺ : إن شئتَ فأخبرني ، وإن شئتَ أخبرتك ، قال: أخبرني فأخبره خبرهم، فقال والذي نفسي بيده والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً ،(٦٢٩) وفي رواية عند الطبراني: أن أبا عامر الأشعري هو الذي أخبره ﷺ بمصابهم ،(٦٣٠) ثم في جمادىٰ الآخرة سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل على عشرة أيام من المدينة ، سميت به لارتباط المشركين بعضهم ببعض لئلا يفرّوا ، وقيل لأن بها ماء يقال له السلسل(٦٣١) .

سببها : أنه بلغهم أن جمعاً من قضاعة تجمعوا للإغارة ، فلما بلغهم المسلمون هربوا وتفرقوا .

---

(٦٢٨) أنظر الفتح (٧/ ٥١٥ ـ ٥١٦).

(٦٢٩) أنظر الفتح (٧/ ٥١٣).

(٦٣٠) رواه الطبراني (ج ٢٠ رقم ٣٧٨) وفي إسناده ثابت بن دينار أبو حمزة وهو ضعيف.

(٦٣١) أنظر الطبقات (٢/ ١٣١) والسيرة (٣/ ٥١٦ ـ ٥٢١) لابن كثير.

ثم سرية أبي [عبيدة] العبيدة بن الجراح، وسماها البخاري: غزوة سيف البحر (٦٣٢) وتعرف بسرية الخبط بعثه في ثلاثمائة كما في الصحيحين إلى عير لقريش كما في مسلم، وعنده أيضاً إلى أرض جهينة (٦٣٤)، وفي كتب السير إلى حيّ من جهينة بالقبلية (٦٣٥) بفتح القاف والموحدة مما يلي ساحل البحر على خمس ليال من المدينة، ولعل البعث لمقصدين وصدُ عير قريش ومحاربة حيّ من جهينة كما في المواهب، قالوا: وكانت في رجب بعد نقض قريش العهد وقبل الفتح، ولم يعرف لهم قتال، وزودهم ﷺ جراباً من التمر، فلما فني أكلوا الخبط بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة ورق السَلَم (٦٣٦).

ثم سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري ،في شعبان إلى خضرة، وهي أرض محارب بنجد في خمسة عشر رجلاً إلى غطفان فأصابوا منهم قتلى وسبياً ونعماً، فكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة (٦٣٧).

ثم سرية أبي قتادة أيضاً إلى بطن إضم على ثلاث برد من المدينة في أول رمضان في ثمانية نفر، وذلك حين همّ ﷺ أن يغزو أهل مكة ليظن أنه توجه إلى تلك الناحية، فلقوا عامر بن الأضبط، فسلم عليهم بتحية الإسلام فقتله مِحْلَمُ بن حثامة فنزلت: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾ الآية. رواه الإمام أحمد (٦٣٨) وعند ابن جرير من حديث ابن عمر نحوه وزاد فجاء مِحلَم بن جثامة في بردين فجلس بين يديه ﷺ ليستغفر له فقال ﷺ:

---

(٦٣٢) أنظر الفتح (٨/٧٧).

(٦٣٣) رواه البخاري (٢٤٨٣ و ٢٩٨٣ و ٤٣٦٠ و ٤٣٦١ و ٤٣٦٢ و ٥٤٩٣ و ٥٤٩٤) ومسلم (١٩٣٥) وغيرهما.

(٦٣٤) رواه مسلم (١٩٣٥).

(٦٣٥) أنظر الطبقات (٢/ ١٣٢).

(٦٣٦) أنظر السيرة (٣/ ٥٢١ - ٥٢٣).

(٦٣٧) أنظر الطبقات (٢/ ١٣٢ - ١٣٣).

(٦٣٨) رواه أحمد (٦/ ١١) وابن جرير في تفسيره (١٠٢١٢).

لا غفر الله لك فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة حتى مات فلفظته الأرض، وعند غيره ثم عادوا به فلفظته الأرض فلما غلب قومه عمدوا إلى صدّين فسطحوه ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه.

وفي رواية ابن جرير فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله يريد أن يعظكم[٦٣٩] كما [كذا] في المواهب.

وقيل: إن الآية نزلت في أسامة بن زيد قتل في سرية من قال: لا إله إلا الله على ظن أنه متعوّذ فبان خطأ اجتهاده[٦٤٠] (ثم) كان في سادس شوال خروجه ﷺ في اثني عشر ألفاً، عشرة آلاف من أهل المدينة وألفان ممن أسلم بمكة إلى غزوة هوازن وثقيف (في حنين) بالتصغير وادٍ وماء قريب من ذي المجاز على ثلاث ليالٍ من مكة قريب من الطائف وذلك (بعد فتح مكة) زادها الله شرفاً وهو الفتح الأعظم الذي أعزّ الله به المسلمين ودينه ورسوله وحبذه وحرمه الأمين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدىً للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزّه على مناكب الجوزاء ودخل الناس به في دين الله أفواجاً وأشرق به وجه الدهر ضياءً وابتهاجاً[٦٤١]، خرج رسول الله ﷺ إليها في رمضان بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قريش عهدهم الواقع في صلح الحديبية، وهو لا يمنع أحداً من الدخول في عقد إحدى الفئتين، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ، وكان بين بني بكر وخزاعة عداوة وحروب في الجاهلية فبيت بعض بني بكر خزاعة وهم على ماء لهم فقتلوا رجلاً من خزاعة فاستيقظت

---

(٦٣٩) رواه ابن جرير في تفسيره (١٠٢١١).

(٦٤٠) رواه ابن جرير (١٠٢٢١) من قول السدي.

(٦٤١) أنظر زاد المعاد (٣/ ٣٩٤ ـ ٤١٥) وسيرة ابن هشام (٤/ ٣ ـ ٦٥) والطبقات (٢/ ١٣٤ ـ ١٤٩) والسيرة (٣/ ٥٢٦ ـ ٥٩٠) لابن كثير والفتح (٨ / ٣ ـ ٤١).

لهم خزاعة فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم فأمدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلاً في خفية فجاء ركب من خزاعة إلى المدينة فأخبروا رسول الله ﷺ بما أصابهم، واستنصروه فقام ﷺ وهو يجر رداءه، وهو يقول لا نُصِرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسي، وجاء في رواية الطبراني: أنه ﷺ أعلم بما وقع لخزاعة قبل أن يأتوا، فأمر ﷺ عائشة رضي الله عنها: أن تجهزه سراً، فدخل عليها أبو بكر وقال ما هذا الجهاز؟ قالت والله ما أدري قالت فأقمنا ثلاثاً، ثم صلى الصبح بالناس فسمعت الرجز ينشده:

يا رب إني ناشدٌ محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحداً فانصر هداك الله نصراً أبداً

وادع عباد الله يأتوا مددا الأبيات.

فقال ﷺ نصرت يا عمرو بن سالم(٦٤٢). وهو الراجز، فكان ذلك سبباً لفتح [فتح] مكة، وكان قدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله ﷺ يسأله أن يجدد العهد ويزيد في المدة فأبى عليه، فانصرف إلى مكة، وعند تجهيزه ﷺ سراً أرسل حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى أهل مكة يخبرهم بذلك، فأطلع الله تعالى نبيه ﷺ، فأمر علياً والزبير والمقداد رضي الله عنهم أن يأتوا ظعينة هو معها بمحل كذا فأتوه فوجدوها وسألوها الكتاب، فأنكرت فشدّدوا عليها حتى أخرجته من عقاصها، فجاءوا به فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ.

وفي رواية أما بعد: يا معشر قريش فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش يسير

---

(٦٤٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (ج٢٣ رقم ١٠٥٢) والصغير (٧٣/٢ - ٧٥) من حديث ميمونة وفي إسناده يحي بن سليان بن نضلة وهو ضعيف. وفي الأصل ميثاقك المقلدا وهو خطأ.

كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له ما وعده فانظروا لأنفسكم، وفي رواية أن رسول الله ﷺ أذن في الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن يكون لي عندكم يد والسلام (٦٤٣).

فقال له رسول الله ﷺ : يا حاطب ما هذا ؟ فاعتذر بأنه حليف لقريش قبل الإسلام، وليس منهم وأراد أن يتخذ عندهم يداً يحمي بها أهله بخلاف بقية المهاجرين فإن لهم قرابات تحمي أهلهم ومالهم، وقال: إني لم أفعل ذلك ردةً ولا رضـاً بالكفر فقال ﷺ : أما إنه قد صدقكم فقال عمر رضي الله عنه لشدة ما عنده من الدين وبغض المنافقين وظناً أنه استحق بذلك القتل وإن كان صادقاً فيما قاله: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال ﷺ : إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم رواه البخاري (٦٤٤).

وفي رواية عند الطبراني فإني غافر لكم (٦٤٥)، ثم بعث ﷺ إلى مَن حوله من قبائل العرب فجلبهم فمنهم من وافاه بالمدينة فكملوا فيها عشرة آلاف، ومنهم من وافاه في الطريق فصاروا اثني عشر ألفاً واستخلف ابن أم مكتوم وقيل أبارهم الغفاري، واختلف في تعيين يوم خروجه ويوم دخوله مكة، والأصح أنه خرج ثاني رمضان ودخل سادس عشرِه، ولما بلغ ﷺ قديداً عقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل، ولما بلغ الكديد وهو بفتح الكاف الماء الذي بين قديد وعسفان ولعله المسمى الآن بخليص أفطر، فلم يزل مفطراً حتى انسلخ

(٦٤٣) أنظر السيرة (٣/٥٣٧) لابن كثير.

(٦٤٤) رواه البخاري (٣٠٠٧ و ٣٠٨١ و ٣٩٨٣ و ٤٢٧٤ و ٤٨٩٠ و ٦٢٥٩ و ٦٩٣٩) ومسلم (٢٤٩٤) وغيرهما.

(٦٤٥) رواه الطبراني في الكبير (٣٠٦٦) والأوسط والحاكم (٣/ ٣٠١ - ٣٠٢) ورجال الطبراني في المعجمين ثقات كما قال الحافظ الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٠٤).

الشهر رواه البخاري[٦٤٦]، وفي أخرى له أفطر وأفطروا، وكان العباس مقيماً بمكة على سقايته برضى رسول الله ﷺ، فهاجر إليه بأهله وعياله فلقيه بالجحفة ولقيه أيضاً في الطريق بالأبواء أبو سفيان بن الحارث ابن عمه ﷺ وأخوه من الرضاعة ومعه ابنه جعفر، وكان أبو سفيان أليف رسول الله ﷺ، فلما بعث ﷺ عاداه وهجاه، وأسلم مع ابنه قبل دخول مكة، وقيل بل لقيه هو وعبدالله ابن أمية بن عمته عاتكة بين السقيا والعرج، فأعرض ﷺ عنهما لما لقي منهما من كثرة الأذى والهجو فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك وحكي أن علياً قال لأبي سفيان حين أعرض ﷺ عنه: إيت رسول ا ﷺ من قِبَل وجهه فقل له: ما قال إخوة يوسف ليوسف: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ففعل، فقال له ﷺ: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين[٦٤٧]، ويقال إِنَّهُ مُنْذُ أسلم ما رفع رأسه إليه ﷺ حياءً منه، ثم سار فنزل مرّ الظهران عشاءً فأمرهم فأوقدوا عشرة آلاف نار، وكانت قريش أرسلوا أبا سفيان بن حرب ليأخذ لهم أماناً من النبي ﷺ، فخرج هو وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فلما أتوا مرّ الظهران ورأوا العسكر فزعوا، فقال أبو سفيان: ما هذه النيران؟ كأنها نيران عرفة، فقال بديل: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: نيران بني عمرو أقل من ذلك، فأدركهم ناس من حَرَّسَه ﷺ فأخذوهم، فأتوا بهم إليه ﷺ، فأسلم أبو سفيان، فلما ساروا قال ﷺ للعباس: أوقِفْ أبا سفيان حتى ينظر إلى قبائل المسلمين، فمرّ به قبيلة فقال: يا عباس من هذه؟ قال: غفار، فقال: ما لي ولغفار، ثم مرت به جهينة فقال مثل ذلك وهكذا حتى أقبلت كتيبة لم يُرَ مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد: يا أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة

---

(٦٤٦) رواه البخاري (١٩٤٤ و ١٩٤٨ و ٢٩٥٣ و ٤٢٧٥ و ٤٢٧٦ و ٤٢٧٧ و ٤٢٧٨ و ٤٢٧٩).

(٦٤٧) أنظر زاد المعاد (٣/ ٤٠٠).

أي القتل، اليوم تستحل الكعبة وفي رواية الحرمة، فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا اليوم الزمار بكسر المعجمة أي الهلاك والحرب، تمنّى أن يكون له قوة يحمي بها قومه أو ترفّق إلى سعد أن يحميه، وبلغ رسول الله ﷺ كلمة سعد فأم علياً أن يأخذ الراية منه خوفاً من أن يكون له في قريش صولة، وروي أن أبا سفيان لما حاذى رسول الله ﷺ قال له: أُمِرتَ بقتل قومك؟ قال: لا، فذكر له كلام سعد، ثم ناشده الله والرحم فقال: يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة يعز الله فيه قريشاً، ثم دفعت الراية لقيس بن سعد، وفي رواية قال: كذب سعد، ولكن هذا يوم سيعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسو فيه الكعبة، وروى ابن عساكر أن سبب أخذ الراية منه أن امرأةً من قريش لما سمعت مقالة سعد عارضت النبي ﷺ، فقالت: يا نبي الله [الهدى]: إليك لجائي في قريش ولات حين لجائي، حين ضاقت عليهم الأرض وعاداهم إله السماء، إنّ سعداً يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء، فلما سمع ﷺ شعرها هذا، دخلته رأفة لهم ورحمة فأمر بالراية، وأخذت من سعد ودفعت لولده قيس كما تقرر.

وقيل للزبير فدخل مكة بلوائين أي لأنه كان حامل راية الكتيبة الذين فيهم رسول الله ﷺ وهم المهاجرون كما في البخاري(٦٤٨)، ثم أمر ﷺ الزبير أن ينصب رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه ليدخل ﷺ من أعلى مكة، فدخل من أعلاها مردفاً أسامة، ودخل خالد بن الوليد ومن معه من القبائل من أسفلها هذا هو المحفوظ، وعكسه مردود مخالف للأحاديث الصحيحة كما قال الحافظ ابن حجر(٦٤٩)، وأمرهم ﷺ أن يكفّوا أيديهم، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم وقاتلت قبائل استنصرت بهم قريش خالداً، فأكثر هو وأصحابه القتل فيهم، فانهزموا حين انتهى بهم القتل إلى باب المسجد، ودخلوا الدور، ورأى ﷺ بارقة السيوف، فقال: ما هذا؟ لقد نهيت عن القتال، فقالوا: نظن أنّ خالداً

(٦٤٨) رواه البخاري (٤٢٨٠).

(٦٤٩) أنظر الفتح (٤٣٧/٣).



ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال بإحدى يديه على الأرض [الأخرف] احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا، قال أبو هريرة: فانطلقنا، فما نشاء أن نقتل واحداً منهم إلا قتلناه، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله: أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم، فقال ﷺ: من أغلق بابه فهو آمن، وقد تمسك الأكثرون بهذا في قولهم: إن مكة فتحت عَنوةً، وقال الشافعي رضي الله عنه: إنها فتحت صلحاً، والأدلة مبسوطة في محلها، ولما دخل ﷺ مكة في كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير. رأى أبو سفيان ما لا قبل له به، فقال للعباس: يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكاً عظيماً، فقال له: ويحك إنه ليس بملك، إنها نبوة، فقال: نعم وروى أنه ﷺ طأطأ رأسه حين دخولها حتى كاد يمس رحله[٦٥١] تواضعاً وشكراً لله لما أكرمه به من أن أحَلّ له بلده وبوأه منه ومن أهله ولم يحلّه لأحدقبله ولا لأحد بعده، وكان على رأسه الشريف حينئذ المغفر بكسر فسكون المعجمة ففتح الفاء أي فضلة من الدرع يعمل على قدر الرأس كالقلنسوة وعلى المغفر أو تحته وقاية لرأسه عمامة سوداء ولم يكن يومئذ مِحرماً كما في مسلم وغيره[٦٥٢]. وقيل: كان على رأسه أولاً المغفر ثم نحاه وتعمم لخطبة الناس على باب الكعبة، واستمر ﷺ على راحلته حتى أناخها بفناء الكعبة، فطلب المفتاح من عثمان بن طلحة، فذهب ليأتي به فأبت أمه سلافة بضم المهملة وتخفيف الفاء فخوفها بقتله ﷺ له إن لم يأت به فأعطته إياه فجاء به فدفعه إليه ﷺ ففتح الباب رواه مسلم[٦٥٣].

وعثمان هذا لا ولد له ولا صحبة ورواية، والشيبيون الحجبة الآن بمكة إنما هم من نسل شيبة ابن عم عثمان المذكور كما جزم به القسطلاني وغيره.

---

(٦٥١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٨) وقد روى الحاكم في الاكليل من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على رحله متخشعاً.

(٦٥٢) رواه مسلم (١٣٥٧).

(٦٥٣) رواه مسلم (١٣٢٩) والبخاري أيضاً.

روى ابن سعد أن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس فأقبل ﷺ يريد الدخول مع الناس فأغلظت له ونلت منه فحلم عني، ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت، قلت لقد هلكت قريش وذلت، فقال بل عمرت وغزت يومئذ ودخل فظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال. فلما كان يوم الفتح أخذه مني ثم دفعه إليّ وقال: خذوها خالدةً تالدةً لا ينزعها منكم إلاّ ظالم، وكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت، فلمّا ولّى ناداني وذكر لي قوله لي بمكة قبل الهجرة فأسلمت[٦٥٤]، وفي ثاني يوم الفتح قام ﷺ خطيباً في الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس إنّ الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، الحديث الصحيح المشهور ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء أي الذين أطلقهم الله عن قيد الأسر والاسترقاق، ولما طاف ﷺ يوم الفتح وكان يوم جمعة [الجمعة] لعشر بقين من رمضان على خلاف فيه خطر لفضالة بن عمير بن الملوح أنه يقتله ﷺ طائفاً، فلما دنى منه قال: يا فضالة ما كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء كنتُ أذكر الله، فضحك ﷺ، ثم قال: أستغفر الله، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله تعالى شيئاً أحب إليّ منه، وأشار ﷺ وهو طائف إلى الأصنام المعلقة [المتعلقة] بالكعبة، وكانت ثلاثة مائة وستين صنماً بعدد أيام السنة لقبائل من العرب يحجون إليها وينحرون لها، فكلما مرّ ﷺ بصنمٍ أشار إليه بقضيبه وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، فيقع الصنم لوجهه كما رواه البيهقي وغيره وفي روايات أنها كانت مثبتةً بالحديد والرصاص[٦٥٥].

ولما صعد ﷺ الصفا يدعو رافعاً يديه خطر للأنصار أنه يقيم بعد الفتح

---

(٦٥٤) أنظر زاد المعاد (٣/ ٤٠٩).

(٦٥٥) أنظر السيرة (٣/ ٥٧٢) لابن كثير.

ببلده، فلما فرغ من الدعاء قال لهم: ماذا قلتم؟ قالوا لا شيء فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال ﷺ: معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم، وأقام ﷺ بمكة بضعة عشر يوماً يقصر الصلاة كما في روايات، وبعد خمسة أيام من الفتح أرسل ﷺ خالداً في ثلاثين رجلاً إلى العزى.. صنم بنخلة أعظم أصنام قريشٍ وبني كنانة فهدموها ثم جاءوا إليه ﷺ فقال لخالد: هل رأيت شيئاً؟ قال لا، قال فإنك لم تهدمها فارجع فرجع مجرداً سيفه، فخرجت إليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس فجعل السادن يصيح فيها فضربها خالد فجزلها باثنين [باثنتين] فرجع، فقال ﷺ نعم تلك العزى وقد أيست أن تعبد ببلادكم أبداً (٦٥٦)، ثم أرسل ﷺ عمرو بن العاص إلى سواع صنم [هذيل] لهذيل على ثلاثة أميال من مكة، فلما وصل إليه قال له سادنه: ما تريد؟ فقال أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه قال: لا تقدر على ذلك قال: لِمَ؟ قال: تمنع قال: ويحك هل يسمع أو يبصر؟ فدنى منه فكسره، ثم قال لسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله تعالى (٦٥٧).

وفي سادس يوم الفتح أرسل ﷺ سعيد بن زيد إلى منات صنم للأوس والخزرج بالمشلل جبل يهبط منه إلى قُدَيد، فلما أقبل عليه في عشرين فارساً خرجت امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعوه بالويل والثبور فقتلها، ثم هدم الصنم (٦٥٨)، ولما رجع خالدٌ رضي الله عنه من هدم العزى أرسله ﷺ في ثلاث مئة وخمسين رجلاً إلى بني جذيمة قبيلة من عبد القيس أسفل مكة على ليلةٍ بناحية يلملم في شوال ليدعوهم إلى الإسلام لا مُقاتلاً، فلما وصل إليهم قال: ما أنتم؟ قالوا صبأنا يريدون أسلمنا وفي البخاري (٦٥٩) لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا وصدّقنا بمحمدٍ ﷺ، فقالوا صبَأنا فاستأسرهم خالد وفرقهم في أصحابه، فلما

---

(٦٥٦) أنظر السيرة (٣/ ٥٩٧ - ٥٩٨) لابن كثير والطبقات (٢/ ١٤٥ - ١٤٦).

(٦٥٧) أنظر الطبقات (٢/١٤٦).

(٦٥٨) أنظر الطبقات (٢/ ١٤٦ - ١٤٧).

(٦٥٩) رواه البخاري (٤٣٣٩ و ٧١٨٩).

كان السحر نادى بقتلهم فقتل بنو سليم من في أيديهم وكف الأنصار والمهاجرون فأرسلوهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: اللهم إني أبرء إليك مما فعل خالد (٦٦٠) أي لكونه لم يتثبت في قتلهم ولم يسألهم عن مرادهم بقولهم صبأنا، فلا ينافي ذلك أن خالداً رضي الله عنه كان مجتهداً، والمجتهد إذا أخطأ كان له أجر لأن الخطأ وإن كان منه صح أن يقول ﷺ فيه: اللهم إني أبرء إليك مما فعل إعلاماً بأن ما فعله لم يكن من أمره ﷺ ولا من إشارته، وإنما هو اجتهد فيه خالد ولم يصب، ثم بعث ﷺ علياً فودى لهم قتلاهم، ثم لما مهد ﷺ مكة وأسلم عامة أهلها اتفقت أشراف ثقيف وهوازن قبيلة حليمة السعدية على حربه ﷺ، فخرج إليهم ﷺ في اثني عشر ألفاً كما مرّ.

واستعمل على مكة أُسيد بن عتاب، وخرج معه ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وكان ﷺ قد استعار منهم مئة درعٍ فوصل ﷺ إلى حنين لعشر ليال خلونَ من شوال، فبعث رئيسهم مالك بن عوف قريباً من مئتي رجل يخبر عسكره ﷺ، فلما عرفوا الخبر تفرقت أوصالهم من الرعب، وجاء إليه ﷺ رجل بالطريق فقال: إني انطلقت إلى هوازن فإذا هم عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم اجتمعوا إلى حنين فتبسم ﷺ، وقال: تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله تعالى ولما رأى رجل كثرة المسلمين قال: لن نُغلَبَ اليوم من قلة، فشقّ ذلك على النبي ﷺ، لعلمه أنهم سيؤاخذون [يؤاخذون] بهذه الكلمة، ولما وصل إليهم لبس ﷺ درعين والمغفر والبيضة، وركب بغلته البيضاء دلدل، فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وذلك في غبش الصبح، فحملوا حملة واحدةً، فانهزم المسلمون، ولم يثبت معه ﷺ إلاّ عمه العباس والفضل ابنه وعليّ وأبو سفيان بن الحارث وأبو بكر وعمر وأسامة في أناس من أهل بيته وأصحابه، والعباس بن

(٦٦٠) أنظر الطبقات (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٩) وسيرة ابن هشام (٤/ ٥٣ ـ ٥٦) والسيرة (٣/ ٥٩١ ـ ٥٩٣) وزاد المعاد (٣/ ٤١٥).

عبدالمطلب أخذ بلجام بغلته مخافة أن تصل إلى العدو به، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بركابه وهو يقول:

أنـــا النبـــي لا كـــذب   أنـا ابـــن عبـــدالمطلـــب

ولم ينهزم ﷺ قط كما أجمعوا عليه بل اعتقاده يؤدي إلى الكفر كما سبق وجعل ﷺ يقول للعباس وكان جهوريّ الصوت يُسمَعُ صوته من ثمانية أميال: نادِ يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة، أي شجرة بيعة الرضوان التي بايعوه ﷺ تحتها: أن لا يفروا عنه، فلما سمعوا النداء رجعوا كأنهم الإبل أو البقر إذا حنت إلى أولادها، قائلين يا لبيك يا لبيك، ومن لم يطاوعه بعيره انحدر عنه ماشياً أو تركه، فأمرهم أن يصدقوا الحملة ففعلوا، فلما أشرف عليهم ونظر إلى قتلاهم، قال ﷺ: الآن حمي الوطيس وهو التنور، وتناول ﷺ حصيات من الأرض، ثم قال: شاهت الوجوه أي قبحت وتغيرت، فلم يبق أحد إلاّ امتلأت عيناه من تلك القبضة، وفي رواية لمسلم: قبضة من التراب (٦٦١)، ويمكن الجمع بأنه رمى بكل، وبأنها قبضة واحدة لكنها مخلوطة من حصًى وتراب، وفي رواية (٦٦٢): وسمعوا صلصلة من السماء شديدة مزعجةً، فولّوا منهزمين، وروى ابن جرير بسنده عن رجل كان مع المشركين أنه قال: لما لقيناهم لم يقوموا لنا حلب شاة فجعلنا نسوقهم حتى أتينا [انتهينا] إلى صاحب البغلة البيضاء فتلقّانا عنده ناس بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا وركبوا أكتافنا، وفي سيرة الدمياطي كان سيما الملائكة يومئذ عمائم حمراء أرخوها بين أكتافهم، وفي هذه وبدر قاتلت الملائكة بأنفسها، ورمى ﷺ وجوه

---

(٦٦١) في رواية لمسلم (١٧٧٥) ثم أخذ رسول الله حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، وفي رواية (١٧٧٧) ثم قبض قبضة من تراب الخ.

(٦٦٢) أنظر الطبقات (٢/ ١٥٦).

(٦٦٣) رواه الترمذي (١٦٨٩) وقال: حسن صحيح غريب من حديث عبيدالله لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأما الحافظ فحسنه في الفتح (٨/ ٢٩).

المشركين بالحصباء فيها، وإنما ركب ﷺ في مثل هذا المحل البغلة مع أنها من مراكب الأمن إذ لا تصلح للكرّ ولا للفرّ، ليعلم أن الأمن والحرب عنده متساويان لباهر شجاعته التي لا منتهى لها، وقال ﷺ يومئذ: مَن قتل قتيلاً له عليه بينة فله سَلَبه، فاستلب أبو طلحة عشرين رجلاً واختلفوا في عدد من ثبت معه ﷺ يومئذ، نحو مائة عند الترمذي بإسناد حسن، اثني عشر في رواية ابن إسحاق، أربعة في رواية ابن أبي شيبة (٦٦٤)، عشرة في شعر العباس رضي الله عنه، واستشهد من المسلمين أربعة وفي رواية ابن أبي شيبة منهم أيمن بن أم أيمن وقتل من المشركين كثير وفرّ سائرهم فانتهى بعضهم إلى الطائف وبعضهم إلى نخلة وقوم منهم إلى أوطاس، وهو واد في ديار هوازن (٦٦٥)، ولما فرغ ﷺ من حنين، أرسل أبا عمر عمّ أبي موسى الأشعري في طلب مَن فرّ إلى أوطاس فوصل إليهم فإذا هم ممتنعون فقتل منهم تسعة إخوة مبارزة بعد أن يدعو كل واحد إلى الإسلام، ثم برز له العاشر فدعاه إلى الإسلام وقال: اللهم اشهد عليه، فقال: اللهم لا تشهد عليّ، فكفّ عنه أبو عامر فأفلَتَ ثم أسلم بعد فحسن إسلامه فكان ﷺ إذا رآه قال: هذا شريد أبي عامر، ثم رمى أبو عامر ابنا الحارث وهما العلا وأوفى فقتلاه، فخلفه أبو موسى الأشعري فقاتلهم حتى فتح الله عليه، وقتل قاتل أبي عامر، ولما رُمِيَ أبو عامر قال لأبي موسى كما في البخاري يا ابن أخي أقرىءرسول الله ﷺ السلام، وقل له يستغفر لي (٦٦٦)، فلما رجع أبو موسى ذكر له ذلك فتوضأ ثم رفع يديه حتى رُأي بياض إبطيه فقال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، فقال أبو موسى ولي يا رسول الله فقال: اللهم اغفر له ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً (٦٦٧)، ولما [رجع] خرج ﷺ من

---

(٦٦٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٥٢٦).

(٦٦٥) أنظر الطبقات (٢/ ١٤٩ - ١٥٧) وسيرة ابن هشام (٤/ ٦٥ - ٩٢) وزاد المعاد (٣/ ٤٦٥ - ٤٧٦) والسيرة (٣/ ٦١٠ - ٦٣٩) لابن كثير والفتح (٨/ ٢٧ - ٤١).

(٦٦٦) رواه البخاري (٤٣٢٣).

(٦٦٧) أنظر الفتح (٨/ ٤١ - ٤٣).

حنين، وكان قد أمر أن يجمع السبي والغنائم كلها إلى الجعرانة فكانت بها إلى أن انصرف من الطائف بلغه ﷺ : أنّ ثقيفاً لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصونهم بالطائف بلدة كبيرة على مرحلتين أو ثلاث من مكة، وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا[دخلوا] فيه ما يصلحهم لسنة، فسار ﷺ إليهم وعسكر قريباً من حصنهم، فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً كأنه رِجل جراد، فجُرِحَ كثير من المسلمين وقل منهم اثني عشر رجلاً، فارتفع ﷺ إلى موضع مسجد الطائف اليوم، فضرب لأم سلمة قبة ولزينب أخرى، وكان يصلي بين القبتين مدة حصار الطائف وهي ثمانية عشر يوماً، ونصب عليهم المنجنيق، وهو أول منجنيق رُمي به في الإسلام، ثم أمر ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها فقطعها المسلمون قطعاً ذريعاً، فسألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال: إني أدعها لله وللرحم، ثم نادى مناديه ﷺ : أن من نزل إليه من الحصن فهو حرّ، فخرج إليه ثلاثة وعشرون رجلاً كما قاله مغلطاي وغيره، منهم أبو بكرة فأعتق ﷺ من نزل منهم فدفع كلاً إلى من يمونه من المسلمين فشق ذلك على أهل الطائف، ولم يؤذن له ﷺ في فتحه، فأمر عمر رضي الله عنه، فآذن بالرحيل، فضجّ الناس من ذلك، وقالوا: نرحل ولم يفتح علينا الطائف، فقال ﷺ : فاغدوا على القتال، فغدوا، فأصاب المسلمين جراحات، فقال ﷺ : إنا قافلون إن شاء الله تعالى، أي راجعون فسُرّوا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك [٦٦٨].

قال النووي رحمه الله: قصد ﷺ الشفقة عليهم بالرحيل لقوة عدوهم، مع رجائه أو علمه أنه يستفتحه [سيفتحه] بلا مشقة، فلما حرصوا على المقام والقتال، أقام وجربهم، فلما جرحوا رجع بهم إلى ما كان قَصَدَه أولاً من الرفق بهم ففرحوا فضحك تعجباً من [سرعة] تغير رأيهم [٦٦٩]، وفقئت عين أبي

---

(٦٦٨) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٢٢ - ١٣٣) والطبقات (٢/ ١٥٨-١٦٠) وزاد المعاد (٣/ ٤٩٥ - ٤٩٨) والسيرة (٣/ ٦٥٢ - ٦٦٧) لابن كثير والفتح (٨/ ٤٣ - ٤٦).

(٦٦٩) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٢٤).

سفيان صخر بن حرب يومئذ فَذَكَرَ ابن سعد أنه ﷺ قال له: وهي في يده أيما أحب إليك، عين في الجنة أو أدعو الله أن يردّها إليك، قال: بل عين في الجنة، ورمى بها.

قال الحافظ زين الدين العراقي: وشهد وقعة اليرموك بعد ذلك بمدة فقتل. كذا في المواهب ومشى عليه ابن حجر في أسنى المطالب، لكن جزم به صاحب كتاب الخميس بأن موته في خلافة عثمان، ووقعة اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه كما سيأتي، وفقئت عينه الأخرى يومئذ [٦٧٠]، ولما قيل: يا رسول الله أدع على ثقيف فقال: اللهم اهد ثقيفاً وايت بهم، ولما وصل ﷺ في الرجوع إلى الجعرانة وبها سبي هوازن وغنائمهم، أقام بها بضعة عشر يوماً ينتظر هوازن ليقدموا عليه مسلمين، ثم بدأ بقسمة الأموال وكانت السبي ستة آلاف رأس، والإبل أربعة وعشرون ألفاً، والشاء أكثر من أربعين ألفاً، والفضة أربعة آلاف أوقية [٦٧١].

وفي البخاري، فطفق ﷺ: يعطي رجالاً المائة من الإبل يتألفهم بذلك، فوقع من صغار الأنصار: أنهم قالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم، فبلغه ﷺ ذلك فجمعهم وأخبرهم بما بلغه عنهم فأنكر ذلك أكابرهم وطلبوا منه العفو عن صغارهم فقال ﷺ: أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم، فوالله: لما تتقلبون به خير مما يتقلبون به، قالوا يا رسول الله: قد رضينا [٦٧٢]، ثم جاء هوازن مسلمين، فقالوا: يا رسول الله: إن لنا أهلاً وعشيرةً، وقد أصابنا [من]

---

(٦٧٠) أنظر طرح التثريب (١/ ١٣٣ - ١٣٤) والعبر (١/ ٣١) ولم أر ذلك عند ابن سعد في الطبقات.

(٦٧١) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٣٤).

(٦٧٢) رواه البخاري (٣١٤٦ و ٣١٤٧ و ٣٥٢٨ و ٣٧٧٨ و ٣٧٩٣ و ٤٣٣١ و ٤٣٣٢ و ٤٣٣٣ و ٤٣٣٧ و ٥٨٦٠ و ٦٧٦٢ و ٧٤٤١).

البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا منّ الله عليك فقال: أحسن الحديث أصدقه، نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم، أم أموالكم؟ فقالوا: نساءنا وأبناءنا فقال ﷺ: أمّا ما كان لي ولبني المطلب فهو لكم، وقال المهاجرون والأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ وامتنع قوم كبني تميم، فوعدهم ﷺ: أن يعطيهم ما طابت به نفوسهم من أول سبي يصيبه، فردّوا مَن بقي عندهم[٦٧٣]، قيل: وكان قدومه إلى الجعرانة لليلتين بقيتا من شوال، قال ابن سيد الناس: وهذا ضعيف، والمعروف: أنه كان ليلة الخميس خامس ذي القعدة[٦٧٤]، فأقام بها ثلاث عشرة ليلة، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج أثناء ليلة الأربعاء ثامنة عشر ذي القعدة محرماً بعمرة فأتمها ورجع ليلاً، ثم أصبح كبائت، ومن ثمة لم يعلم بعمرته هذه إلاّ أفراد وأنكرها من لم يعلمها[٦٧٥]. ثم قدم المدينة، ومدة غيبته عنها شهران وستة عشر يوماً.

سَنَـةَ تِسْـعٍ أَخْبَـرَ الصـادِقُ أَنْ أَصْحِمَةُ النَجاشي قَدْ مـاتَ إِذَنْ
صَلَى علَيـه غـائِبـاً وَفي رَجَـبْ تَبـوك والحجُ بِهـا أيضـاً وَجَـبْ

(وما كان في سنة تسع) سنة تسع من الهجرة في رجب (أخبر الصادق) ﷺ في كل ما أخبر به من المغيبات (أن) مخففة عاملة في ضمير الشأن أو في الظاهر بعده (أصحمة) بالرفع والنصب ومعناه بالعربية عطية وهو أصحمة بن أبجر، أسلم وكان من أعلم الناس بالإنجيل كما قاله الواقدي (النجاشي) ملك الحبشة (قد مات) وقوله (إذَنْ) جواب وجزاء كأنه قيل: إذا أخبر ﷺ بموته ما فعل، فأجاب بأنه (صلّى) النبي ﷺ بـأصحـابـه صلاة الجنـازة (عليـه) أي النجاشي حال كونه (غائباً) في الحبشة وهو ﷺ بالمدينة ويجوز الصلاة على

---

(٦٧٣) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٣٤ ـ ١٣٥).
(٦٧٤) أنظر الفتح (٨/ ٤٨).
(٦٧٥) أنظر الفتح (٣/ ٦٠٠).

الغائب عن [من] البلد سواء كان الميت في جهة القبلة أم لا ؟ على مسافة القصر أم لا ؟ كما تقرر في الفقه، وفي الصحيحين: أنه ﷺ أخبرهم بموت النجاشي في اليوم الذي مات فيه ثم خرج بهم إلى المصلّى، فصلّى عليه وكبّر أربعاً[٦٧٦] (وفي) عاشر (رجب) سنة تسع اتفاقاً، وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع، قالوا: لعله من النساخ[٦٧٧]، بلغه ﷺ: أن الروم تجمعت إلى هرقل بالشام لقتاله ﷺ.

وسبب جمعهم ما روى الطبري[٦٧٨] أن نصارى العرب كتبوا إلى هرقل أن الرجل الذي يدعي النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم وضعفوا، فجهز هرقل أربعين ألفاً فأعلم ﷺ بذلك الناس، ولم يُوَرِّ كعادته ليتأهبوا، لبعد المكان وكثرة العدو، وتسمّى هذه الغزوة غزوة (تبوك) محل معروف على نصف طريق المدينة إلى دمشق، وتعرف أيضاً بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها، وبغزوة العسرة لعظم الجدب وقلة النفقة والأهبة، ومن ثم جاء عثمان رضي الله عنه كما في رواية بعشرة آلاف دينار، وفي رواية أخرى: أنه حمل في هذه الغزوة على ألف بعير وسبعين فرساً النفقة والأهبة، ولشدة الحرّ [حتى] كانوا ينحرون الإبل ليشربوا ما في كروشها[٦٧٩]، وأرسل ﷺ إلى مكة وقبائل العرب يطلب منهم الخروج معه، وطلب أصحاب أبي موسى الأشعري من رسول الله ﷺ: أن يحملهم، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه فبكوا فاشترى لهم ﷺ من سعد ستة أبعرة وأرسلها إليهم[٦٨٠]، وقام علبة بن زيد من جملتهم فصلّى من الليل وبكى وقال: اللّهم إنّك أمرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به على

---

(٦٧٦) رواه البخاري في مواضع منها (١٢٤٥ و ١٣١٨ و ١٣٣٣) ومسلم (٩٥١).

(٦٧٧) أنظر الفتح (٨/ ١١١).

(٦٧٨) في نسختي الطبراني وهو خطأ.

(٦٧٩) أنظر الفتح (٨/ ١١١) وابن جرير في تفسيره (١٧٤٢٣ و ١٧٤٢٤).

(٦٨٠) رواه البخاري (٤٤١٥) ومسلم (١٦٤٩).

رسولك، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها مال أو جد أو عرض فلما أصبح مع الناس قال ﷺ: من المتصدق بهذه الليلة فلم يقم أحد ثم قال في الثالثة: مَن المتصدق بهذه الليلة فليقم، فقام علبة فأخبره ﷺ، فقال ﷺ: أبشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة رواه يونس كما ذكره السهيلي في الروض، والبيهقي في الدلائل(٦٨١) [وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم] في التخلف فأذن لهم وهم إثنان وثلاثون رجلاً وقعد آخرون منافقون بلا إذن جرأة على الله ورسوله وتخلف من أكابر المسلمين الثلاثة الذين ذكرهم الله تعالى وثاب عليهم في آخر سورة براءة، وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة(٦٨٢)، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة في قول رجحة الدمياطي وعلياً في قول آخر رجحه ابن عبد البر والحافظ العراقي، وثبت في الصحيحين وقال له يومئذ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي(٦٨٣). وكان معه ﷺ في هذه الغزوة ثلاثون ألفاً، أو أربعون، أو سبعون، فيه أقوال، والخيل عشرة آلاف فرس، ولما مرّ ﷺ بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم بديار ثمود سجّى ثوبه على وجهه، واستحثّ راحلته، ثم قال: [لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلاّ وأنتم باكون، خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم] رواه الشيخان(٦٨٤)، وأمرهم أن لا يشربوا من مائها وأن لا يطعموا ما عجّنوه به دوابهم(٦٨٥)، وأن لا يخرج أحد وحده، فخالف رجلان أحدهما خرج لحاجة [لحاجته] فاختنق من الجن وآخر

---

(٦٨١) أنظر ترجة علبة بن زيد من الإصابة (٤/ ٥٤٦ - ٥٤٨).

(٦٨٢) رواه البخاري (٤٤١٨) وغيره.

(٦٨٣) رواه البخاري (٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤) وغيرهما.

(٦٨٤) رواه البخاري (٤٣٣ و ٣٣٨٠ و ٣٣٨١ و ٤٤١٩ و ٤٤٢٠ و ٤٧٠٢) ومسلم (٢٩٨٠) وغيرهما.

(٦٨٥) رواه البخاري (٣٣٧٨ و ٣٣٧٩) ومسلم (٢٩٨١).

لطلب بعيره فاحتملته الريح حتى ألقتهُ بجبل طيّ، فقال ﷺ: ألم أنهكم، ثم دعا للذي اختنق فشفي وأمّا الآخر فأهدته طيّ لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة. ولما وصل تبوك أخبرهم أن ريحاً شديدة تهب الليلة فاحتفظوا، فهبت فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيّ[٦٨٦].

ولما ورد عين تبوك رأوا ماءها قليلاً جداً فأخذ ﷺ منه قليلاً وغسل به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير فاستسقى الناس كما في مسلم[٦٨٧]، وقدم عليه ﷺ في تبوك: صاحب أيْلَة بفتح الهمزة وسكون الياء بلد معروف بين مصر والشام فصالحه وأعطاه الجزية، وأتاه أيضاً أهل جرباء بكسر الجيم بلدة بالشام، وأذرح بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الراء وبالحاء المهملة بلدة أخرى بها بينهما ثلاثة أيام كما في المواهب وغيره، فأعطوه الجزية، وكتب لهم كتاباً وكان هرقل بحمص[٦٨٨]. فأرسل ﷺ خالد بن الوليد سرية في أربعمائة وعشرين فارساً إلى أُكَيْدَر بن عبدالملك النصراني، وكان ملكاً عظيماً بدَومة الجندل، وقال له ﷺ إنك ستجده ليلاً وهو يصيد البقر، فانتهى إليه خالد وهو كذلك فشدّ عليه خيل خالد فاستأسر أُكَيْدَر وقتل أخاه وهرب البقية، ثم أجار أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله ﷺ، على أن يفتح له دومة الجندل ففعل، وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح[٦٨٩]، وفي هذه الغزوة كتب ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، فقارب الإجابة ولم يجب كما في صحيح ابن حبان ثم انصرف ﷺ من تبوك بعد أن

---

(٦٨٦) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٧٦) والسيرة (٤/ ٢٠ - ٢١) لابن كثير.

(٦٨٧) لم يرو مسلم قصة الماء وزيادته، وإنما رواه مالك في الموطأ (١/ ١٢٢ - ١٢٣) وعبدالرزاق في المصنف (٤٣٩٩) وأحمد (٥/ ٢٣٧ - ٢٣٨) وأبو نعيم في الدلائل (ص ٤٥٥ - ٤٥٦).

(٦٨٨) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٨٠ - ١٨١).

(٦٨٩) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٨١ - ١٨٢) والسيرة (٤/ ٣٠ - ٣١) لابن كثير.

أقام بها نحو عشرين ليلة ولم يلق كيداً ، وبنى في طريقه مساجد ، ولما قرب ﷺ من المدينة نزلت عليه آية مسجد الضرار (٦٩٠) ، فأرسل إليه مَن هدمه وحرقه ، وكان اتخاذه قريب سفره ، ليضارّ به المنافقون أهلَ مسجد قباء ، وليتعلّلوا به عن ترك الصلاة خلفه ﷺ وأظهروا أنه للمعذورين ، ولما دنى من المدينة خرج الناس لتلقيه ﷺ والصبيان والولائد يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع (٦٩١)

وقال ﷺ : إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم العذر (٦٩٢) أي فلهم مثل ثوابكم.

قال الأئمة : وهذا يؤيد الحديث الضعيف : [نية المؤمن خير من عمله] (٦٩٣) لأنهم بنيتهم وهم على فرشهم [فراشهم] لحقوا الكُمَّلَ المجاهدين بأموالهم وأنفسهم ، وكمال السبق إنما ينشأ عن خلوص النية وصدق الهمة دون مجرّد العمل ، وجاءه ﷺ المتخلفون فاستغفر لهم ، إلاّ أولئك الثلاثة ، فأخرهم حتى نزلت توبتهم في آية ﴿وعلى الثلاثة الذين خلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ إلى قوله : ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾ . تاب الله علينا توبة عن عصيانه مانعة ، ورحمنا بفضله رحمةً واسعة ، إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين. ووقعت قبل تبوك سرايا :

منها : سرية قيس بن سعد بن عبادة إلى ناحية اليمن في أربعمائة فارس لقتال

---

(٦٩٠) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٨٥) والسيرة (٤/ ٣٨ ـ ٤٠) لابن كثير.

(٦٩١) أنظر السيرة (٤/ ٤١ ـ ٤٢) لابن كثير.

(٦٩٢) رواه البخاري ٢٨٣٩ و ٤٤٢٣) وأحمد (٣/ ١٠٣ و ١٨٢) وأبو داود (٢٤٩١) وابن ماجه (٢٧٦٤) من حديث أنس ورواه أحمد (٣/ ٣٤١) ومسلم (١٩١١) وابن ماجه (٢٧٦٥) وعبد بن حميد (١٠٢٦ و ١٠٥٥) من حديث جابر.

(٦٩٣) أنظر تعليقنا على مسند الشهاب (١٤٧ و ١٤٨).

قبيلة صداء بالمدّ، فوفدوا عليه ﷺ مسلمين (٦٩٤).

ومنها سرية عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم بالسُّقيا وهي أرض بني تميم، في المحرّم في خمسين فارساً من العرب ليس فيهم مهاجريّ وأنصاري، فأصابوهم وأخذوا من رؤسائهم أسارى فيهم الأقرع بن حابس (٦٩٥).

ومنها سرية الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط إلى بني المصطلق من خزاعة ليصدقهم أي ليأخذ منهم الصدقات، فلما سمعوا بقدومه استقبله جماعة فرحاً وتعظيماً لله ولرسوله، لأنهم كانوا أسلموا، وبنوا المساجد، فوسوس إليه الشيطان: أنهم يريدون قتله لما بينهما من العداوة في الجاهلية، فرجع وأخبر النبي ﷺ، أنهم حالوا بينه وبين الصدقة، فهمّ ﷺ أن يغزوهم، فسمع القوم ذلك وأتوا [فأتوا] إليه ﷺ فأخبروه فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ الآية، فبعث معهم عباد بن بشر ليأخذ صدقاتهم (٦٩٦).

ومنها سرية قطبة بن عامر بن جديدة إلى خثعم قريباً من تربة بوزن همزة من أعمال مكة في عشرين رجلاً، فقاتلوا [فاقتتلوا] قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين، ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة (٦٩٧).

ومنها سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب في ربيع الأول فدعاهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا (٦٩٨).

ومنها سرية علقمة بن مجزّز اسم فاعل المدلجي إلى الحبشة وبوّب عليه البخاري (٦٩٩).

---

(٦٩٤) أنظر زاد المعاد (٣/ ٦٦٤ ـ ٦٦٦).
(٦٩٥) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٠ ـ ١٦١) وزاد المعاد (٣/ ٥١٠ ـ ٥١٢) والفتح (٨/ ٨٤).
(٦٩٦) رواه أحمد (٤/ ٢٧٩) والطبراني في الكبير (٣٣٩٥).
(٦٩٧) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٢) وزاد المعاد (٣/ ٥١٤).
(٦٩٨) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣) وزاد المعاد (٣/ ٥١٤ ـ ٥١٥).
(٦٩٩) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٣) وزاد المعاد (٣/ ٥١٥ ـ ٥١٦) والفتح (٨/ ٥٨ ـ ٦٠).

ومنها سرية علي بن أبي طالب إلى الفُلْس بضم الفاء وسكون اللام وهو صنم لطي في شهر ربيع الآخر فهدمه وغنم، ووقعت قصة كعب بن زهير المشهورة قبل تبوك أيضاً وبعد الطائف[٧٠٠]. (والحج بها) أي في سنة تسع (أيضاً وجب) أي فرض فيها كما قالت طائفة تمسكاً بأن صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود، وفيه قدم وفد نجران وصالحهم ﷺ على الجزية، والجزية نزلت عام تبوك سنة تسع.

والجمهور على أنه فرض سنة ست لنزول ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ فيها، وقيل: [سنة] سبع، وقيل: ثمان، وقيل: خمس، وشذ من قال: فرض قبل الهجرة[٧٠١]، وفي سنة تسع أيضاً قد آلى ﷺ من نسائه شهراً[٧٠٢]، وفيها أيضاً قصة اللعان[٧٠٣]، وفيها حج أبو بكر الصديق بالناس ومعه ثلاثمائة رجل وعشرون بدنة بسورة براءة لينبذ إلى كل ذي عهد عهده، وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، فلما نزل العرج أدركه عليّ بن أبي طالب مبلغاً ومؤذناً إلى الناس ببراءة، لا أميراً[٧٠٤].

[تذنيب] في ذكر الوفود عليه ﷺ، الوفد: الجماعة المختارة للقدوم على العظماء، واحدهم وافد قاله النووي[٧٠٥]، وكان ابتداء الوفود بعد رجوعه ﷺ من الجعرانة في آخر سنة ثمان وما بعدها.

---

(٧٠٠) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٤) وزاد المعاد (٣/ ٥١٧).

(٧٠١) أنظر زاد المعاد (٢/ ١٠١) والفتح (٣/ ٣٧٨).

(٧٠٢) أنظر الفتح (٩/ ٢٨٦).

(٧٠٣) أنظر الفتح (٩/ ٤٤٧).

(٧٠٤) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٨ - ١٦٩) وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٠١ - ٢٠٤) والسيرة لابن كثير (٤/ ٦٨ - ٧٥).

(٧٠٥) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٨١) حيث نقل ذلك عن صاحب التحرير وأقره.

وقال ابن إسحاق: بعد غزوة تبوك، وقال ابن هشام: كانت سنة تسع[٧٠٦] تسمى سنة الوفود، وقد سردها محمد بن سعد[٧٠٧] وتبعه الدمياطي وابن سيد الناس ومغلطاي والحافظ العراقي، فزاد ما ذكروه على الستين، فمنهم وفد هوازن وفدوا عليه ﷺ لما انصرف من الطائف إلى الجعرانة، وفيهم تسعة نفر من أشرافهم فبايعوا وأسلموا وكلموه ﷺ في السبي كما مرّ تفصيله ومنهم وفد ثقيف بعد تبوك وكان من أمرهم أنه ﷺ لما انصرف من الطائف، قيل له: يا رسول الله ادع على ثقيف فقال: اللهم اهد ثقيفاً وايت بهم، فتبعه عروة بن مسعود حتى أدركه قبل وصوله إلى المدينة فأسلم، وسأله الرجوع إلى قومه بالإسلام، فلما أشرف لهم على علية له وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر دينه رَموه بالنبل من كل جهة حتى قتلوه، ثم بعد أشهر ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، فوفدوا عليه ﷺ فبايعوا وأسلموا[٧٠٨] ومنهم وفد بني عامر بعد تبوك ولما رأوا إسلام ثقيف ووفودَ العرب عليه ﷺ من كل وجه ودخول الناس في دين الله أفواجاً وفد عليه بنو عامر [فيهم عامر] ابن الطفيل وأربد بن قيس وخالد بن جعفر وحيان بن أسلم بن مالك، وكان هؤلاء رؤساء القوم وشياطينهم فقدم عدو الله عامر بن الطفيل على رسول الله ﷺ يريد أن يغدر به، فقال: لأربد: إذا قدمناه على الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فاعله عليه بالسيف، فكلّم عامر رسول الله ﷺ وقال: والله لأملأنها عليك خيلاً ورَجِلاً فلمّا ولّى قال ﷺ: اللهم اكفني عامر بن الطفيل، فلما خرجوا قال لأربد: ويحك أين ما كنت أمرتك به فقال: والله: ما هممت بضربه إلاّ حُلتَ بيني وبينه أفأضربك؟ ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى

---

(٧٠٦) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٢١).

(٧٠٧) أنظر الطبقات (١/ ٢٩١ - ٣٦٠).

(٧٠٨) أنظر الطبقات (١/ ٣١٢ - ٣١٤) وسيرة ابن هشام (٤/ ١٩٤) والسيرة (٤/ ٥٣ - ٦٤) لابن كثير.

الطاعون في عنق عامر فقتله. وفي البخاري: أن عامراً قال له ﷺ: أخيرك بين ثلاث يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء، ثم ركب فرسه مغضباً، فمات عدو الله على ظهر فرسه(٧٠٩)، ومنهم وفد عبد القيس قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى بسكون الفاء بوزن أعمى وحديثهم مذكور في الصحيحين(٧١٠)، ومنهم وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة الكذّاب، فنزلوا في دار امرأة من الأنصار، فأتوا بمسيلمة إليه ﷺ يستتر بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه في يده عسيب من سعف النخل، فكلم رسول الله ﷺ وسأله بعض الأمر، فقال ﷺ: لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتك(٧١١)، وقال ابن إسحاق: حدثني شيخ من أهل اليمامة من بني حنيفة أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ، وخلفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا له مكانه، فقالوا: يا رسول الله إنا قد خلّفنا صاحبنا في رحالنا وركابنا يحفظها، فأمر ﷺ له بما أمر به للقوم، فلما قدموا اليمامة ارتَدَّ عدو الله وتنبّأ، وقال [إني] أشركتُ في الأمر معه، ثم إن اللعين وضع عن قومه الصلاة، وأحل لهم الخمر، والزنا، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي انتهى(٧١٢).

وهذل يدل على أنه ﷺ لم ير اللعين، وقد ثبت في الصحيح: أنه ﷺ اجتمع به وخاطبه بحضرة قومه أنه لو سأله [القطعة] قطعة [من] الجريدة ما

(٧٠٩) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٢١ و ٢٣٣ ـ ٢٣٤) والطبقات (١/ ٣١٠ ـ ٣١١) وصحيح البخاري مع الفتح (٧/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) وزاد المعاد (٣/ ٦٠٣ ـ ٦٠٥) ومسند أحمد (٣/ ٢١٠).

(٧١٠) رواه البخاري (٥٣ و ١٨٧ و ٥٢٣ و ١٣٩٨ و ٣٠٩٥ و ٣٥١٠ و ٤٣٦٨ و ٤٣٦٩ و ٦١٧٦ و ٧٢٦٦ و ٧٥٥٦) ومسلم (١٧).

(٧١١) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٣ ـ ٢٤٥) والطبقات (١/ ٣١٦ ـ ٣١٧) وزاد المعاد (٣/ ٦١٠ ـ ٦١٣).

(٧١٢) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

أعطاها [٧١٣]، وما في الصحيح هو المقدم، على أنه جمع بأنه قدم مرتين مرةً كان تابعاً، ولذا أقام في حفظة [حفظ] رحالهم ومرةً متبوعاً وفيها خاطبه ﷺ [٧١٤].

ومنهم وفد طي وفيهم زيد الخيل الذي سماه النبي ﷺ زيد الخير وهو سيدهم، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وأحسن [حسن] إسلامهم [٧١٥]، ومنهم وفد كندة في ثمانين أو ستين راكباً فلما دخلوا المسجد، قال ﷺ: أولم تسلموا؟ قالوا: بلى، قال: فما هذا الحرير في أعناقكم؟ فشقوه فنزعوه وألقوه [٧١٦]، ومنهم وفد الأشعريّين مع أبي موسى الأشعري سنة سبع عند فتح خيبر، ثم وفد حمير سنة تسع بالتاء الفوقية، وكلاهما من أهل اليمن أسلموا، ومن ثمة جمعوهما في ترجمة، لا لاجتماعهما في الوفادة.

وروي أنه ﷺ قال: يقدم عليكم قوم هم أرق أفئدة منكم فقدم الأشعريون، فجعلوا يرتجزون في الطريق: غداً نلق الأحبة محمداً وحزبه ومن ثمة ورد في الصحيح: الإيمان يمان والحكمة يمانية [٧١٧]، ومنهم وفد الأزديين ومعهم صرد بن عبدالله الأزدي أسلم وحسن إسلامه فأمّره ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره بالجهاد مع قبائل اليمن [٧١٨]، ومنهم وفد بني الحارث بن كعب بنجران أتوا مسلمين، بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد داعياً إلى الإسلام، وذلك سنة

---

(٧١٣) رواه البخاري (٤٣٧٣).

(٧١٤) أنظر الفتح (٨/ ٨٩ - ٩٠).

(٧١٥) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٥ - ٢٤٦) والطبقات (١/ ٣٢١ - ٣٢٣) وزاد المعاد (٣/ ٦١٦ - ٦١٧).

(٧١٦) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٥٤ - ٢٥٦) والطبقات (١/ ٣٢٨) وزاد المعاد (٣/ ٦١٧ - ٦١٨).

(٧١٧) أنظر زاد المعاد (٣/ ٦١٨ - ٦٢٠) والفتح (٨/ ٩٦ - ١٠١).

(٧١٨) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٥٦ - ٢٥٨) والطبقات (١/ ٣٣٧ - ٣٣٨) وزاد المعاد (٣/ ٦٢٠ - ٦٢١).

عشر[٧١٩]، ومنهم وفد همدان أسلموا، وكتب ﷺ لهم كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه[٧٢٠]، ومنهم وفد دوس في غزوة خيبر، رئيسهم الطفيل بن عمرو الدوسي، كان رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، قال ابن إسحاق: قدم الطفيل مكة فنهاه قريش أن يسمع من النبي ﷺ شيئاً، وخوّفوه بأنه ساحر يفرق بين المرء وزوجه، والابن وأبيه، فقال: إني فصيح لبيب أعرف الحسن من القبيح، فلما عرض ﷺ عليه القرآن قال: ما سمعت قولاً قطّ أحسن منه، ولا أعدل فأسلم، فلما رجع أسلم أبوه وزوجته، ثم بمدة أسلم كثير من قومه، فوفدوا عليه ﷺ[٧٢١]، ومنهم وفد نصارى نجران ستون راكباً فيهم السيد والعاقب صاحبا نجران، فتلى ﷺ عليهم القرآن فامتنعوا من الإسلام لمحبة الجاه فطلب ﷺ منهم المباهلة أي الملاعنة كما في الآية فأبوا لعلمهم بأنّهم لو فعلوا لم يفلحوا أبداً ثم صالحهم على الجزية هو مذكور في المطولات.

سَنَةَ عَشْرٍ حَجَّةُ الوَداعِ وَبعدَها الوَفاةُ بالإجْماعِ

(وما كان في سنة عشر حتى الوفاة) سنة عشر من الهجرة بعث ﷺ خالد ابن الوليد قبل حجة الوداع في شهر ربيع الأول أو الآخر إلى بني عبد المدان قبيلة بنجران فأسلموا[٧٢٣]، ثم أرسل عليّ بن أبي طالب إلى اليمن في رمضان في

(٧١٩) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٦٢ - ٢٦٦) والطبقات (١/ ٣٣٩ - ٣٤٠) وزاد المعاد (٣/ ٦٢١ - ٦٢٢).

(٧٢٠) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٦٧ - ٢٧١) والطبقات (١/ ٣٤٠ - ٣٤١) وزاد المعاد (٣/ ٦٢٢ - ٦٢٣).

(٧٢١) أنظر سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٧ - ٤١٠) والطبقات (١/ ٣٥٣) وزاد المعاد (٣/ ٦٢٤ - ٦٢٦) وصحيح البخاري مع الفتح (٨/ ١٠١ - ١٠٢).

(٧٢٢) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٤) وما بعده والطبقات (١/ ٣٥٤ - ٣٥٨) وزاد المعاد (٣/ ٦٢٩ - ٦٣٨) والسيرة (٤/ ١٠٠ - ١٠٨) لابن كثير.

(٧٢٣) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٩) وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٦٢ - ٢٦٦) والسيرة (٤/ ١٨٨ - ١٩٠).

ثلاثمائة فارس وعقد له لواء، وعمّمه ﷺ بيده الكريمة، ودعى له: اللهم ثبت لسانه واهدِ قلبه، فلما انتهى إليهم نهب وغنم، ثم لقي جميعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورَمَوا بالنبل ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين فارساً فانهزموا، ثم دعاهم إلى الإسلام فأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم، فوافا النبي ﷺ بمكة وقد قدمها للحج[٧٢٤] (وهو حجّة) بكسر الحاء وتائه [والتاء] للمرة، وهو من الشواذ، لأن القياس فتح الحاء كما في القاموس. وقوله (الوداع) بفتح الواو في الأصل اسم بمعنى التوديع كالسلام بمعنى التسليم مأخوذ من توديع المسافر، ولما نزلت سورة إذا جاء نصر الله يوم النحر بمنى علم ﷺ اقتراب أجله، فأعلم الناس بذلك، فقال في خطبة حجة الوداع:

خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، وطفق يودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع، وتسمى أيضاً حجة الإسلام وحجة البلاغ، وكره ابن عباس رضي الله عنهما تسميتها حجة الوداع، ولم يحجّ ﷺ بعد الهجرة غيرها، بل قال ابن سعد بعد النبوة، وسيأتي بيان ذلك، خرج ﷺ في حجة الوداع من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة، ومعه تسعون ألفاً، ويقال: مائة ألف وأربعة عشر، وقيل: أكثر من ذلك كما حكاه البيهقي بعد أن ترجل وادّهن وتطيب، فبات بذي الحليفة فقال: أتاني الليلة آت من ربي فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة فأحرم بهم قارناً على خلاف طويل بين الصحابة ومن بعدهم في حجة الوداع، هل كان ﷺ أحرم فيها قارناً أي بحجّ وعمرة، أو مفرِداً أي بحج فقط، أو متمتعاً أي بعمرة ثم حل وأحرم بحج، والأحاديث تدل لكل منها مذكورة في الصحيحين وغيرهما[*].

(٧٢٤) أنظر صحيح البخاري مع الفتح (٨/ ٦٥ - ٧٠) والطبقات (٢/ ١٦٩ - ١٧٠) والسيرة (٤/ ٢٠١ - ٢١٠).

(*) أنظر السيرة (٤/ ٢٣٦ - ٢٧٦) حيث استقصى الروايات المختلفة ثم قال: إن قيل قد رويتم عن جماعة من الصحابة أنه عليه السلام أفرد الحج ثم رويتم عن هؤلاء بأعيانهم أنه جمع =

ومذهب الشافعي رضي الله عنه أنه ﷺ: أحرم مفرداً لم يعتمر معه، ودخل ﷺ مكة صبيحة الأحد رابعة ذي الحجة من كَداء بفتح الكاف والمدّ وهي الثنية العليا التي ينزل منها إلى المعلاة مقبرة مكة، ويقال لها: الحجون بفتح الحاء وضم الجيم، وطاف للقدوم فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم خرج إلى الصفا فسعى راكباً ونزل بأعلى الحجون، فلما كان يوم التروية أي ثامن ذي الحجة، توجه إلى منى فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وبات بها حتى زالت الشمس، فخطب الناس، وصلّى الصبح، فلما طلعت الشمس سار إلى عرفة وضربت قبة من الشعر بنمرة بوزن فرحة موضع بعرفات، فأقام بها حتى زالت الشمس، فخطب الناس وصلى بهم الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم راح إلى الموقف فلم يزل يدعو ويهلل ويكبّر حتى زاغت الشمس ثم دفع إلى المزدلفة بعد الغروب وبات بها وصلّى الصبح، ثم وقف بالمشعر الحرام حتى أسفر ثم رفع قبل طلوع الشمس إلى منى فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات، وكان يرمي في كل يوم من أيام التشريق الجمرات الثلاثة ماشياً بسبعٍ سبعٍ يبدأ بالتي تلي الخيف ثم بالوسطى، ثم بجمرة العقبة ويطيل الدعاء عند الأولى والثانية، ونحر يوم نزوله منى، وأفاض إلى البيت فطاف به سبعاً ثم أتى سقاية العباس فاستسقى، ثم رجع إلى منى ثم نفر في اليوم الثالث من أيام التشريق فنزل الْمُحَصَّب، وأعمر عائشة

= بين الحج والعمرة فما الجمع من ذلك؟

فالجواب أن رواية من روى أنه أفرد الحج محمولة على أنه أفرد أفعال الحج ودخلت العمرة فيه نية وفعلاً ووقتاً.

وهذا يدل على أنه اكتفى بطواف الحج وسعيه عنه وعنها كما هو مذهب الجمهور في القارن. ثم قال:

وأما من روى التمتع ثم روى القرآن فقد قدمنا الجواب عن ذلك بأن التمتع في كلام السلف أعم من التمتع الخاص والقران، بل ويطلقونه على الاعتمار في أشهر الحج وإن لم يكن معه حج الخ فراجعه.

وانظر الفتح (٣/ ٤٢٤ ـ ٤٣٢).

رضي الله عنها من التنعيم، ثم أمر بالرحيل، ثم طاف للوداع، وتوجّه إلى المدينة فأقام بها بقية ذي الحجة تمام سنة عشر (وبعدها) أي بعد سنة عشر (الوفاة) أي موته ﷺ من وفى بالتخفيف بمعنى تم أي تم أجله (بالإجماع) في سنة إحدى عشرة كما يأتي بيانه، ولما بدأ به ﷺ مرضه وحُمّ وصُدِع آخر صفر سنة إحدى عشرة، بعث ﷺ أسامة بن زيد في سرية إلى أهل أُبنا ناحية بالبلقاء من أرض الشام لغزو الروم مكان قتل أبيه زيد، فعقد ﷺ لواء بيده، ثم دفعه أسامة إلى بريدة الأسلمي وعسكر بالجرف بالضم موضع قريب المدينة، فانتدب وجوه المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر[٧٢٥] وعمر رضي الله عنهما، فتكلم قوم في تأمير أسامة على المهاجرين والأنصار فخرج ﷺ وقد عصب رأسه فصعد المنبر، فقال بعدما أثنى على الله:

أما بعد ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارته لقد طعنتم في إمارتي أباه قبله، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقاً، وإن ابنه من بعده لخليق، وإنه لمن أحب الناس إليّ فاستوصوا به خيراً، وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول، فخرج الناس مع أسامة مودّعين رسول الله ﷺ إلى العسكر بالجرف، لما أرادوا الركوب من الجرف أتاهم خبر وفاته ﷺ، فرجعوا إلى المدينة فغرز بريدة اللواء عند بابه ﷺ، فلما بويع أبو بكر أمر أسامة أن يمضي لما وجّهه اليه ﷺ، فخرج هلال شهر ربيع الآخر إلى أهل أُبْنا فشنّ عليهم الغارة فقتل من أشرف له وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم ونخلهم وقتل قاتل أبيه في الغارة، ثم رجعوا ولم يصب أحدٌ منهم فتلقوهم أهل

(٧٢٥) قال الحافظ ابن كثير في السيرة (٤/ ٤٤١) ومن قال إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط، فإن رسول الله ﷺ اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف، وقد أمّرَ النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس كما سيأتي، فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول من رب العالمين الخ.
وانظر منهاج السنة (٣/ ٦٣١) والفتح (٨/ ١٥٢).

المدينة سروراً (٧٢٦).

أخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلاّ هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبِدَ اللهُ ثلاثاً فقالوا لِمَ، فقال: إنّ رسول الله ﷺ وجّه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بذي خَشَب قُبِضَ النبي ﷺ، وارتدت العرب حول المدينة واجتمع إليه أصحاب النبي ﷺ فقالوا له: رُدَّ هؤلاء، أنت توجههم إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لو جرّت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ ما رددت جيشاً وجّهه رسول الله ﷺ ولا حللتُ لواء عقده، فوّجه أسامة فجعل لا يمرّ بقبيل يريدون الارتداد إلاّ قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام (٧٢٧).

تعيين وفاته ﷺ

اعلم أن الموت لما كان مكروهاً بالطبع لم يمت نبي حتى خيّر، كما في البخاري عن عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُحْيي أو يخيّر (٧٢٨)، وفي رواية لأحمد رضي الله عنه: ما من نبي يقبض إلاّ يرى الثواب، ثم يخيّر (٧٢٩)، وفي أخرى له أيضاً: أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلدَ ثم الجنة، فخيّرتُ بين ذلك وبين لقاء ربي

---

(٧٢٦) أنظر الطبقات (٢/ ١٨٩ - ١٩٢ و ٢٤٨ - ٢٤٩) وسيرة ابن إسحاق (٤/ ٣٢٨) وتاريخ دمشق (١/ ٤٢٣ - ٤٤٠) لابن عساكر.

(٧٢٧) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٤٤٠).

(٧٢٨) رواه البخاري (٤٤٣٥ و ٤٤٣٧ و ٤٤٦٣ و ٤٥٨٦ و ٦٣٤٨ و ٦٥٠٩) في النسخ الثلاث ويخير وهو خطأ ورواه مسلم (٢٤٤٤) وأحمد (٦/ ٨٩).

(٧٢٩) رواه أحمد (٦/ ٧٤) ولفظه «ما من نبي إلا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد إليه فيخير بين أن يرد إليه إلى أن يلحق».

والجنة، فاخترت لقاء ربي والجنة[٧٣٠]. وورد في المسند: ما يدل على أنه ﷺ قبض ثم رآه مقعده في الجنة، ثم ردت إليه نفسه ثم خيّر[٧٣١]، وفي يوم الأربعاء لليلة بقيت من صفر كما عليه الأكثرون وقيل: لإحدى عشرة بقيت منه، وقيل: غير ذلك بدأ بالنبي ﷺ وجعه فحُمّ وصُدِع في بيت ميمونة كما صحّ، وقيل: في بيت زينب بنت جحش[٧٣٢]، وأشار ﷺ في مرضه إشارةً ظاهرة إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه بثنائه ﷺ عليه على المنبر كما في البخاري[٧٣٣]، ثم أكّد أمر الخلافة بأمره صريحاً أن يصلّيَ بالناس[٧٣٤]. ومن ثمة قال الصحابة عند بيعته: رضيه ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا[٧٣٥]؟ ثم لما اشتد وجعه ﷺ استأذن نساءه كما في البخاري أن يمرّض في بيت عائشة رضي الله عنها فأذِنّ له[٧٣٦] لما رأينَ من حرصه على ذلك فدخل ﷺ بيتها، وتوفّاه الله تعالى حين اشتد الضحى كما عليه الأكثر، وقيل: حين زاغت الشمس وصحّحه الحاكم يوم الإثنين اتفاقاً.

ثاني عشرِ ربيعُ الأولِ   فيا لَها مُصيبَةً لِمَنْ بُلي

---

(٧٣٠) رواه أحمد (٣/ ٤٨٨ - ٤٨٩) والبزار (٨٦٣) والدارمي (٧٩) والدولابي في الكنى (١/ ٥٧ - ٥٨) والطبراني في الكبير (ج ٢٢ رقم ٨٧١ و ٨٧٢) والحاكم (٢/ ٥٥ - ٥٦) وصححه على شرط مسلم.

(٧٣١) هو حديث عائشة عند أحمد (٦/ ٧٤) السابق.

(٧٣٢) أنظر الفتح (٨/ ١٢٩).

(٧٣٣) أنظر صحيح البخاري (٣٦٥٤) وشرح الفتح (٧/ ١٢ - ١٦).

(٧٣٤) رواه أحمد (٦/ ٩٦ و ١٥٩ و ٢٣١ و ٢٧٠) والبخاري (٧١٢ و ٧١٣) ومسلم (٤١٨) وأبو عوانة (٢/ ١١٧ - ١١٨) وغيرهم.

(٧٣٥) رواه الحافظ في آخر المجلس السابع والثلاثين من تخريج أحاديث مختصر المنتهى وقد استوعبنا الكلام عليه هناك.

(٧٣٦) رواه البخاري (١٩٨ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٧٩ و ٦٨٣ و ٦٨٧ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٦ و ٢٥٨٨ و ٣٠٩٩ و ٣٣٨٤ و ٤٤٤٢ و ٤٤٤٥ و ٥٧١٤ و ٧٣٠٣).

وكان ذلك اليوم (ثاني عشر من) شهر (ربيع الأول) عند الجمهور، وقيل ثانيه، وقيل: ثامنه، وقيل: غير ذلك، ومدة مرضه ﷺ كان ثلاثة عشر يوماً، وقيل: أربعة عشر، وقيل: اثنى عشر، وقيل: غير ذلك، واستكمل من العمر ثلاثاً وستين سنة على الصحيح المشهور، وههنا إشكال للسهيلي ومن تبعه بأنهم أجمعوا على أن أول ذي الحجة الخميس، والوقوف بعرفة يوم الجمعة تاسع ذي الحجة فمهما فرضت الشهور الثلاثة توامّ أو نواقص أو بعضها، لم يمكن أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، فلم يصح ما ذهب إليه الجمهور، وأجاب البارزي وتبعه ابن كثير باحتمال كون الأشهر الثلاثة كوامل واختلاف أهل مكة والمدينة في هلال ذي الحجة لاختلاف المطالع فرآه أهل مكة ليلة الخميس، وأهل المدينة ليلة الجمعة فحصلت الوقفة برؤية [لرؤية] أهل مكة، ثم رجعوا إلى المدينة، فأرّخوا برؤية أهلها، فكان أول ذي الحجة الجمعة وآخره السبت، وأول المحرم الأحد وآخره الاثنين، وأول الصفر الثلاثاء وآخره الأربعاء وأول شهر ربيع الأول الخميس، فيكون ثاني عشرة الاثنين (٧٣٧).

إذا عرفت موته ﷺ (فيا لها) أي يا للفعلة العجيبة، فالنداء للتعجب والعرب إذا استعظمت شيئاً نادته على سبيل التعجب، ففيه مجاز التشبيه لتشبيه ما تعجب منه لعظمته، بمنادى يسمع ويعقل كقولهم: يا للماء ويا للدواهي، وقوله (مصيبةً) تمييز لتلك الفعلة الراجع إليها الضمير بقرينة السياق، ويحتمل أن يجعل المنادى محذوفاً، والتقدير: يا متعجباً تأمّل ما وقع لها أي لهذه الفعلة والمصيبة من الكرب والحيرة والدهشة (لمن بُلي) بالبناء للمجهول أي ابتلي بها من المسلمين.

وفي سنن ابن ماجه أنه ﷺ قال في مرضه: أيها الناس إن أحدٌ من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته فيّ عن المصيبة التي تصيبه بغيري فإن أحداً من

---

(٧٣٧) أنظر السيرة (٤/ ٥٠٤ ـ ٥١٠).

أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي [٧٣٨]، وفي حديث الترمذي: فأنا فَرَطٌ لأمتي لن يصابوا بمثلي [٧٣٩].

وَعِنْدَما أُحْتِضِرَ كانَ يُدْخِلُ ... في قَدَحِ الماءِ يَدَهُ وَيَجْعَلُ
يَمْسَحُ وَجْهَهُ وَيَقُولُ يا رَبِّ إنْ ... للموتِ سَكَرَاتٌ عليها فَأعِنْ

(وعندما) مصدرية (احتضر) بالبناء للمجهول أي حضره الموت (كان) ﷺ (يدخل في قَدَح الماء) بالقصر للوزن أي في قدح عنده ماء (يده) مفعول يدخل (ويجعل) من أفعال المقاربة للشروع وخبره قوله: (يمسح وجهه) و (يقول: يا رب إن) بالتخفيف (للموت سكرات) بسكون الكاف للوزن اسم أن المتأخر عن الخبر، وسكرات الموت شدائده ومكروهاته وما يحصل للعقل من التغطية المشابهة للسكر، وقد يحصل من الغضب والعشق نظير ذلك (عَليها) متعلق بقوله: (فأعِنْ) أي فأعنّي وعن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: اللهم أعنّي سكرات الموت رواه الترمذي [٧٤٠] وفي

---

(٧٣٨) رواه ابن ماجه (١٥٩٩) ولفظه «يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب..» الحديث.
وفي إسناده موسى بن عبيدة الرَّبذي وهو ضعيف.

(٧٣٩) رواه الترمذي (١٠٦٨) وقال: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد ربه بن بارق وقد روى عنه غير واحد من الأئمة.
ورواه أيضاً أحمد (٣٠٩٨) والطبراني في الكبير (١٢٨٨٠).
وهو حديث ضعيف لأن في إسناده عبد ربه بن بارق قال الحافظ: صدوق يخطىء وسماك أبو زميل الحنفي قال الحافظ: ليس به بأس.

(٧٤٠) رواه الترمذي (٩٨٥) ورواه أيضاً أحمد (٦/ ٦٤ و ٧٠ و ٧٧ و ١٥١) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٩٣) وابن ماجه (١٦٢٣) والحاكم (٢/ ٤٦٥ و ٣/ ٥٦ - ٥٧) وفي إسناده موسى بن سرجس وهو مجهول. وضعفه الترمذي بقوله غريب، وانظر النكت الظراف (٢٨٦/١٢ - ٢٨٧) ولا عبرة بتصحيح الحاكم له ومن وافقه بعد أن علم حال موسى بن سرجس.

البخاري: أنه ﷺ لما حضره القبض، ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت، ثم قال: اللهم في الرفيق الأعلى[(٧٤١)] وصح: اسأل الله الرفيق الأعلى مع الأسعد: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل[(٧٤٢)]:

وَأصْبَحَتْ بِمَوتِهِ المدينَة مُرْتَجَّةً وزالَتِ السَّكِينَه
وَكَذَّبَتْ بِمَوتِهِ الفريقُ وَثَبَتَ العَبَّاسُ وَالصِّدِّيقُ

((وأصبحت بموته)) ﷺ (المدينة) المنورة (مرتجةً) من الارتجاج وهو التحرك والاضطراب لاضطراب أهلها بارتفاع الرنة والأصوات بالبكاء والدهشة (وزالت السكينة) والوقار عن أهلها، ولما مات ﷺ سُجيَ ببرد حبرة، فاختلف الناس لعظم المحنة وشدة المصيبة، فأقعد فريق لم يطيقوا الكلام [القيام] كعليّ لم يبرح البيت، وكعبد الله بن أنس مات كمداً بلا مرض، وأخرس فريق لم يطيقوا الكلام كعثمان يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب، وفريق خلط كلامهم بلا بيان (وكذبت) والتاء لتأنيث الفاعل لأن الفريق كالفرقة مدلولة جمع (بموته فريق) فقالوا: لم يمت إما للدهشة والحيرة أو لئلا يشمت به المنافقون، ومن أشد المنكرين عمر رضي الله عنه فقال: وقد سلّ سيفه لا أسمع أحداً يذكر أنّ رسول الله ﷺ قد مات إلاّ علوته بسيفي هذا كما في حديث الترمذي[(٧٤٣)] وقال: ليرجعنّه الله وليقطعن أيدي رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله ﷺ الموت، إنما واعده ربه عز وجل كما واعد موسى وهو آيتكم[(٧٤٤)]، وكأنه ظن: أنّ ما عرض له ﷺ إنما هو الغشي والذهول عن حسِّهِ فأحال الموت عليه، أو

---

(٧٤١) رواه البخاري (٤٤٣٧).

(٧٤٢) رواه النسائي في الوفاة من الكبرى وفي عمل اليوم والليلة (١٠٩٧).

(٧٤٣) رواه الترمذي في الشمائل (٣٩٦) والنسائي في الوفاة من الكبرى والطبراني في المعجم الكبير (٦٣٦٧) قال الحافظ في الفتح (١/ ٥٢٩) إسناده صحيح لكنه موقوف.
قلت: يقصد دفن النبي في المكان الذي قبض فيه.

(٧٤٤) أنظر كشف الأستار (١/ ٤٠١ ـ ٤٠٢) وسيرة ابن هشام (٤/ ٣٣٤).

خاف وقوع فتنة الناس أي العرب بقرينة المقام (وثبت) فريق على عقولهم منهم (العباس) رضي الله عنه لما جاء قال كما في الإحياء: والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت[٧٤٥] لكن الناس لم ينزجروا بقول العباس.

وأحكمهم رأياً وأثبتهم خليفته أبو بكر (الصديق) رضي الله عنه فإنه لما قدم من مسكنه بالعوالي دخل على النبي ﷺ وكشف عن وجهه الشريف فعرف أنه قد مات فأكب عليه يُقَبِّلَهُ ويبكي ثم خرج إلى الناس فأمر عمر بالسكوت عن مقالته فأبى لما هو فيه من الدهش والحيرة فتركه، وكلّم الناس فاجتمعوا إليه لعلمهم بعلو شأنه وتقدمه في معرفة حاله ﷺ، فخطبهم فقال بعد الثناء على الله تعالى:

أما بعدُ: فمن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ثم قرأ ﴿وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ الآية. رواه البخاري[٧٤٦]، وحينئذ صدقوا بوفاته ﷺ وذكروا الآية كأنهم لم يسمعوها من قبل لعظم ما استولى عليهم من الدهش، وبهذا أظهر علم أبي بكر الصديق وعظم شجاعته إذ هي ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من هذه، ورجع عمر رضي الله عنه عن مقالته وخطب الناس بذلك كما ذكره الوائلي، وفي مختصر ابن سيد الناس أن الناس سمعوا من باب الحجرة: لا تغسلوه فإنه طاهر، ثم سمعوا بعد ذلك اغسلوه فإن ذلك إبليس وأنا الخضر وعزّاهم، فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله ثقوا، وإياه فارجعوا، فإن المصاب من حُرِم الثواب[٧٤٧].

---

(٧٤٥) الاحياء (٤/ ٥٨٨).

(٧٤٦) رواه البخاري (١٢٤١ و ١٢٤٢ و ٣٦٦٧ و ٣٦٦٨ و ٣٦٦٩ و ٣٦٧٠ و ٤٤٥٢ و ٤٤٥٣ و ٤٤٥٤ و ٤٤٥٥ و ٤٤٥٧ و ٥٧١٠ و ٥٧١١).

(٧٤٧) لا يصح انظر السيرة (٤/ ٥٥٠) لابن كثير.

وفي دلائل النبوة للبيهقي حديث طويل فيه تعزية طويلة، وأنكر النووي وغيره وجودها في كتب الحديث [٧٤٨]، واختلفوا هل يغسل ﷺ في ثيابه أم يجرد عنها فألقى الله تعالى عليهم النوم فقال قائل لا يدرون من هو؟: اغسلوه في ثيابه فانتبهوا وغسلوه في قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص كما رواه البيهقي عن عائشة [٧٤٩]، والحق في غسله ﷺ أنه بالعصابة، فغسله عَلِيٌّ لحديث رواه جماعة منهم ابن سعد والبزار والبيهقي عن عليّ كرم الله وجهه: أوصاني النبي ﷺ: أن لا يغسله أحد غيري، فإنه لا يرى أحد عورتي إلاّ طمست عيناه [٧٥٠]، وزاد ابن سعد: قال عليّ: فكان الفضل وأسامة يناولان الماء من وراء الستر وهما معصوبا العين، قال عليّ: فما تناولت عضواً إلاّ كأنما يقلبه معي ثلاثون رجلاً حتى فرغت من غسله، وفي رواية: يا علي لا يغسلني إلاّ أنت فإنه لا يرى أحد عورتي إلاّ طمست عيناه، والعباس وابنه الفضل يعينانه، وقثم ابنه الآخر وأسامة وشُقران مولياه ﷺ يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر، وفي كتب السير: وحضرهم أوس بن خولى الأنصاري ولم يلِ شيئاً، وقيل: كان يحمل الماء:

كُفِّنَ في ثَلاثَةِ الأثْوابِ بيضٍ لَفائِفَ بِلا ارتِيابِ
ثُمّتَ أفذاذاً علَيهِ صُلِّيا وكانَ في مَوْضِعِهِ قَدْ سُجِّيا

ثم بعد غسله (كفن في ثلاثة الأثواب بيض) سحولية من كرسف أي بضمتين بينهما سكون، وهو القطن ليس فيها قميص ولا عمامة [٧٥١] بل كانت كلها (لفائف) كما صحّ به الحديث عن عائشة، بل قال الحاكم: تواترت بذلك

---

(٧٤٨) أنظر ما علقناه على الحديث (٢٦٧٦) من المعجم الكبير للحافظ الطبراني.

(٧٤٩) رواه محمد بن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٤/ ٣٤٢).

(٧٥٠) رواه ابن سعد (٢/ ٢٧٨) والبزار (٨٤٨) وفي إسناده يزيد بن بلال قال البخاري فيه نظر فهو ضعيف. قال الحافظ ابن كثير في السيرة (٤/ ٥٢٠) وهذا غريب جداً.

(٧٥١) رواه البخاري (١٢٦٤ و ١٢٧١ و ١٢٧٢ و ١٢٧٣ و ١٢٨٧) من حديث عائشة.

الأخبار عن الصحابة وإليه أشار الناظم بقوله: (بلا ارتياب) أي شك وظاهر الحديث: أن القميص الذي غسل فيه نزع عنه عند تكفينه، وصوّبه النووي فإنه لو بقي مع رطوبته أفسد الأكفان (ثمت) هو ثم العاطفة لحقت به تاء التأنيث المتحركة اللاحقة للحروف كما في ربّت ولات فتختص حينئذ بعطف الجملة على الجملة (أفذاذاً) بذالين معجمتين جمع فذ بمعنى الفرد أي منفردين لم يؤمهم أحد لعدم اتفاقهم على خليفة تكون الإمامة له فهو حال مقدم من الفاعل المفهوم من الفعل بعده، ويجوز جعله نائباً عن المصدر بحذف المضاف أي صلوةً أفذاذ وقوله: (عليه) متعلق بفعل محذوف يفسّره قوله (صُلّيا) بألف الإطلاق ولا يجوز تعلقه بالمذكور لأن نائب الفاعل كالمجرور هنا لا يقدم على الفعل كالفاعل إلاّ أن يقدر في صُلّيَا ضمير يعود إلى أصل الفعل أي صلّى الصلاة عليه، كما في: وقد حيل بين العير والنزوان أي وقع الحيلولة فتأمله (وكان) ﷺ حين صلّوا صلاة الجنازة عليه (في موضعه) أي في بيته على سريره (قد سُجّيَا) بألف الإطلاق أي ستر ببرد حبرة وسَجّته عائشة رضي الله عنها كما في حديث أحمد عنها، وقيل: الملائكة، وروى ابن ماجه أنهم لما فرغوا من جهازه يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته، ثم دخل الناس أرسالاً متتابعين يصلون عليه، حتى إذا فرغوا دخل النساء، حتى إذا فرغن دخل الصبيان، ولم يؤم الناس عليه ﷺ أحد (٧٥٢)، وفي رواية أول من صلّى عليه الملائكة أفواجاً، ثم أهل بيته، ثم الناس أفواجاً أفواجاً، ثم نساؤه (٧٥٣).

وقَبْرهُ قَدْ حفروهُ لحَدا وأطْبِقَ اللَّبِنُ تِسْعاً عُدّا

(وقبره) الشريف بالرفع على الابتداء أو النصب على الأشتغال (قد حفروه) حال كونه (لحداً) بفتح اللام وضمها هو الشق في عرض القبر

(٧٥٢) رواه ابن ماجه (١٦٢٨) وفي إسناده الحسين بن عبدالله الهاشمي وهو ضعيف، وانظر الفتح (١/ ٥٢٩).

(٧٥٣) رواه البزار (٨٤٧) وانظر مجمع الزوائد (٩/ ٢٤).

بأن يحفر في جانبه ما يسع الميت، سمي بـه لميلـه عـن الوسـط إلى جـانبـه لأن أصل اللحد الميل، بخلاف الضريح فإنه ما يشقه طولاً في الوسط، واختلفوا في قبره الشريف أيُلْحَدْ [هل يلحد] أو يُضرَحُ، وكان بالمدينة حفّاران، أحـدهما يلحد وهو أبو طلحة الأنصاري، والآخر يضرح، فاتفقوا على أن من جاء منهما أولاً عمل عمله، فجاء الذي يلحد، فلحد له في موضع فراشه حيث قبض، لأنهم لما اختلفوا في محل دفنه، فقال قوم في البقيع، وقوم في المسجد، وقوم في غير ذلك، قال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه: سمعته ﷺ يقول: ما دُفِنَ نبي إلاّ حيث يموت رواه ابن ماجه، وفي رواية الترمذي ما قبض الله نبياً إلاّ في الموضع الذي يجب أن يُدْفَنَ فيه، ثم قال عليّ: وأنا سمعته منه ﷺ (٧٥٤)، واختلف فيمن أدخله قبره.

وأصح ما روي في ذلك: أنه نزل في قبره عمه العباس وعليّ والفضل وقثم ابنا العباس رضي الله عنهم، وفرش تحته في القبر قطيفة حمراء كان يتغطى بها، فرشها شقران مولاه ﷺ من غير علم الصحابة بذلك، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك، وذكر ابن عبدالبر: إنها أُخرجت لما فرغوا من وضع اللبنات (٧٥٥)، ومن ثمة نص الشافعي رضي الله عنه وأصحابه على كراهة فرش نحو ذلك، وبعدما وضع ﷺ في لحده (أُطبق) عليه (اللبن) بوزن كتف جمع لبنة حال كونها (تسعاً) عدد السماوات السبع والعرش والكرسي، وحال كونها (عدّا) أي معدودة وهو كالتأكيد لما قبله، ثم هيل عليه التراب، وفرغوا من دفنه ﷺ ليلة الأربعاء كما رجّحه كثيرون وجمعوا بينه وبين رواية دفنه ﷺ يوم الثلاثاء بأنهم شرعوا في تجهيزه آخر يوم الثلاثاء فلم يفرغوا إلاّ آخر ليلة الأربعاء، وقيل: دُفِنَ يوم الأربعاء (٧٥٦) وعلى كلّ إنما أخروا دفنه إلى ذلك مع أمره ﷺ بتعجيل

(٧٥٤) أنظر السيرة (٤/ ٥٢٩ ـ ٥٣١ و ٥٣٤) وسنن ابن ماجه (١٥٥٧ و ١٥٥٨).
(٧٥٥) أنظر السيرة (٤/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦) لابن كثير.
(٧٥٦) أنظر السيرة (٤/ ٥٣٩ ـ ٥٤٠) لابن كثير.

دفن الميت، إما لعدم اتفاقهم على موته، أو محل دفنه كما مرّ، أو لاشتغالهم بما هو أهم وهو أمر البيعة، دفعاً للتنازع وتسكيناً للفتنة حتى استقر الأمر، فبايعوا أبا بكر ثم بايعوه بالغد بيعةً أخرى من ملأ منهم، فكشف الله الكربة، ثم نظروا في أمره ﷺ من الغسل وما بعده، وصحح الحاكم في الاكليل أنه ﷺ توفي حين زاغت الشمس يوم الاثنين، ودفن تلك الساعة، وقال: إنه أثبت الأقاويل، نقله ابن جماعة، وقيل دفن ليلة الثلاثاء:

وَذاكَ كُلُّــهُ بِبَيْــتِ عــائِشَــةٍ　　فَلْيَهْنِهــا مَيِّتَــةً وَعــائِشَــةْ

(وذاك)[٧٥٧] المذكور من الموت والتكفين والصلاة والدفن وغيرها (كله) تأكيد [كان] (ببيت عائشة) الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها (فليهنها) وقد مرّ في شرح الخطبة أن الأصل فليهنأ بالهمزة فخففت أي فليسرّها ما ذكر الكائن ببيتها الدال على مزيد فضلها وشرفها، كيف وقد أحبّ ﷺ أن يمرّض في بيتها، وجمع الله بين ريقه وريقها قبل الموت حيث مضغت له السواك فأعطته إياه بإشارته ﷺ بذلك، وتوفي ﷺ في نوبتها، ورأسه الشريف بين صدرها وحنكها، وقد ظهر لها ولأبيها في وفاته ﷺ فضائل لا تخفى على من تأمل الأحاديث، وذلك السرور لها حال كونها (ميّتةً) وحال كونها (عائشةً) أي [فضائل] ذات عيش وحياة وفيه لطف الجناس.

[خاتمة] اشتداد المرض عليه ﷺ وشدة سكرات موته إنما هو لرفع درجاته والتحقق بمقام العبودية لله تعالى رحمةً بأمته، واختار التعجيل مع أنه خيّر بين التأخير إلى أن يرى ما يفتح الله على أمته وبين لقاء ربه ليكون فرطاً لهم ودفعاً لنزول العذاب عليهم بعصيانهم كما يدل عليه حديث مسلم أنه ﷺ قال: (إن الله إذا أراد بأمة خيراً قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها وإذا أراد إهلاك [هلكة] أمة عذبها ونبيها حيّ وأهلكها وهو ينظر فأقرّ عينه بهلكتها

(٧٥٧) في نسخة القاضي وذلك وهو خطأ.

حين كذبوه وعصوا أمره)[٧٥٨]، روى الدارمي عن أنس رضي الله عنه قال: ما رأيت يوماً أحسن ولا أضوء من يوم دخل علينا رسول الله ﷺ، وما رأيت يوماً أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ، وروى الترمذي نحوه وزاد: ما نفضنا أيدينا عن التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا[٧٦٠]، فكادت الجمادات تتصدم من ألم مفارقته ﷺ، فكيف بقلوب المؤمنين، وكان الحسن إذا تحدث بحديث حنين الجذع حين خطب ﷺ على المنبر بكى، ويقول: هذه خَشَبَةٌ تحنّ إلى رسول الله ﷺ فأنتم أحقّ أن تشتاقوا إليه[٧٦١]، وذكر كما في المواهب أن ناقته ﷺ بعد وفاته: لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت، وسمع عليّ كرم الله وجهه كما روى أبو نعيم عنه صوتاً من السماء ينادي: وامحمداه الحديث[٧٦٢]. وروى عنه أيضاً: أنّ مَلَكَ الموت صعد إلى السماء باكياً[٧٦٣]، وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده ﷺ ستة أشهر ما ضحكت حتى ماتت أسفاً وحق لها ذلك فإن كل المصائب تهون عند هذه المصيبة، وما أحسن قول القائل:

اصبر لكـــل مصيبـــة وتجلّـــد   واعلم بـــأن المرء غيـــر مخلـــد

---

(٧٥٨) رواه مسلم (٢٢٨٨) ولفظه «إن الله عز وجل إذا أراد رحمة بأمة من عباده».

(٧٥٩) أنظر سنن الدارمي (٨٩) وسنن ابن ماجه (١٦٣١).

(٧٦٠) أنظر الشمائل (٣٩٢) للترمذي.

(٧٦١) رواه أبو يعلي (١٣٩/ ٢) وابن حبان (٥٧٤) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٧٦ - ٢٧٧) وأبو القاسم البغوي وفي إسناده مبارك بن فضاله وهو مدلس تدليس تسوية وقد صرح بالتحديث قال شيخنا لا يفيده ذلك والحسن أيضاً موسى وقد عنعن فهو ضعيف.

(٧٦٢) لم أر إسناده ولا أظنه يصح.

(٧٦٣) نقله السيوطي في الخصائص الكبرى (٣/ ٣٨٨) وعلق عليه الدكتور محمد خليل هراس: هذا غير معقول، فإن الملائكة كانت فرحة بقدوم روحه الشريفة عليهم. وإنما بكاه المؤمنون في الأرض.

واصبـــر كما صبر الكـــرام فـــإنها　　نُوَب تنوب اليـوم تكشـف في غـد
وإذا أتتـــك مصيبـــة تشجـــى بها　　فاذكر مصاباً [مصابك] بـالنبي محمد

وقول الآخر:

تـذكـرت لما فـرّق الدهـر بيننـــا　　فعـزيـــت نفسي بـــالنبي محـــد
وقلـــت لها إن المنـــايـــا سبيلنـــا　　فمن لم يمت في يومـه مـات في غـد

وقال حسان رضي الله عنه في مرثيته ﷺ:

كنـــتَ الســـواد لنـــاظـــري　　فعمـي فبكـــى عليـــك النـــاظـــر
مـــن شـــاء بعـــدك فليمـــت　　فعليـــك كنـــت أحـــاذر

ورثاه ابن عمه ﷺ أبو سفيان بن الحارث[(٧٦٤)]:

أرقـــتُ فبـــات ليلي لا يـــزول　　وليـل أخـي المصيبـة فيـه طـول
وأسعـــدني البكـــاء وذاك فيما　　أصيـــب المسلمـــون بـــه قليـــل
لقـد عظمـت مصيبتنـــا وجلّـــت　　عشيتـه قيـل قـد قبـض الرســـول

إلى أن قال:

أفاطـمُ إن جـزعـتِ فـذاك عـذر　　وإن لم تجزعـــي ذاكِ السبيـــل
فقبر أبيـــك سيـــد كـــل قبر　　وفيـه سيـد النـاس الرســول[(٧٦٦)]

وكذا رثاه الصديق وغيره، ورثته صفية عمته بمراثي كثيرة مذكورة في كتب السير:

سَبْـعٌ وَعِشْرُونَ غَـزاةٌ عُـدّ لَـــهُ　　وَفَوقَ خَمسينَ السَّرايا مُجْمَلَه

---

(٧٦٤) في نسخة القاضي ورثاه فبكى ابن عمه وهو خطأ.
(٧٦٥) في الأصل ونسخة القاضي فيه قيل وهو مخالف لما في السيرة لابن كثير (٤/ ٥٥٨).
(٧٦٦) أنظر السيرة (٤/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) لابن كثير.

(عدد غزواته وسراياه ﷺ سبع وعشرون) وقيل: خمس وعشرون وقيل: تسع عشرة، وقيل: غير ذلك (غزاةً) بفتح الغين اسم للغزو (عدّ) وتذكير الضمير بتأويله بالعدد أي عدّ ذلك العدد (له) ﷺ قاتل في تسع منها بنفسه: بدر، وأحد، والخندق، وبني قريظة، والمصطلق وخيبر والفتح وحنين، والطائف، وهذا على القول بأن مكة فتحت عنوة، وقيل: قاتل أيضاً في بني النضير، والغابة، ووادي القرى من أعمال خيبر (وفوق خمسين) إلى نحو ستين كما في عبارة العز بن جماعة وغيره (السرايا) جمع سرية بوزن صبية هي التي تخرج بالليل، والسارية ما تخرج بالنهار وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه من مائة إلى خمسمائة وما زاد يسمى منسراً بالنون فإن زاد على ثمانمائة يسمى جيشاً أو على أربعة آلاف يسمى جحفلاً بتقديم الجيم كجعفر، وما افترق من السرية يسمى بعثاً والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر ذكره القسطلاني (بمجمله) غير معينة في عدد، وعبارة ابن سيد الناس، وكانت بعوثه ﷺ نحواً من خمسين، وقيل: سبعاً وأربعين، وقد سبق ذكر جميع غزواته وغالب السرايا مع الإيجاز والإيضاح ولله الحمد.

عمره وحجّاته ﷺ

أَرْبَعاً اعتمر وَالْحَجُّ أَحَدْ مِن بَعدِ هِجْرَةٍ وَقَبلُ لا تُعَدْ

(أربعاً اعتمر) ﷺ كما في الصحيحين وسنن الترمذي وأبي داود (٧٦٧) عمرة الحديبية وعمرة من العام المقبل وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين، وعمرة مع حجته، وكلها في ذي القعدة إلاّ التي في حجّته (والحج أحد من بعد هجرة، وقبل) أي قبل الهجرة (لا تُعَدّ) حججه ﷺ،

---

(٧٦٧) رواه البخاري (١٧٧٦) ومسلم (١٢٥٥) وأبو داود (١٩٩١ و ١٩٩٢) والترمذي (٩٣٦ و ٩٣٧) من حديث ابن عمر والبخاري (١٩٧٨) ومسلم (١٢٥٣) وأبو داود (١٩٩٤) والترمذي (٩١٥) من حديث أنس.

أخرج الحاكم بسند صحيح أنه ﷺ حجّ قبل أن يهاجر حججاً [٧٦٨]، وقال ابن الجوزي: حجّ حججاً لا يعلم عددها، وقال ابن الأثير: يحجّ كل سنة قبل الهجرة، لكن روى الترمذي عن جابر رضي الله عنه أنه ﷺ: حجّ ثلاث حجج حجتين قبل الهجرة وحجة بعدها [٧٦٩]، وأخرج ابن ماجه [٧٧٠] والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما حج قبل الهجرة ثلاث حجج وهو مبني على عدد وفود الأنصار إلى العقبة.

انتهى الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني

وأوله أسماؤه ﷺ

---

(٧٦٨) أنظر ما بعده.

(٧٦٩) رواه الترمذي (٨١٢) وابن ماجه (٣٠٧٦) من حديث جابر قال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث سفيان لا نعرفه إلا من حديث زيد بن جباب ورأيت عبدالله بن عبد الرحمن روى هذا الحديث في كتبه عن عبدالله بن أبي زياد، وسألت محمداً عن هذا فلم يعرفه من حديث الثوري عن جعفر عن أبيه عن جابر عن النبي ﷺ، ورأيته لا يعد هذا الحديث محفوظاً وقال إنما يروى عن الثوري عن أبي إسحاق عن مجاهد مرسلاً. ورواه الحاكم (١/ ٤٧٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٧٧٠) رواه ابن ماجه (٣٠٧٦).
وانظر الفتح (٨/ ١٠٧).

فهرس المحتويات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة





مَطَابع يُوسُف بَيْضُون
هَاتف - ٤٦٠٧٤٣-٨٢٧٦٦٧ - بَيْروت - لبنَان







